وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي
تحديد المفاهيم النظرية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها

تخصص: الأدب العربي و نقده

إعداد الطالب:
سعد بولنوار

إشراف الدكتور:
لبوخ بوجملين

السنة الجامعية: 2012/2011

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي

تحديد المفاهيم النظرية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها

تخصص: الأدب العربي و نقده

إعداد الطالب:

سعد بولنوار

إشراف الدكتور:

لبوخ بوجملين

أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور : مشري بن خليفة ، أستاذ التعليم العالي / جامعة ورقلة، رئيساً

الدكتور : لبوخ بوجملين ، أستاذ محاضر أ / جامعة ورقلة ، مشرفًا و مقرّرا

الدكتور : مالكية بلقاسم ، أستاذ محاضر أ / جامعة ورقلة ، مناقشاً

الدكتور : بوداود وذناني ، أستاذ محاضر أ / جامعة الأغواط، مناقشاً

الدكتور : علي ملاحي ، أستاذ التعليم العالي / جامعة الجزائر2، مناقشاً

الدكتور : الطاهر لوصيف ، أستاذ التعليم العالي / م ج تيبازة ، مناقشاً

السنة الجامعية: 2012/2011

الإهــــــــــــداء

إلى روح أبي الطاهرة، أسأل له المغفرة ..

و إلى الوالدة الكريمة حفظها الله ..

إلى الزوجة .. و إلى روح ابني أيوب تغمده الله برحمته ..

و إلى إخوتي

مقدمـــــة البحث

مقدمة البحث:

إننا بصدد تحليل الخطاب، و لا أخص الخطاب في عمومه و إنما أتناول نوعا يتعلق بخطاب التفسير، الموسوم بالعلمية في جانبه المعرفي، و بكونه يمثل قراءة ثانية للقرآن الكريم ، و تميزه بتعددية في متلقيه، كما أن معانيه قد استمدت ركائزها من نسق لغوي منسجم هو القرآن الكريم الذي يتسم بالسيرورة في الزمان و المكان، على نقيض من الأحاديث حول النص المقدس التي هي إجمالا ما هي إلا طبقة واحدة من طبقات القراءة، و ذلك يرجع إلى ما قد أجمع حوله العلماء و الفقهاء في أنه صالح لكل زمان و مكان، و أن القرآن خزان لا ينضب من المعاني و المقاصد .

و قد حاول أكثر من باحث و عالم ترجمة معانيه، غير أن كل المحاولات لم تستوف ما يحمله باطنه من المكامن المخبأة الجزلة المعطاءة لمن يتصيد و يبحث و يستقري عن فيضه و هو (التدبر) . و من على هذه الزاوية كثرت الاستبطانات وهي تحاول إدراك بعضه، و القراءات تستكنه سلطته، و التفاسير تستنزله للأفهام، فكثرت الأقاويل حوله كثرة كان أهمها التفسير باعتباره الإجراء الذي حاول أن يغوص إلى معنى من معانيه .

و من هذا المنطلق تراني سأحاول تناول تفسير أضواء البيان للشنقيطي بالتحليل و الكشف ، باحثا فيه عن الآليات التي استعملها المفسر في بيان المعنى القصد – حسبه – لأحدد فيما بعد المفاهيم النظرية العامة من مدونة التطبيق هذه و هي خطاب التفسير .

و قد كانت لي دوافع كثيرة ساهمت في اختياري لهذا الموضوع، لأن لأي موضوع في حقيقة الأمر دوافع و أي موضوع لا ينبع من دافع فهو خارج إطار الحاجة البشرية، إذ أنني انطلقت بمحض عدد كبير منها و بإمكاني أن ألخص بعضها فيما يلي :

دوافع موضوعية :

– خطاب التفسير من المواضيع التي تشكل مدونة خصبة قل فيها الاهتمام ببحث آلياتها و إجراءاتها ، و البحوث التي تناولت هذا الجانب أغلبها يتصل بعلوم الشريعة و الفقه .

– علوم اللغة وحدها، إجرائياً، أصبحت لا تكفي وحدها لبيان المعاني و المقاصد في الخطاب القرآني من خلال خطاب التفسير، و إنما الحاجة أصبحت ملحة أيضا إلى المفاهيم المستجدة الآن من مناهج و استراتيجيات معاصرة، سواء منها الغربية التي يوافق فحواها التراث العربي الإسلامي أو المؤصلة النابعة من موروثنا.

– تحديد المفاهيم النظرية من خلال خطاب التفسير من شأنه أن يغني الباحث بالمفاهيم النظرية الخاصة التي سيحتاجها في تحليل الخطابات الأخرى .

– و أيضا يدفعني إلى ذلك كشف الأعراف العلمية الخاصة في التفسير باعتباره علما قائما بذاته و هذا من خلال عينة أضواء البيان .

و ككل موضوع لا يخلو من دوافع ذاتية، فإني وجدت نفسي منقاداً لهذا النوع من الدراسة تبًعا لرغبتي الملحة و ميلي لمثل هذه الموضوعات، ذلك أن موضوع خطاب التفسير يغري الباحث من جوانب عدة، فإن تفسير (أضواء البيان) للشنقيطي يمثل، بالنسبة لي، مدونة ترقى إلى مستوى الدراسة و التمحيص لأتقدم للباحث جملة من التوجيهات المنهجية و الدعامات الإجرائية لمعالجة العديد من الإشكاليات المطروحة على مستوى قراءة النص القرآني، و عليه، تطل علينا إشكالية الموضوع ممثلة في سؤال محوري يبحث في أهم الآليات النظرية التي اعتمدها الشنقيطي في تفسيره و فهمه للنص القرآني، و كيف استقام خطابه التفسيري؟ و هو سؤال يفتح نوافذ عدة تتيح لنا الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أ – ما مفهوم الخطاب ؟ و هل هناك تعريف واحد للخطاب ؟

ب – ما مفهوم التفسير ؟ و هل يتعدد المعنى في التفسير كما أن هناك تعدد في معاني الخطابات ؟

ت – ما وجه العلاقة ما بين الخطاب و التفسير ؟

ث – ما بنية خطاب التفسير و ما سياقه الداخلي ؟ و ما هي الإجراءات اللغوية النسقية المحللة ؟

ج – ما هي آليات تحليل الخطاب في تفسير الشنقيطي؟ و ما إجراءات السياق الخارجي فيه؟ و أين مواطن الاتساق و الانسجام فيه؟

هذه إشكاليات و أسئلة نظرية تشكل كليات لها قابلية الانفراج عن طريق التحليل و المناقشة، و قد حاول بحثنا هذا أن يلج إلى مرافئ الإجابات، عبر منهجية محددة مكونة من تمهيد و بابين و في كل باب ثلاثة فصول، و هو ما سنتكلم عنه في هذا الصدد:

تمهيد: و عنوناه بـ:(**مدونة التفسير و الخطاب النقدي**)، و تعرضنا فيه إلى سياق هذا البحث من الأبحاث النقدية الأخرى التي تصب في نفس الاتجاه، و ذلك بمعاينة ما أمكن معاينته من القضايا التي طرحها النقاد الذين تناولوا التفسير القرآني، باحثين عن الحيثيات التي تؤطر موقعية دراستنا الراصدة للإشكاليات التي لم تستوف بحثاً، بحيث طرحنا مجموعة من القضايا، و حاولنا الإجابة عن بعض هذه الأسئلة، و قد اتبعنا المنهجية التالية في سير البحث:

الباب الأول: و عنوناه بـ:(**في الدراسات القرآنية و مفاهيم الخطاب و السياق**) . و في هذا الباب توجد ثلاثة فصول، و بالإمكان أن ندرجها كالتالي:

1–**الفصل الأول:** و عنوانه : (**في الدراسات القرآنية، مقاربة تصنيفية وصفية**)، في هذا الفصل بالذات، تطرقنا إلى محاولة إيجاز تلك الدراسات التي تناولت القرآن الكريم، لأن تناول هذا الجانب يتيح معرفة الأبعاد الأبستيمية لتنوع المجالات التي أشعها القرآن، أثناء هذا، حاولنا تكوين مفهوم للقرآن عبر مجموعة من التعاريف المتنوعة .

2–**الفصل الثاني:** و عنوانه : (**مفاهيم الخطاب، الأصول و الحدود و الآليات**)، في هذا الفصل خضنا في بيان مفاهيم الخطاب، لضرورة إدراك هذا الجانب، عبر من أسهموا في بناء قاعدة

لمصطلح الخطاب من نقاد و لغويين، عرب و عجم، لاتساع رقعة هذا المفهوم، بعد هذا تعرضنا لبعض المناهج النقدية التي عالجت الخطاب في مختلف صوره .

3-**الفصل الثالث**: و عنوانه : (**مفاهيم آلية السياق، المكونات الأنواع و الوظائف، يليه تعريف بالشنقيطي**)، حيث رجحنا آلية السياق عينة للدراسة، لهيمنته الكلية على تفسير الشنقيطي، فتعرفنا على مكوناته لدى اتجاهات مختلفة، و كذلك تطرقنا إلى أنواعه بحسب مختلف المجالات، و الوظائف المنوطة به، و قد أعقبنا هذا التناول بتعريف لصاحب المدونة و هو الإمام محمد الأمين الشنقيطي، بعد ذلك قادنا البحث إلى الجانب الإجرائي، و هذا الباب ينقسم بدوره إلى ثلاثة فصول.

الباب الثاني: و عنوناه ب:(**الآليات السياقية في أضواء البيان، تحديد المفاهيم النظرية**)، و هو يتضمن:

1-**الفصل الأول**، و عنوانه: (**آليات السياق البنيوية و الأسلوبية**)، و قد تناولنا فيه أنواعا مهمة من السياقات في إطارها النسقي من مثل : 1-السياق الإفرادي، و فيه : -السياق الصوتي المفرد-السياق الصرفي- السياق المعجمي .2-السياق التركيبي و فيه :- السياق الصوتي المركب- السياق النحوي و الوظيفي، ثم تناولنا السياق البلاغي و السياق الأسلوبي و سياق القراءات القرآنية .

2-**الفصل الثاني**، و عنوانه: (**آليات السياق الدلالية**)، و قد تناولنا فيه أنماطا من الآليات منها : الاشتراك - سياق التضاد - سياق المعرب -سياق التقابل الدلالي -سياق التضمن -سياق اللزوم أو الاقتضاء -السياق الإحالي -سياق الإجمال -سياق الترجيح -تخصيص العموم -سياق التناسب .

3-**الفصل الثالث**، و عنوانه: (**آليات السياق التداولية و غير اللغوية**)، و تناولنا فيه آليات تتصل بالإستراتيجية التداولية و منها :-سياق الافتراض -سياق الإضمار -سياق الفعل الكلامي -سياق الحجاج، و آليات أخرى خارج لغوية و منها : -سياق الاستشهاد بغير القرآن -معرفة علوم القرآن (سياق الموقف) -أسباب النزول -معرفة المكي و المدني -سياق الإعجاز .

و لتحقيق مقتضيات البحث فقد اعتمدت مجموعة من المصادر و المراجع، و بإمكاننا أن نورد بعضاً منها، فقد استوجب منا الأمر استعمال القرآن الكريم أولاً ، و تفسير أضواء البيان للشنقيطي ثانيا باعتبارهما المصادر الأولى، و في المعاجم استعملنا لسان العرب لابن منظور و صحاح الجوهري و محيط الصاحب بن عباد .. الخ، و في المراجع استعملنا البرهان للزركشي و إستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري و أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية لمحمد الشاوش و نظرية الأفعال الكلامية لهاشم الطبطبائي و الحجاج في القرآن لعبد الله صولة و لسانيات النص لمحمد خطابي و دينامية النص لمحمد مفتاح و نظرية النص لحسين خمري و دلالة السياق لردة الله بن ردة الطلحي و البلاغة الجديدة لمحمد العمري و الخطاب القرآني لخالدة العموش و نظرية السياق القرآني للمثنى عبد الفتاح و أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية لأحمد عزوز ..الخ ، و هذه بعض المراجع فقط إضافة إلى بعض المراجع الأجنبية و المجلات المحكمة و مواقع الأنترنت المتخصصة .

و لإتمام هذا البحث،كان لزاماً علي، تجاوز العديد من الصعوبات و المحاذير، يبقى في مقدمتها دوماً اقتناء التوثيق المتخصص و النوعي الذي يخدم الموضوع بشكل دقيق، بالإضافة إلى صعوبة المدونة، من حيث سماتها الموضوعية، التي تقوم على فهم النص القرآني، و هي فرصة كذلك لأشكر كل من ساعدني على تذليل هذه الصعاب حتى خرج هذا البحث إلى الوجود و بهذه الصورة، و أخص بالذكر هنا أستاذي الكريم المشرف على أطروحتي : لبوخ بوجملين، الذي ساعدني بتوجيهاته القيمة و قد كانت لي المعلم السديد الذي أضاء دربي في هذا البحث، و أشكر كذلك الأستاذ جلولي العيد، و الأستاذ خليفة محمد من جامعة الأغواط، و الأستاذ العيد أحمد من جامعة الجلفة، و الأستاذ شنين عزالدين مهدي، و كل من وسعهم صدري و أغفلهم قلمي ممن قدم يد المساعدة من قريب أو من بعيد، و ندعو الله أن يوفقنا و يسدد خطانا .

و الله ولي التوفيق

تمهيـد

مدونة التفسير و الخطاب النقدي

المنهجيـــــــة

- توطئة
- *لماذا التفسير القرآني بالذات ؟*
- *دراسات التفسير*
- *التفسير و مبدأ الانسجام*
- التفسير و الرؤية التداولية
- التفسير ما بين الجمالية و الفهم
- التجربة النصية لآليات التفسير و الشعر
- آلية السياق و فاعليتها على التفسير

توطئة :

يحظى تفسير القرآن الكريم بعديد الدراسات التي تناولته لاعتبارات شتى ، و يظهر من خلال المكتبة العربية أن الشق الفقهي و كذلك الجانب المتعلق بشؤون العقيدة و الشريعة قد أخذ النصيب الأوفر من هذه الدراسات، و مرد ذلك إلى حاجة الناس الملحة لفهم أمور دينهم و دنياهم منذ أن أصبح الإسلام دين البشرية إلى يومنا هذا ، و هذا الفهم يكون عن طريق التفسير و المفسر .. و بطبيعة الحال فلابد لأي مفسر أن ينحو من قواعد و مبادئ معينة تكون منهجه في تناول ظاهرة خطاب التفسير ... و هناك دراسات و أبحاث كثيرة تناولت خطاب التفسير من وجهات نظر متعددة .. غير أن بيان الوجهة الفقهية و العقائدية لا تعنينا في حد ذاتها باعتبار الدراسة تبحث عن الآليات التي بها يحلل خطاب التفسير ، إلا ما كان في خدمة قاعدة الانطلاق الأساسية و التي هي السياق بوصفه الآلية المهيمنة في تفسير الشنقيطي .. و لكن دعنا لا نستبق قواعد البحث ، و لنقل أن ما يعنينا من هذه الدراسات و الأبحاث ما كان يتجه باتجاه الخطاب النقدي سواء على المستوى اللغوي أو غير اللغوي و نريد به التداولي .

لماذا التفسير القرآني بالذات ؟

ثم أن هناك سؤالا مهما ينبغي أن يطرحه منطق هذا البحث قبل التطرق إلى قضية الدراسات ، و هو : لماذا اتجه النقاد و الباحثون إلى مدونة تفسير القرآن .. هل اتجاههم إلى هذه المدونة أملته طبيعة اهتمام البحث الخاص بكل واحد منهم .. أم أن تحليلهم لخطاب التفسير هو الغاية بذاتها لما يوجد فيه من خصائص تفرد بها عن غيره من الخطابات ، هذه الأسئلة و غيرها من الأسئلة المتوقعة ، سنؤجل محاولة الإجابة عنها حتى نتعرض لبعض الدراسات .. و بعد تقييم الجانب التطبيقي من البحث الذي يحاول الولوج إلى مدونة من خطاب التفسير و هو تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، بعدها تكون الأجوبة التقريبية في شكل نتائج .. و هذا في خاتمة البحث .

دراسات التفسير :

و أعراف البحث، كما الواجب، يفرضان على الدارس قبل التطرق إلى أي مسألة تخص موضوع البحث ، أن نذكر بعضا من هذه الدراسات المهمة و هي كثيرة لا يتسع المجال أن نلم بها في صفحات معدودة .. و لكن لا بأس في أن نلخص بعضا منها و مقياسنا في ذلك عنصرين هما : الجدة و الشيوع ، و ذلك حتى نربط محاولة بحثنا هذا بسياقها من تلك الدراسات ، و أن نجعلها فضلا على ذلك ممهدة

لما انطلقنا منه من أسئلة نظرية ، و بالتالي يكون البحث مسهما في الخطاب النقدي الذي مدونته تفسير القرآن الكريم ، و لا بأس في أن نورد بعضا من تلك الدراسات و الأبحاث التي تناولت خطاب التفسير على النحو التالي :

التفسير و مبدأ الانسجام :

لسانيات النص لـ : محمد خطابي : يبحث محمد خطابي من خلال كتابه لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب – في الآليات و الوسائل و العلاقات التي تجعل من القرآن كلاًّ واحداً ، يقول :" سنخصص هذا الفصل للبحث في كيفية تماسك النص القرآني ..على أن ما يهمنا بالذات هو استخراج بعض الوسائل و العلاقات و الآليات التي تفطن المفسرون إلى مساهمتها في جعل النص القرآني ، آيات و سورا ، كلا واحدا موحدا رغم اختلاف أوقات نزوله و أسبابه "[1] ، إذا هو يبحث في انسجام النص القرآني ، و يكون ذلك في اعتقاده عبر مدونة واسعة في الزمان و المكان " و على هذا الأساس اعتمدنا المؤلفات التالية :

- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري . الكشاف عن حقائق التأويل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، بيروت . لبنان .ط 1 . 1977 .
- محمد الرازي فخر الدين . التفسير الكبير . دار الفكر بيروت . لبنان . ط 1 . 1981 .
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . البرهان في علوم القرآن . دار الفكر . بيروت . لبنان . ط 3 . 1980 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .
- جلال الدين السيوطي .الإتقان في علوم القرآن . دار الفكر بيروت . لبنان . 1979 .
- جلال الدين السيوطي . تناسق الدرر في تناسب السور . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط 1 . 1986 (تحقيق عبد القادر أحمد عطا) .
- محمد الطاهر بن عاشور . تفسير التحرير و التنوير . الدار التونسية . تونس . 1984 ."[2]

و يبدي خطابي اهتماما بالغا لمفهوم علم المناسبة ، باعتباره المؤسس الأكبر لخاصية الانسجام في النص القرآني الذي هو في نظره كالكلمة الواحدة ، إذ أن خطـابي يبحث في الارتباطات

[1] محمد خطابي – لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ،المغرب، ط2، 2006 ، ص: 165.

[2] محمد خطابي – لسانيات النص، ص :165 ، 166 .

الموجودة بين الآيات و السور و الكلمات ، و السؤال الذي يطرحه هو "كيف أبرز المفسرون العلاقة بين الآيات تدليلا على تماسك النص القرآني ؟ و كيف برهن المصنفون في علوم القرآن على التماسك ؟ "[3]

و يجيب خطابي عن هذه الأسئلة عبر مقاربة تطبيقية في نصوص التفسير ، مارا بعديد الإجراءات و التي منها العطف بأصنافه من مثل عطف جملة على جملة ، و تعدد المعطوف عليه ، و العطف السببي ، و ينتقل إلى مفهوم الإحالة عبر الضمائر و الإشارة ، ثم إلى مفهوم التكرير وصولا إلى موضوع الخطاب الذي يتضمن تنظيم الخطاب و تغير موضوع الخطاب ، و بعد ذلك إلى ترتيب الخطاب و إلى العلاقات و نموذجها الإجمال و التفصيل ثم يتطرق إلى المناسبة و التناسب و هذا كله في قسم علم التفسير .. و خصص قسما ثانيا لعلوم القرآن يحتوي موضوع المناسبة ، و هو يركز على المناسبة بصورة جلية و بخاصة عند السيوطي إذ يمثلها بعلاقة الإجمال / التفصيل بين السور ، و في الاتحاد و التلازم و رد العجز على الصدر .

و يخلص إلى ما مفاده " أن الوسائل و العلاقات التي ينسجم بها الخطاب ، وفق المفسرين و المصنفين في علوم القرآن ، تنتمي إلى ثلاثة مستويات وصفية :

1 – المستوى النحوي :

- العطف .
- الإحالة .
- الإشارة .

2 – المستوى المعجمي :

- التكرير و وظيفته .
- بناء السورة على حرف أو حروف .

3 – المستوى الدلالي :

- موضوع الخطاب .

---

[3] المرجع نفسه، ص : 168 .

-تنظيم الخطاب .

-ترتيب الخطاب .

-العلاقات :

. البيان و التفسير .

. الإجمال و التفصيل .

. العموم / الخصوص .

معنى هذا أن المفسرين و المصنفين في علوم القرآن اهتموا بالاتساق الذي يندرج تحته المستويان النحوي و المعجمي و بالانسجام الذي يندرج تحته المستوى الدلالي ." [4]

و يوافق الخطابي في هذا المنحى النصي في مبدأ الانسجام ، باحث مغربي آخر هو الدكتور محمد مفتاح في كتابه دينامية النص و الذي خصص بحث الانسجام للجانب المتعلق بالناسخ و المنسوخ و من استعماله لبعض مفاهيم التحليل من مثل المقصدية و المماثلة و المشابهة و نوع العلاقة وصل إلى نتائج ولعل أهمها :

1- دينامية الخطاب : ... و إذ إن مفهوم الدينامية ينظر إلى الخطاب في بدايته و نموه و نهايته و آليات انتظامه كما ينظر إلى الكائن الحي في صيرورة مراحل عمره من حيث تعاونها و تنافرها و تساندها و تصارعها ، فإنه يصير من المنطقي النظر إلى تناسل النص من زاويتين :

- أولاهما : دينامية التنافي ... التناقض ، و التضاد ، و التضمن المتبادل ...
- ثانيهما : دينامية التثابت ... اثبات الحكم و نقضه ، أو نفي بعض صفاته أو الجمع بين السلب و الإيجاب أو التكامل ...

2- شمولية الدينامية : و يرى فيها أن الرسالة القرآنية لها مقصد وحيد جامع و هو ما يتيح مشروعية الشمولية من أوجه أن الأصوليين بينوا أن هدف الشريعة هو المحافظة على الدين ، و المتأمل لكلامهم يجد فيه هيمنة لثلاثة عناصر (الله – الرسول – الكتاب) .

3- و هذا الطرح يمكن من إبداء الكثير من الآراء التفسيرية و الفقهية و الكلامية القديمة و المعاصرة .. [5] .

---

[4] السابق، ص : 205 .

وفي حين نرى أن محمد خطابي يؤسس للسانيات نص عربية محورها مدونة عربية و إسلامية ، و من بينها التفسير القرآني ، فإننا نجد باحثا آخر ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقد ابتعد عن محايثة محمد خطابي ، إلى خارج النص عبر سياقاته و مقاماته و هو يستعمل إستراتيجية تداولية ممثلة في آلية الحجاج .

التفسير و الرؤية التداولية :

الحجاج في القرآن ل : عبد الله صولة ، ينطلق هذا الباحث من خلال كتابه الحجاج في القرآن – من خلال أهم مظاهره الأسلوبية — من أسئلة عديدة من بينها : " ما الحجاج ؟ و كيف يمكن أن يكون منه شيء في القرآن ؟ ... ما المقصود بالخصائص الأسلوبية ؟ و ما هي هذه الخصائص الأسلوبية التي نروم رصد بعدها الحجاجي في القرآن دون سائر ما فيه من مظاهر لغوية و قصصية و مضمونية عامة ؟ "[6] ، و في بداية بحثه يحاول تحديد مفهوم الحجاج و يتوصل إلى أنه قاسم مشترك ما بين الجدل و الخطابة .. و يتتبع الخصائص الأسلوبية للحجاج أولا من خلال المفردة و الكلمة المعجمية هذا في الباب الأول و مدونته تفسير القرآن و بخاصة تفسير التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور . و في الباب الثاني يتناول التركيب في القرآن : خصائصه و وجوه الحجاج فيه ، و هذا الباب مكون من ثلاثة فصول ، فالفصل الأول يعالج قضية العدول الكمي بالزيادة داخل الجملة و أبعاده الحجاجية و يقصد به ما يدخل الجملة من زوائد فضلا على الجملة الإسنادية من توكيد أو غيره ، و فيه الأبعاد المفهومية و الاقتضائية و التوجيهية ، و الفصل الثاني يعالج العدول الكمي بالزيادة بين الجمل و أبعاده الحجاجية ، و في الفصل الثالث يتناول العدول الكمي بالنقصان .. و في الفصل الرابع العدول النوعي و يقصد به " الانتقال من طريقة في التعبير إلى طريقة أخرى مختلفة عنها " [7] ، و يخصص الباب الثالث لقضية الصورة في القرآن : خصائصها و وجوه الحجاج فيها ، و الفصل الأول فيه يتناول مادة الصورة سواء من المجال الحسي أو من المقومات الثقافية و الرمزية لفكر المتلقين و الفصل الثاني فيه يعالج شكل الصورة في القرآن و أبعادها الحجاجية .. و طبعا يتكأ بحثه على نماذج تفسيرية و التفسير الرئيسي لديه تفسير الطاهر بن عاشور

---

[5] محمد مفتاح – دينامية النص (تنظير و إنجاز)، المركز الثقافي العربي ، ط 03 ، المغرب ، 2006 ،ص: من 220 إلى 223 .

[6] عبد الله صولة – الحجاج في القرآن، دار الفارابي ، ط 1 ، لبنان ، 2001، ص:07 .

[7] عبد الله صولة – الحجاج في القرآن ، ص: 423 .

التحرير و التنوير ، و يقول في آخر البحث : " إن العمل بمبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني قد وجد مجاله الأمثل في ما يسمى بـ (كتب مناسبات القرآن) و ما كان على صلة بها مثل كتب (المتشابه) و حتى كتب (الوجوه و النظائر) و غيرها .

غير أننا في هذا الكتاب غلبنا المبدأ الآخر المناهض لمبدأ الانسجام أعني المبدأ التداولي إذ كان همنا لا البحث في مدى نحوية الخطاب القرآني بل البحث في مدى تأثيره و كتب التفسير هي سندنا في معظم الأحيان "[8] .

التفسير ما بين الجمالية و الفهم :

أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ و المعنى في خطاب التفسير ، ل : د. أحمد الودرني : وهذا كتاب آخر يستفيض في دراسة خطاب التفسير و نموذجه في ذلك الطبري و يقول في مقدمة كتابه : " نروم في هذا البحث تجاوز المستوى العادي للفهم : Le niveau ordinaire de compréhension. لذلك فإننا نروم في هذا البحث تجاوز المستوى العادي لفهم المعنى القرآني المرتبط بنشأة التفسير إلى مستوى آخر موصول بمرحلة نضج فيها التفسير و خرج عن نهج البحث العفوي : Méthode de recherche spontanée. إلى نهج البحث العالم : Méthode de recherche savante من خلال جهود مفسر قوي الشكيمة تحول التفسير بفضله إلى علم فاستحال معه الفهم إلى فلسفة : Une philosophie de compréhension . إن ذلك المفسر هو محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) صاحب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) " [9] .

و محور اهتمام الودرني هو الطابع الفني في النص المقدس ، " إننا نطلب الفهم الأوفى لقضايا الشعر و الشعرية و الأدب و الأدبية و الجمال و الجمالية من خلال النص القرآني بحثا عن المعايير التي تحكم القول الجميل و التي سيعتمدها النقاد القدامى أصولا يحددون في ضوئها قواعد القول

[8] المرجع نفسه : 620 .

[9] أحمد الودرني – أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ و المعنى في خطاب التفسير،دار الكتب الوطنية ،ط 1، ليبيا ،2005، ص: 05

الأدبي شعرا كان أم نثرا علما و أن النص المقدس يمثل نوعا من الكتابة التي لا تنطبق عليها قواعد أي جنس من الأجناس الأدبية و الفنية المعروفة لأنه عبارة عن مجمع لكل تلك الأجناس "[10] .

و طرح من هذا القبيل يسيره الوعي بما هو واقع بين التأويل و الجمالية يقول في هذا : " إن طموحا منهجيا كهذا يغذيه وعينا بالجدلية بين الهيرمينوطيقي و الجمالي ، و هذا الوعي نما لدينا من رافدين : رافد قديم يتمثل في اقتناع – أفرزته مدارستنا للمدرسة القديمة – بأن مقومات التجربة الجمالية عند العرب – و من ورائها مقومات نظريتهم الشعرية و النقدية عموما – لا يستقيم فهمها إلا في ضوء تجربتهم للفهم . فحدث الفهم L'acte de comprendre . هو السبيل إلى الحدث الشعري L'acte poétique في إطار الجدلية المستمرة بين المفهوم و الجميل . Le compréhensible et le beau و رافد حديث يتمثل في جهود منظري الجمالية في زماننا أمثال يوس و إيزر الألمانيين "[11] .

أما فيما يخص سير بحثه فكل تركيزه منصب على المستوى النحوي ، منطلقا من بنية الكلمة ممثلة في الفعل و الاسم و معاني الكلمات و هذا في الفصل الأول ، أما في الفصل الثاني فيعالج قضية النظم و تنويعات المعنى سواء التركيبي أو المجازي .. و آليته في ذلك الجداول و الإحصاء ، و يخلص في الأخير إلى محاولة ضبط الخصائص العامة لرؤية العرب الجمالية في النظرية النقدية و يراها هو تتمثل في : نبذ التلبيس و القول بظاهر الكلام ، و القول بمشهور الكلام عند العرب و العدول عن غير المتواتر في خطابهم ، و صحة المعنى .

التجربة النصية لآليات التفسير و الشعر :

نظرية النص – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، ل : د. حسين خمري : و قد مرت حالته البحثية بثلاث مراحل : " مرحلة التلقي ، فمرحلة التأويل ثم مرحلة التبليغ "[12] ، و هو يبحث في كتابه هذا عن مفهوم قار للنص ، باعتبار أن نظرية النص بديل لنظرية الأدب في نظره و هو يقول في هذا الإطار : " و قد جاءت نظرية النص لإصلاح بعض المنظورات النقدية و

[10] المرجع نفسه : 07 .

[11] المرجع نفسه : 08 .

[12] حسين خمري – نظرية النص، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، الجزائر ، 2007، ص : 10 .

السياقات الفلسفية التي تناولت الخطاب الأدبي و كرد فعل على التصلب المنهجي و النقد الراديكالي فتجاوزت بذلك مقولة الأجناس الأدبية التي حددت خصائصها منذ عهد أرسطو و ركزت على مفهوم النص كمقولة أدبية أساسية .

إن نسبية المناهج الحداثية قد جعلتها قابلة للمراجعة و التجاوز لأنها لا تدعي امتلاك الحقيقة النهائية بل تقدم نفسها كقراءة ، أي باعتبارها احتمال من بين احتمالات عديدة (انفتاح النص)"[13].

ثم يربط حسين خمري ما بين النص المقدس (القرآن) و نص (التفسير) بقوله : " و في كل التفاسير يمكن أن نلاحظ انزياحا بين النص الأصلي (باعتباره لغة ذات محمولات دلالية متعددة) و نص التفسير (باعتباره لغة شارحة لمستويات اللغة الأولى) . و هذا كي لا يحصل ذوبان النص الأصلي في نصوص تفسيراته (الواحد/المتعدد) ... كما يمكن أن نقول إن نص التفسير يتخذ من النص الأصلي علة لإنتاج خطاب جديد . و يعرف المبرر Prétexte بأنه مجموع شروط الإنتاج التي تحيط العمل و تعطيه معنى .. يقترب في مفهومه من مفهوم السياق Contexte الذي يلعب هو أيضا دورا حاسما في تحديد شروط إنتاج النص و كذا في تلقيه و تداوله " [14]، و يعقد خمري مقارنة ما بين النص الشعري و النص القرآني و ذلك عبر قراءات بعض الأدباء و علماء الأصول و المفسرين من مثل الباقلاني و ابن قتيبة و الزركشي وابن رشيق .

و يتناول حسين خمري بعض المحاولات التأسيسية للجهاز المفاهيمي البلاغي ممثلة في النموذج التأسيسي (الباقلاني) من خلال تفسيره إعجاز القرآن .. و يظهر فيه أن الباقلاني قد زاوج فيه بين مدونتين هما الشعر : قصائد امروء القيس و البحتري ، و القرآن . و ذلك بغية بيان السبق و بيان وجه الإعجاز للقرآن بمقارنته بأنماط تعبيرية أخرى مثل الشعر ، و محاولة خمري في هذا التفسير تتجه إلى الطريقة التي حلل بها الباقلاني قصيدتي امرئ القيس و البحتري لملاحظة مدى التوازي في التحليل باعتبار أن الباقلاني مفسرا للقرآن .. و مدى توارد الآليات من تحليل آخر هل الآليات هي نفسها .. و يقول استنتاجا لملاحظته : " إن أهم ما نستنتجه انطلاقا من درس الباقلاني للقصيدتين هو أنه و إن كان ينطلق من فكرة أساسية مؤداها أن نظم القرآن جنس متميز و أسلوب متخصص

---

[13] المرجع نفسه : 12،13 .

[14] المرجع نفسه : 85 ، 86 .

يباين جميع الأساليب ، فإنه رغم ذلك قد تطرق إلى جانب من أهم الجوانب (أدبية النص) (و هو النظام) " [15] .

آلية السياق و فاعليتها على التفسير :

نظرية السياق القرآني ، لـ : الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود :كما يظهر في العنوان فإن عبد الفتاح يحاول استقصاء نظرية السياق القرآني عبر عديد المدونات التفسيرية و هو يقول في هذا الإطار : " و قد انصب بحث هذه النظرية في جانب مهم و أصيل في علم التفسير ألا و هو جانب الترجيح الدلالي – إن لم يكن هو الجانب الأهم – ، فالسياق القرآني مرجح دلالي كما أن الرواية الصحيحة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مرجح دلالي ، فكان تركيز النظرية على هذا الجانب باعتباره الركن الركين ، و الأساس القويم للسياق القرآني ، فوظيفة السياق الأولى ، بيان المعنى الراجح من المرجوح ، فقد ازدحمت كتب التفسير بأقوال شتى، منها المحتمل و منها غير المحتمل ، منها الراجح و منها المرجوح ، فكان لابد أن يأخذ السياق موقعه و دوره في بيان الراجح من المرجوح ، ليقلل من تلك الأقوال المتكاثرة التي حشيت بها كتب التفسير "[16] ، و يقف عبد الفتاح وقفات مع المفسرين قراءة و نقدا من أمثال الشوكاني و السيوطي و الشاطبي و الرازي و الألوسي و الزمخشري و الطبري و الفراء و القرطبي و الطاهر بن عاشور و الشيرازي و القاسمي و ابن كثير و أبو زهرة .. و هذا حتى يخرج باستنتاج مهم و هو أن المفسرين لم يأخذوا بآلية السياق في تحليلهم للخطاب القرآني و مرد ذلك إلى : [17]

1- سبب فكري كتعصب المفسر لمذهبه و تمسكه برأي المذهب دون أن يلتفت للسياق القرآني .
2- سبب نقلي كإعمال الروايات الضعيفة ، أو الصحيحة التي لا تعلق لها بالسياق .
3- سبب سلبي كعدم الالتفات للسياق القرآني .

و لا ندري لماذا لم يتنبه الدكتور عبد الفتاح لوجود تفسير مهم للغاية آليته الوحيدة هي السياق، و هو تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ، فلم يأت بأي إشارة تشير إلى هذا

---

[15] السابق، ص : 360 .
[16] المثنى عبد الفتاح محمود – نظرية السياق القرآني ، دار وائل للنشر ، ط 1 ، الأردن ، 2008 ، ص: 07 .
[17] المرجع نفسه : 06 .

الكتاب لا من قريب و لا من بعيد .. و رغم هذا فقد توصل الباحث إلى بعض النتائج المهمة بالإمكان إيجازها على النحو التالي : [18]

1- السياق القرآني هو : " تتابع المعاني و انتظامها في سلك الألفاظ القرآنية ...
2- السياق القرآني مصطلح قائم بذاته يحمل معنى واضحا ...
3- يعد السياق القرآني أحد أعمدة الترجيح الأساسية في منهجية المفسر ...
4- السياق القرآني هو امتداد للقول بأن القرآن ترتيبه توقيف من الله ...
5- يضبط السياق القرآني فهم المتلقي ...
6- احتكم المفسرون عموما للسياق القرآني ...
7- للسياق القرآني فوائد عدة .. توجيه المتشابه .. التنوع الدلالي .. الترجيح الدلالي .. دفع شبهة التكرار المعنوي .. نقد الروايات .. تخصيص العام .. دفع الأوهام ..
8- خرجت طائفة من المفسرين عن السياق القرآني ...
9- السياق القرآني هو الطريق القويم و الشرعة الصحيحة .

و هكذا هي الاتجاهات التي تناولت التفسير في عمومها ، تناولنا بعضها على سبيل التمثيل فقط و ليس على سبيل الحصر .. و هي اتجاهات تبدو متضاربة و ليست متماثلة في منطلقاتها أو في نتائجها أو في طريقة التناول و المقصود منهجية البحث ، و هذا كله يرجع لطبيعة البحث في حد ذاته .. و يرجع أيضا لطبيعة اهتمام الباحث ، مع أنه يوجد دراسات غير هذه الدراسات اهتمت بنفس المدونة (أضواء البيان) و هي موضوع رسالة تخرج في المملكة الأردنية بعنوان : دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان لصاحبها : أحمد لافي فلاح المطيري .. و قد وقعت بين أيدينا نسخة مصورة إلكترونية منها بصيغة pdf ، و هذا لما انتهينا من إعداد البحث كلية ، مع أننا بحثنا عنها قبل أن نباشر العمل، و الذي وجدناه أن الوجهة التي كانت تقود المطيري هي وجهة أخرى غير وجهتنا، فتخصصه في التفسير جعله يتناول ما يتصل بعلوم القرآن دون التركيز أكثر على الجانب اللغوي، أما تناولنا يسعى إلى بحث السياقات اللغوية و غير اللغوية . و هناك دراسة أخرى أيضا بعنوان : السياق القرآني و أثره في التفسير من خلال تفسير ابن كثير، لصاحبها عبد

---

[18] السابق، ص : 397 ، 398 .

الرحمان عبد الله المطيري، في جامعة أم القرى بالسعودية و هي تركز تركيزا كليا على بعض سياقات علوم القرآن فقط، فلا نجد ذكرا للسياقات اللغوية ، و هذا راجع إلى تخصصه في علوم التفسير أيضا .

و لكن السؤال المطروح هو : هل بإمكاننا أن نعتبر الدراسات الآنفة الذكر مولدة لآليات معينة مستخرجة من الخطاب القرآني ؟ هل هناك آليات في تلك التفاسير تصلح لتحليل جميع الخطابات ؟

لا يمكننا أن نجيب عن هذه الأسئلة بسهولة و يسر اكتفاء بما هو موجود في الأبحاث التي سبقت ، و ذلك حتى يتوصل بحثنا لنتائج من خلال ولوجه لمدونة تفسير الشنقيطي ، و لكن دعنا قبل ذلك أن نتعرف على ما هو سائد و مشهور من الدراسات القرآنية و كذلك على بعض المفاهيم التي تخص الخطاب و بعض المفاهيم التي تخص آلية السياق و هذا كله في الباب الأول .

الباب الأول

في الدراسات القرآنية و مفاهيم الخطاب و السياق

الفصل الأول

(الدراسات القرآنية، مقاربة تصنيفية وصفية)

– توطئة

– محاولة لتحديد مفهوم القرآن

– التفسير في اللغة و الاصطلاح

– الدراسات القرآنية

– خطاب التفسير

– التأصيل العلمي من خلال القرآن الكريم

– دراسات الإعجاز القرآني

– الدراسات الفكرية و التأملية

– ملاحظات في الدراسات القرآنية

1- توطئة :

تتنوع الدراسات القرآنية تنوعا ملحوظا ، آخذة في اعتبارها مقتضيات وجهة التناول و كذلك من حيث مقررات المنطلق التي اتخذتها الدراسة القرآنية أرضية لها .. و سبب هذا التباين راجع إلى طبيعة المدونة التي هي القرآن ، و هو راجع كذلك لطبيعة و خصوصية الاتجاه الذي يتبناه الدارس للظاهرة

القرآنية ، فيطُرح السؤالان التاليان فنقول : ما هو القرآن ؟ و ما هي اتجاهات و مذاهب الدراسات القرآنية ؟

نبدأ بمحاولة الإجابة عن السؤال الأول :

أخذ القرآن الكثير من التعريفات التي تحاول تكوين مفهوم محدد له ، و هذه التعريفات تعريفات لغوية و تعريفات اصطلاحية في جانبها الآخر ، غرضها بيان المعنى الحرفي الذي اشتق منه لفظ القرآن و ما يرادف معناه الحرفي ، و التعريفات الاصطلاحية تحاول أن تكون جامعة مانعة ، و ذلك بضبط حد المصطلح بما يشمل مصدره ، و بنيته الحملية ، و خصائصه التي تميزه ، و غرضه الذي جاء من أجله و البداية تكون من المعنى الحرفي من خلال المعاجم .

2- محاولة لتحديد مفهوم القرآن :

القرآن لغة :

وردت لفظة القرء في كتاب العين للخليل بن أحمد بمعنى القرآن يقول : " قرء: وَقَرْأْتُ القرآن عن ظهر قلْبٍ أو نظرت فيه، هكذا يقال ولا يقال: قَرأت إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث .وَقَرأ فلان قِراءةً حسنة ، فالقرآن مقروءٌ ، وأنا قارئٌ . ورجل قارئٌ عابد ناسك وفعله التَّقّي والقِراءة "[19] .

و ورد لفظ القرآن في صحاح الجوهري بمعنى الجمع و القراءة " و قرأت الشيء قرآنا ، جمعته و ضممت بعضه إلى بعض ، و منهم قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، و قرأت الكتاب قراءة و قرآنا ، و منه سمي القرآن ، و قال أبو عبيدة : سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها ، و قوله تعالى : ﴿إن علينا جمعه و قرآنه﴾ (القيامة:17) ، أي جمعه و قراءته ، ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ (القيامة:18) ، أي قراءته ، قال ابن العباس و أقراك السلام بمعنى . و أقرأه القرآن فهو مقرئ "[20] .

---

[19] الخليل بن أحمد الفراهيدي –كتاب العين، ج5، مادة : قرء ، مؤسسة دار الهجرة، ط02، إيران، 1409 هـ ، ص :204 .

[20] إسماعيل بن حماد الجوهري – الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، مادة : قرأ ، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2009 ، ص:924 .

في قاموس المحيط للفيروزآبادي : " القرآن التنزيل . قرأه ، و قرأ – به ، كنصره و منعه ، قرءا و قراءة و قرآنا ، فهو قارئ من قرأة و قراء ، و قارئين : تلاه ، كاقترأه ، و أقرأته أنا. و صحيفة مقروءة و مقروة و مقرية . و قارأه مقارأة و قراء : دارسه " 21 ، فنلاحظ أن الفيروزآبادي ينتصر للمرادف القراءة أيضا .

و جاء أيضا على معنى القراءة و الجمع في لسان العرب لابن منظور ، يقول : " قرأَ: القُرآن: التنزيل العزيز، وإِنما قُدِّم على ما هو أَبْسَطُ منه لشَرفه . قَرأَه يَقْرَؤُه ويَقْرُؤُه الأَخيرة عن الزجاج، قَرْءاً وقِراءةً وقرآناً، الأُولى عن اللحياني، فهو مَقْروء."

أَبو إِسحق النحوي: يُسمى كلام الله تعالى الذي أَنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كتاباً وقُرآناً وفُرقاناً ، ومعنى القُرآن معنى الجمع ، وسمي قُرْآناً لأَنه يجمع السُّور ، فيَضُمُّها. وقوله تعالى : ﴿إِنَّ علينا جَمْعه وقُرآنه﴾ ، أَي جَمْعَه وقِراءَته ، ﴿فإِذا قرأْناه فاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾ ، أَي قِراءَتَه . قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإِذا بَيَّنَّاه لك بالقراءة، فاعْمَلْ بما بَيَّنَّاه لك ، فأَما قوله :

هُنَّ الحَرائِرُ، لا رَبَّاتُ أَخْمِرةٍ ، سُودُ المَحاجِرِ، لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ

فإِنه أَراد لا يَقْرَأْنَ السُّوَر ، فزاد الباء كقراءة من قرأَ : ﴿تُنْبِتُ بالدُّهْن﴾ وقِراءة من قرأَ: ﴿يَكادُ سَنَى بَرْقِه يُذْهِبُ بالأَبْصار﴾ ، أَي تُنْبِتُ الدُّهْنَ ويُذْهِبُ الأَبصار . وقَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً : جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إِلى بعض . ومنه قولهم : ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سَلًى قَطُّ ، وما قَرَأَتْ جَنِيناً قطُّ ، أَي لم يَضْطَمَّ رَحِمُها على ولد ، وأَنشد : هِجانِ اللَّوْنِ لم تَقْرَأْ جَنِينا ، وقال : قال أَكثر الناس معناه لم تَجْمَع جَنيناً أَي لم يَضطَمَّ رَحِمُها على الجنين. قال ، وفيه قول آخر: لم تقرأْ جنيناً أَي لم تُلْقِه . ومعنى قَرَأْتُ القُرآن : لَفَظْتُ به مَجْمُوعاً أَي أَلقيته . وروي عن الشافعي رضي الله عنه أَنه قرأَ القرآن على إِسمعيل بن قُسْطَنْطِين ، وكان يقول: القُرآن اسم ، وليس بمهموز . ولم يُؤْخذ من قَرَأْت ، ولكنَّه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإِنجيل ويَهمز قرأْت ولا يَهمز القرآنَ ، كما تقول إِذا قَرَأْتُ القُرآنَ. قال وقال إِسمعيل : قَرَأْتُ على شِبْل ، وأَخبر شِبْلٌ أَنه قرأَ على عبد الله بن كَثِير ، وأَخبر عبد الله أَنه قرأَ على مجاهد ، وأَخبر مجاهد أَنه قرأَ على ابن عباس رضي الله عنهما ، وأَخبر ابن عباس أَنه قرأَ على أُبَيّ ، وقرأَ أُبَيّ على النبي *صلى الله* عليه وسلم . وقال أَبو بكر بن مجاهد المقرىء: كان أَبو عَمرو بن العلاء لا يهمز القرآن ،

---

[21] مجد الدين بن محمد الفيروزآبادي – القاموس المحيط، مادة : قرأ ، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2008 ، ص: 1298 .

وكان يقرؤه كما َروى عن ابن كثير . وفي الحديث : أَقْرَؤُكم أُبَيٌّ. قال ابن الأَثير : قيل أَراد من جماعة مخصوصين ، أَو في وقت من الأَوقات ، فإِنَّ غيره كان أَقْرأَ منه . قال : ويجوز أَن يريد به أَكثرهم قِراءَة ، ويجوز أَن يكون عامّاً وأَنه أَقرأَ الصحابة أَي أَتْقَنُ لِلقُرآن وأَحفظُ . و رجل قارىءٌ من قَومٍ قُرَّاءٍ و قَرأَةٍ وقارِئِين .

وأَقْرَأَ غيرَه يُقْرِئه إِقراءً . ومنه قيل: فلان المُقْرِئُ . قال سيبويه : قَرأَ واقْتَرأَ ، بمعنى ، بمنزلة عَلا قِرْنَه واسْتَعْلاه . وصحيفةٌ مَقْرُوءَةٌ ، لا يُجيز الكسائي والفَرَّاءُ غيرَ ذلك، وهو القياس . وحكى أَبو زيد : صحيفة مَقْرِيَّةٌ ، وهو نادر إِلا في لغة من قال قَرَيْتُ. وقَرأْتُ الكتابَ قِراءَةً وقُرْآناً ، ومنه سمي القرآن. وأَقْرَأَه القُرآنَ، فهو مُقْرِىءٌ . وقال ابن الأَثير: تكرر في الحديث ذكرالقِراءَة و الاقْتِراءِ و القارِئِ والقُرْآن، والأَصل في هذه اللفظة الجمع ، وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه فقد قَرَأْتَه. وسمي القرآنَ لأَنه جَمَعَ القِصَصَ والأَمْرَ والنهْيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسوَر بعضَها إِلى بعضٍ ، وهو مصدر كالغُفْرانِ والكُفْرانِ " 22 .

هذه كلها تعاريف لغوية مستقاة من المعاجم العربية المعهودة ، و الملاحظ فيها أن أغلبها يريد بالقرآن معنى القراءة و بعضها يضيف معنى الجمع الذي هو ضم الشيء للشيء إلى معنى القراءة ، و لكن المعنى اللغوي للفظة غير كاف للنظر في حد المصطلح على الصورة التحديدية الدقيقة ، لذلك فإننا سنلجأ إلى المعنى الاصطلاحي .. و لكن هناك اختلافاً بيناً و واضحاً في المعاني الاصطلاحية لكلمة القرآن ، و هذه التباينات مرجعها إلى الأصول التي ينطلق منها كل فقيه أو مفسر أو باحث – و هي التي ستكون المحدد في التناول الوصفي التصنيفي – و سنتناول عددا من هذه التعاريف الاصطلاحية على النحو التالي :

القرآن اصطلاحا :

و القرآن كما هو مصطلح عليه بين العلماء و الفقهاء و القراء سهل القراءة و المذاكرة ، و له أسماء يسمى بها " قال الله تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾القمر: 17، 22، 32، 40،. وسمى الله تعالى القرآن كريماً فقال تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم ﴾ وسماه حكيماً ، فقال تعالى: ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ يس: ١ ، وسماه مجيداً فقال تعالى: ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ ق:1. أنزله الله تعالى على سيد الأنام وخاتم الأنبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، فكان من أعظم معجزاته أن

[22] ابن منظور الإفريقي – لسان العرب، مادة : قرأ ، دار المعارف ، د ر ط ، القاهرة ، 1981 ، ص: 3563 .

أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الإتيان بآية من مثله، قال تعالى: ﴿ قل فأتوا بسورة من مثله ﴾ البقرة: 23 ، وقال تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الإسراء: 88 ، فهو النور المبين والحق المستبين لا شيء أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من إفادته ولا ألذ من تلاوته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم. وقال أيضاً: أصغر البيوت بيت صغر من كتاب الله تعالى . وقال الشعبي: الذي يقرأ القرآن إنما يحدث عن ربه عز وجل " 23 .

و الرسول الأعظم و النبي الكريم محمد عليه الصلاة و السلام يقول فيه : " عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشرة حسنات ، أما إني لا أقول الم حرف ولا ألفين أحدكم واضعا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله . وقال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مأدبة ... وروى البخاري عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ... وقال البخاري : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة "24

أسماء القرآن الكريم وصفاته :

1. القرآن : في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الواقعة : الآية : 77).

2. الكتاب: في قوله تعالى : ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الكِتَٰابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة البقرة: الآية الأولى) .

3. الذكر : في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾(سورة الحجر: الآية 9) .

[23] شهاب الدين أحمد الأبشيهي – المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة محمود توفيق، درط، مصر، 1933 ، ص: 17 .

[24] محمد بن أحمد القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ، ج 1، دار إحياء التراث ، ط 2 ، لبنان ، 1985، ص: 5 و 6 .

4.الفرقان : في قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾(سورة الفرقان : الآية الأولى).

5. النور: في قوله تعالى :﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾(سورة التغابن : الآية 8) .

و من أسمائه الواردة في القرآن نفسه : بشرى (البقرة /97) ، علم (البقرة/145) ، العروة الوثقى (البقرة/256) ، حقّ (آل عمران/62) ، حبل الله (آل عمران/103) ، بيان للناس (آل عمران/138)، منادي (آل عمران/193) ، نور مبين (النساء/174) ، مهيمن (المائدة/48) ، عدْل (الأنعام/115)، صراط مستقيم (الأنعام/153) ، بصائر (الأعراف/203) ، كلام الله (التوبة/6) ، حكيم (يونس/1)، موعظة (يونس/57) ، هدى ورحمة (يونس/57) ، عربي (يوسف/2) ، قصص (يوسف/2) ، بلاغ (إبراهيم/52) ، هدى (الإسراء/9) ، شفاء (الإسراء/82)، قيّم (الكهف/2) ، وحي (الأنبياء/45) ، ذكر مبارك (الأنبياء/50) ، زبور (الأنبياء/105) ، الفرقان (الفرقان/1) ، تنزيل (الشعراء/192) ، أحسن الحديث (الزمر/23) ، مثاني (الزمر/23) ، متشابه (الزمر/23) ، الصدق (الزمر/23) بشير ونذير (فصلت/4) ، عزيز (فصلت/41) ، روح (الشورى/52) ، عليٌّ حكيم (الزخرف/4) ، كتاب مبين (الدخان/2) ، حكمة (القمر/5) ، قرآن كريم (الواقعة/77) ، أمر الله (الطلاق/5) ، تذكرة (الحاقة/48) ، عجبٌ (الجن/1) ، نبأ عظيم (النبأ/2) ، صحف مكرمة (عبس/13) ، مرفوعة مطهرة (عبس/14) ، مجيد (البروج/21) ، قول فصل (الطارق/13) .

ومن صفات القرآن الكريم :

1.المبارك : في قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾(سورة الأنعام : الآية) .

2.هدى ، ورحمة : في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾(سورة لقمان : الآية 3) .

3.الكريم : في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(سورة الواقعة : الآية 77) .

4.الحكيم : في قوله تعالى : ﴿الر * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾(سورة يونس: الآية : 1) .

5.الفصل : في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾(سورة الطارق : الآية 13)

و يقول محمد الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات : " القرآن هو المنزل على الرسول ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة ، و القرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها " 25 .

و يقول التهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون : القرآن " بالضم اختلف فيه . فقيل هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز و به قرأ ابن كثير و هو مروي عن الشافعي . و قيل هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء سمي به لقران السور و الآيات و الحروف فيه . و قال الفراء هو مشتق من القرائن و على كل تقدير فهو بلا همزة و نونه أصلية . و قال الزجاج هذا سهو و الصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ، و نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها . و اختلف القائلون بأنه مهموز ، فقيل هو مصدر لقرأت سمي به الكتاب المقروء من باب تسميته بالمصدر . و قيل هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع كذا في الإتقان . قال أهل السنة و الجماعة : القرآن و يسمى بالكتاب أيضا كلام الله تعالى غير مخلوق و هو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا مسموع بآذاننا غير حال فيها أي مع ذلك ليس حالا في المصاحف و لا في القلوب و الألسنة و الآذان ، لأن كلام الله ليس من جنس الحروف و الأصوات لأنها حادثة ، و كلام الله صفة أزلية قديمة منافية للسكوت الذي هو ترك التكلم مع القدرة عليه و الآفة التي هي عدم مطاوعة الآلات بل هو معنى قديم قائم بذات الله تعالى يلفظ و يسمع بالنظم الدال عليه و يحفظ بالنظم المخيل و يكتب بنقوش و أشكال موضوعة للحروف الدالة عليه ... " 26

و يقول أبو البقاء الكفوي معرفا القرآن في كتابه الكليات بأن القرآن هو : " وهو كتاب الله المنزل على محمد ، و نقله أهل الأصول إلى القدر المشترك بين الكل و الجزء ثم نقله أهل الكلام إلى مدلول المقروء ، و هو الكلام الأزلي القائم بذاته المنافي للسكوت والآفة وقال بعضهم : القرآن لغة : اسم لكل مقروء إذا نكر وشرعا : اسم لهذا المنزل العربي إذا عرف باللام فعلى هذا يطلق على كل آية و لو قصرت وعرفا : اسم لهذا المنزل العربي المعجز ، فلا يطلق إلا على سورة أو آية مثلها وفي " التلويح " هو في العرف العام : اسم لهذا المجموع عند الأصولية ، وضع تارة للمجموع ، و تارة لما يعم الكل والبعض ،

[25] محمد الشريف الجرجاني –كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، درط ، لبنان ، 1985 ، ص: 181 .

[26] محمد علي التهانوي –كشاف اصطلاحات الفنون، ج2 ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، لبنان ، 1996 ، ص: 1306 .

فيكون القرآن حقيقة فيهما باعتبار وضع واحد والقرآن شائع الاستعمال في اللفظ ، و كلام الله تعالى حقيقة في المعنى النفسي ، ومجاز في اللفظ الدال عليه"[27] .

و يجمل عبد الكريم الخطيب القول في القرآن ، بأنه :[28]

قال قتادة : القرآن معناه التأليف .. يقال : قرأ الرجل إذا جمع و ألف قولاً ، و بهذا فسر قتادة قوله تعالى : ﴿إنا علينا جمعه و قرآنه﴾ أي تأليفه ..

و قيل : القرآن .. مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا .. يقال : قرأ يقرأ ..

و قيل هو اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله تعالى ، فهو غير مهموز ، و به قرأ ابن كثير (قُران) — من غير همز — و هو مروي عن الإمام الشافعي .

و قال قوم منهم الأشعري : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، و سمي به القُران .. — من غير همز —

و قال الفراء هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ، و يشابه بعضها بعضاً ، و هي قرائن ، و هو غير مهموز .

و الذي نراه .. أن القرآن مصدر للفعل قرأ قراءة و قرآنا ، أي حرك لسانه بالكلام ..

من خلال استعراضنا المحدود لهذه التعريفات و التي تشكل في مجملها أرضية للمفهوم القرآني، تتضح لنا معالم إشكالية معينة ، لها علوق مباشر بما في خصائص هذه المدونة التي وصفت بأنها عظيمة و بأنها فوق ما يستطيعه البشر ، و على أساس معطياته نتجت دراسات و تفاسير تعددت بتعدد الوجهات و المشارب ، فالمدونة واحدة ، و الدراسات حولها لم تحص لحد الآن ، و قد " بدت الدراسات التفسيرية و التحليلية للقرآن وخطابه في يوم من الأيام كما لو أنها نضجت واحترقت وأشبعت بحثا ، فالمدونة التفسيرية للقرآن الكريم تشكل أكبر إنتاج علمي في تاريخ الإسلام ، وعلى الرغم من التنويعات المنهجية المحدودة (لغوية وتراثية) فإن الباحثين في التفسير يجدون أنفسهم أمام هذا الكم الهائل

[27] أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي– الكليات، مؤسسة الرسالة، درط ، لبنان ، 1998 ، ص: 720 .
[28] عبد الكريم الخطيب – القرآن نظمه و جمعه و ترتيبه، دار الفكر العربي ، درط ، القاهرة ، 1972 ، ص: 01 .

من كتب التفسير عاجزين عن تقديم الجديد " 29 ، على حد قول الباحث عبد الرحمان الحاج ، و البغية الأساسية هي استقصاء الدلالة عن طريق الفهم ، و المعنى بطبيعة الحال ليس واحدا ، فهو سيل غزير من المغازي القابلة للقراءة و الأسرار الرائعة ، و"مع تراكم البحث في دلالة النّص القرآني ، أخذ علماء الإسلام في تأسيس قواعد لتناول النّص وقراءته/ تأويله. فقد كان علم أصول الفقه قد درس «الخطاب» كنّص ، وجمل ، ومفردات . فتناول بذلك المستويات الثلاثة لبناء «الخطاب» القرآني ، وهو العلم الوحيد في العلوم الإسلامية الذي تجاوز الجملة لتقعيد الدراسة في النّص القرآني بشكل منهجي ، بل إنه كان واعياً تماماً لمفهوم النّص إلى الدرجة الكافية لتتعامل معه . فالمهمة التي نذر أصول الفقه نفسه لها منذ البداية هي النّص، وليس تقعيد اللغة ، التي تعتبر بالنسبة له مقدِّمات ضرورية وعندما تقدم البحث فيه ، تكشّف عن مناهج متعددة (اعتزالية، حنفية، شافعية،....)"30 ، فيظهر لنا أن المدونة القرآنية كان بسببها اختلاق لرؤيات قرائية متباينة من قبل الإيديولوجيات التي اطمأنت لقواعد معينة سواء كانت دينية أو عقلية منطقية أو غيرها ، في التعامل مع النص ، و من ثمة الخطاب القرآني الشمولي .. و هذا الطرح الخلافي له أسسه التي نتحينها ، لتكون هذه الأسس هي القاعدة التصنيفية لدراسات القرآن ، و لكن هناك فرقا ما بين التناول العام و الدراسة المتخصصة و التفسير بمعناه الفقهي التقليدي و المعاصر ، فلا بأس في أن نحدد بعضا من هذه المفاهيم ، و النمط الأكثر شيوعا هو التفسير بالمعنى الفقهي ، و هو الذي ينبغي أن يحدد أولا .

3- التفسير في اللغة و الاصطلاح :

يقول الفيروزآبادي " التَّفْسيرُ والتَّأْويلُ واحدٌ أو هو كَشْفُ المُرادِ عن المُشْكِلِ والتأويلُ رَدُّ أحَدِ المُحْتَمِلَيْنِ إلى ما يُطابِقُ الظاهِرَ . وفُسارانُ ، بالضمة: أصْبَهانَ " 31 ، فهو لا يفرق ما بين التفسير و التأويل بل يجعلهما شيئا واحدا ، ثم يحيل المعنى لما هو موجود في ظاهر النص .

و الصاحب بن عباد يقول في هذا الشأن " الفَسْر : التَّفْسيرُ ، وهو بَيَانٌ ، وتَفْصِيْلُ الكُتُبِ ، يُقال : فَسَرْتُ القُرْآنَ وفَسَّرْتُه . وما تَفَسَرْتُ عن هذا : أي ما سَأَلْتُ عن تَفْسِيْرِه ، وهي كقَوْلِكَ : ما اسْتَفْسَرْتُه " 32 ، وهو عنده البيان و التفصيل .

---

29 عبد الرحمان الحاج– القرآن .. من تفسير النص إلى تحليل الخطاب ، http://www.islamonline.net/servlet/Satellite .

30 عبد الرحمان الحاج– ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة ، http://www.altasamoh.net/Article.asp .

31 مجد الدين بن محمد الفيروزآبادي– القاموس المحيط ، ص: 1246 .

32 الصاحب بن عباد – المحيط في اللغة ، ج 2، مطبعة المعارف، ط01، بغداد، 1975 ، ص: 259 .

و في معجم اللسان لابن منظور مادة " (فسر) الفَسْر البيان فَسَر الشيء يَفسِره بالكَسر وتَفسُره بالضم فَسْراً وفَسَّره أَبانه والتَّفْسير مثله ابن الأَعرابي التَّفْسير والتأْويل والمعنى واحد وقوله عز وجل وأَحْسَن تَفْسيراً الفَسْر كشف المُغَطّى والتَّفْسير كشف المُراد عن اللفظ المُشْكل والتأْويل رَدّ أَحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر و اسْتَفْسَرْته كذا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لي والفَسْر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التَّفْسِرةُ قال الجوهري وأَظنه مولَّداً وقيل التَّفْسِرةُ البول الذي يُسْتَدَلُّ به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل وهو اسم كالتَّنْهِية وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تَفْسِرَتُه " 33 و جاء بمعنى البيان و التأويل و الكشف .

و في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري نجد " الفرق بين التفسير والتأويل : أن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة ، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام ، وقيل التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام ، و قيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازا أو حقيقة . ومنه يقال تأويل المتشابه ، وتفسير الكلام إفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه ومنه أخذ تفسير الأمتعة بالماء ، والمفسر عند الفقهاء ما فهم معناه بنفسه والمجمل ما لا يفهم المراد به إلا بغيره ، والمجمل في اللغة ما يتناول الجملة ، وقيل المجمل ما يتناول جملة الأشياء أو ينبئ عن الشيء " 34 ، إذ نراه يفرق مابين التفسير و التأويل ، فالتفسير يتناول البنية الإفرادية أو التركيبية في معناها الجزئي ، في حين أن التأويل هو القصد التام المستخرج من المجاز أو من حرفية الكلام .

و في تعريفات الجرجاني " التفسير في الأصل : هو الكشف والإظهار ، وفي الشرع : توضيح معنى الآية ، وشأنها ، وقصتها ، والسبب الذي نزلت فيه ، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة "35 ، بحيث يربط مفهوم التفسير بآي القرآن ، و ذلك بإيضاح معنى الآية و وظيفتها و مناسبتها .

ونجده عند التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون أنه : " تفعيل من الفسر و هو البيان و الكشف ، و يقال هو مقلوب السفر . تقول أسفر الصبح إذا أضاء ، و قيل مأخوذ من التفسرة ، و هي اسم لما يعرف بها الطبيب المريض . و عند النحاة يطلق على التمييز كما سيجيء . و عند أهل البيان هو من أنواع إطناب الزيادة ، و هو أن يكون في الكلام لبس و خفاء فيؤتى بما يزيله و يفسره.... و قال الراغب : التفسير أعم من التأويل و أكثر استعماله في الألفاظ و مفرداتها ، و أكثر استعمال التأويل في المعاني و الجمل . و كثيرا ما يستعمل في الكتب الإلهية . و التفسير يستعمل فيها و في غيرها

---

[33] ابن منظور الإفريقي – لسان العرب ، مادة : ف . س . ر

[34] أبو هلال العسكري – الفروق اللغوية ج 1، مؤسسة النشر الإسلامي، ط01، إيران، 1412 هـ ، ص: 129 .

[35] محمد الشريف الجرجاني – التعريفات، ص :65 .

. و قال غيره : التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، و التأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

و قال الماتريدي : التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا أو الشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح و إلا فتفسير بالرأي و هو المنهي . و التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع و الشهادة على الله .

و قال أبو طالب الثعلبي : التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق و الصيب بالمطر ، و التأويل تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من الأول ، و هو الرجوع بعاقبة الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد و التفسير إخبار عن دليل المراد ....

و قال أبو نصر القشيري : التفسير مقصور على الاتباع و السماع و الاستنباط في ما يتعلق بالتأويل ... و قال قوم منهم البغوي و الكواشي : التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها و بعدها يحتمله الآية غير مخالف للكتاب و السنة من طريق الاستنباط . و يطلق التفسير أيضا على علم من علوم المدونة و قد سبق في المقدمة " 36

و يقول فيه عبد الرؤوف بن المناوي " التفسير: لغة ، الكشف والإظهار. وشرعا توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهره، ذكره ابن الكمال . وقال الراغب: التفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها. وعرف بعضهم التفسير بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز. وقال ابن الجوزي: التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك اللفظ ظاهر. وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر "37

و يعرفه الدكتور منصور كافي بأنه " علم يبحث عن فهم كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ، و استخراج أحكامه و حكمه و بيان مدلولات معانيه بقدر الطاقة البشرية باختصار أو توسع"38 .

و يقول سلوادي حسن عبد الرحمان في تحديده للتفسير " فالتفسير تفصيل من الفسر ، و كلاهما في اللغة بمعنى الكشف و الإبانة ، و قد استعمل القرآن هذه المادة بمعنى البيان و الكشف في قوله تعالى ﴿و لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيرا﴾ أي بيانا و كشفا ، و على ذلك فإن ما نقل من تعريفات للتفسير عن علماء السلف تكاد تلتقي عند معنى الإبانة لكلام الله تعالى و العلم بأصول

36 محمد علي التهانوي – كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص: 492 و 493 .

37 عبد الرؤوف المناوي – التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب ، ط1 ، دمط ، 1990، ص: 104 .

38 منصور كافي – مناهج المفسرين في العصر الحديث، دار العلوم للنشر ، درط ، الجزائر ، 2006، ص: 18 .

يعرف بها كيفية النطق بألفاظ القرآن ، و بيان مدلولاتها ، و أحكامها ، و معانيها ، و الأسباب النازلة فيها دون أن تحدد نمطا معينا أو شكلا محددا يلتزمه المفسر في تفسيره " 39

و بعد هذه التعريفات العامة و الخاصة لمصطلح التفسير ، يتضح لنا أن التفسير قبل أن يكون خطابا ، يعتبر علما بالدرجة الأولى .. و هذا العلم له قواعد و أصول يتكأ و يستند عليها ، بالإمكان أن تسمى قواعد قراءة ، ثم اصطلحت و تتابع الأخذ بقواعدها .

و قد تطور علم التفسير أو خطاب التفسير على مراحل تاريخية معينة ، يمكن أن ندرجها على النحو الآتي :

" المرحلة الأولى : و هي المرحلة التي كان ينزل فيها الكتاب و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يتولى بنفسه تبيينه للناس . و كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عما كان يفوتهم فهمه من ألفاظه و معانيه و مقاصده . و لما انتقل إلى جوار ربه ، كانوا يتشاورون فيما بينهم في ذلك فيتفقون في فهم البعض منه و يختلفون في البعض الآخر ...

المرحلة الثانية : و تمثل هذه المرحلة عصر التابعين الذين جاؤوا بعد الصحابة و أخذ عن مشاهيرهم ما أثر عنهم و تلقوا عنه التفسير و وسعوا دائرته حسب مقتضيات عصرهم و تطلب الظروف الاجتماعية و السياسية الناشئة فيه عن الفتوحات الإسلامية و اتساع رقعة بلاد الإسلام ...

المرحلة الثالثة : و في ضوء هذه المرحلة صار التفسير علما قائما بذاته له أصوله و مناهجه . و لقد أطلت فيه مدارس متعددة ، فكان التفسير بالمأثور ، و التفسير بالمعقول ، و التفسير الذي أخذ المنحى البياني و اللغوي ، و التفسير الذي اعتنى بالقصص و الأخبار ، حتى صار كل من برع في فن من فنون المعرفة انطبع تفسيره بما برع فيه و برز على غيره من الفنون . "40

و تفسير القرآن فيه بعض الاعتبارات التي ينبغي أن تستتبع جميعها بالتدرج تقريبيا ، من مثل القرآن بالقرآن و تفسير القرآن بكلام النبي و تفسير القرآن بكلام الصحابة و تفسير القرآن بكلام التابعين :

أولا : تفسير القرآن بالقرآن :

إذ إن أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم : الاستدلال ببعض كلامه على بعض – حسب قواعد لغته التي يتكلم بها – وهذا يقتضي معرفة اللغة التي نزل بها القرآن ، ومعرفة أساليبها ، واستعمالاتها ، فالقرآن عربي ، والرسول الذي أنزل إليه عربي ، والقوم الذين خاطبهم أول مرة عرب ، فجرى الخطاب بالقرآن على معتادهم في لسانهم لفظا ومعنى .

و قد يحتاج المفسر أن يجمع الآيات في الموضوع الواحد ، ثم ينظر فيها مجتمعة ليعرف ما قد يكون بينها من علاقات ، من تخصيص عام ، وتقييد مطلق ، وتفصيل مجمل .

---

39 حسن عبد الرحمان سلوادي – عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب ، درط ، الجزائر ، 1984، ص: 61 .

40 عادل نويهض – معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ج1 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2 ، لبنان ، 1983، ص: ج د .

ثانيًا : تفسير القرآن بكلام النبي صلى الله عليه وسلم :

إن لم يتيسر فهم النص القرآني من القرآن نفسه طلبه المفسر من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنها البيان للقرآن ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فالسنة تأتي مفسرة لبعض ما أجمل في القرآن ، نحو أصول الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج، فبينت السنة أركان هذه العبادات وواجباتها ومستحباتها ومحظوراتها و مكروهاتها ، وهيئاتها ، وأوقاتها، ومقاديرها ، وأنصبتها على نحو من التفصيل لم يأت في القرآن . وكذلك تأتي السنة بالمخصص لعموم القرآن ، والمقيد لمطلقه ، والمبين لمشكله ، ويستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه » .

ثالثًا : تفسير القرآن بكلام الصحابة :

فإن تعذر فهم النص القرآني من القرآن ومن السنة طلبه المفسر من أقوال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم أعلم بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال ، واختصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم .

رابعا : تفسير القرآن بكلام التابعين :

تفسير القرآن بكلام التابعين ومن بعدهم من أهل العلم مع إضافة ما يناسب ذلك في المعتمدون، فإن تعذر فهم النص القرآني من كلام الصحابة لجأ المفسر إلى كلام من بعدهم من التابعين ، فهم أقرب عهدا بنزول القرآن ، وأعرف من غيرهم بلغته وأساليبه ، وأكثر حفظا للسنن والآثار ، وهم أيضا من أهل القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية .

غير أن هناك دراسات أخرى لم تستتبع هذا المنحى .. و حاولت أن تسير برؤى مغايرة عما قد عهد لدى المفسرين و علماء القرآن ، و لكن ديدنها مجالات اهتمام الباحثين ، حيث اتخذ كل باحث مجال تخصصه ميدانا للتأصيل القرآني .. فهناك المتخصص في الطب و البيولوجيا الذي حاول أن يبحث في ثنايا القرآن عن نشوء الخلية و تطورها ، و هناك من يبحث في ميدان الاقتصاد ، إذ يعتبر القرآن في نظره مدونة خصبة لبحث توزيع و طرق التصرف بالمال و الزكاة ، و الباحث في علم الاجتماع و النفس يريد من القرآن حلولا لقضايا السلوك في النفس الإنسانية و علاقتها بالمجتمع ، و المتخصص في اللغة تهمه البنية الحملية و اللغوية التي يتشكل منها النص القرآني ، فيقارب برؤيته اللسانية المستويات الصوتية و النحوية و التركيبية و البلاغية و علاقة ذلك بالدلالة و الإبلاغ أي (تداولية الخطاب) ، إلى غير ذلك من المناحي التي تريد بالقرآن وجهة معينة خاصة أو عامة حسب الهدف التأصيلي .. و القرآن بطبيعة الحال لا يمكن أن نقول أنه خال من هذه الاحتمالات و غيرها ، نظرا لثبوت بعض القضايا في ثنايا القرآن الكريم .. و (نحن) باعتبار(نا) (ن)بحث في هذا المجال فإن المدونة القرآنية لا تعني بحث(نا) في

ذاتها ، و لكن ما يهم(نا) هو التفسير القرآني ، لذلك لا بأس في أن نطرح السؤال التالي : ماهي التصنيفات التي صنفت إليها الدراسات القرآنية ؟

4- الدراسات القرآنية :

إن المقياس الأهم الذي عليه الاعتماد في التصنيف في الدراسات السابقة هو مبحث علوم القرآن، إذ يعد هذا المبحث من المباحث المهمة التي درست القرآن و عددت التصنيفات فيه بتعدد التقسيمات و التفريعات و بتعدد الكليات و الجزئيات و " قد يتعجب المتلقي المعاصر من كثرة علوم القرآن و من تعدد أقسامها و فروعها ، و لعله محق في تعجبه، فهذا بعض ما وسم الثقافة العربية في العصور المتأخرة خاصة (و هذا أبرز ما يأخذه عليها المعاصرون)، فقد كان كل ' باحث ' حريصا على أن يضع يده على ظاهرة لم ينتبه لها سابقوه ، أو أن يضيف قسما أو علما أو فنا بلاغيا ينشئه إنشاء أو يشتقه من إرث سابق، يقسم به الكل إلى أجزاء و الأصل إلى فروع أقل و هكذا ... لقد كان هذا ، لا شك ، ضربا من البحث المضني " 41 ، و هذا دليل على أن القرآن يحتمل أكثر من قراءة علمية ، و علومه في زيادة مستمرة دائما بفعل حمله لهذه الأوجه المتعددة و كذلك " تعتبر الدراسة في علوم القرآن منهجا متكاملا لا تقتصر على الحفظ و الأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف ، أي نوع كتابته ، ما كان موصولا أو مفصولا ، و ما رسم فيه المد أو كان يمد بدون وجود حرف المد ، و قد يكون حرفا صغيرا أو نحو ذلك " 42 ، و التفسير القرآني يعد جزءا مهما من علوم القرآن بل هو أهمها ، لأنه يمتح و يستند إلى تلك العلوم إذا كان الاحتياج ضروريا في مواقف و سياقات معينة ، و المباحث و العلوم القرآنية كثيرة فهي تعد العماد الأساس لدارس القرآن ، و يمكننا أن ندرجها كالآتي اعتمادا على ما أورده الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن :

" النوع الأول معرفة أسباب النزول وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف ...

النوع الثاني معرفة المناسبات بين الآيات ... النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي و هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ... النوع الرابع في جمع الوجوه والنظائر ...

النوع الخامس علم المتشابه ... النوع السادس قال علم المبهمات ... النوع السابع في أسرار الفواتح والسور ... النوع الثامن في خواتم السور ... النوع التاسع معرفة المكي و المدني ...

النوع العاشر معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل ... النوع الحادي عشر معرفة على كم لغة نزل ... النوع الثاني عشر في كيفية إنزاله ... النوع الثالث عشر في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم ... النوع الرابع عشر تقسيمه بحسب سوره فيه وترتيب السور والآيات ...

---

41 محمد عبد الباسط عيد – النص و الخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب ، ط 1 ، القاهرة ، 2009، ص: 18 .

42 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج1 ، دار الحديث ، درط ، القاهرة ، 2006، ص: 13 .

الخامس عشر معرفة أسمائه واشتقاقاتها ... النوع السادس عشر معرفة ما وقع من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب ... النوع السابع عشر ما فيه من غير لغة العرب ... النوع الثامن عشر معرفة غريبه وهو معرفة المدلول ... النوع التاسع عشر معرفة التصريف و هو ما يلحق الكلمة ببنيتها و قد و ينقسم قسمين أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني وينحصر في التصغير و التكبير و المصدر و اسمي الزمان و المكان و اسم الفاعل و اسم المفعول و المقصور و الممدود و الثاني تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشبعة عن معنى واحد فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة و النحو نظر في عوارضها ... النوع العشرون معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو ... النوع الحادي و العشرون كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ... النوع الثاني والعشرون اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر وذلك متواتر وآحاد ...

النوع الثالث والعشرون معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ وهو فن جليل و به تعرف جلالة المعاني وجزالتها ... النوع الرابع و العشرون معرفة الوقف والابتداء ...

النوع الخامس والعشرون مرسوم الخط ... النوع السادس والعشرون فضائله ...

النوع السابع و العشرون خواصه ... الثامن والعشرون هل في القرآن شيء أفضل من شيء ...

النوع التاسع والعشرون في آداب تلاوته و كيفيتها ... النوع الثلاثون في أنه هل يجوز في التصانيف و الرسائل والخطب ... النوع الحادي والثلاثون معرفة الأمثال الكائنة فيه... "43 .

و يمكن أن نعتمد على نص مهم جدا للشنقيطي على لسان الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي من كتابه المنتخب في اختصار ما يدخل في نطاق علوم القرآن، فضلا على ما قد سلف من القول، إذ يقول في مستوى بنيته أولا : "فَاعْتَنَى قَوْمٌ بِضَبْطِ لُغَاتِهِ، وَتَحْرِيرِ كَلِمَاتِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَخَارِجِ حُرُوفِهِ وَعَدَدِهَا، وَعَدِّ كَلِمَاتِهِ وَآيَاتِهِ، وَسُوَرِهِ وَأَجْزَائِهِ وَأَنْصَافِهِ وَأَرْبَاعِهِ، وَعَدَدِ سَجَدَاتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَصْرِ الْكَلِمَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ وَالْآيَاتِ الْمُتَمَاثِلَةِ. مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِمَعَانِيهِ، وَلَا تَدَبُّرٍ لِمَا أُودِعَ فِيهِ. فَسُمُّوا الْقُرَّاءَ.

وَاعْتَنَى النُّحَاةُ بِالْمُعْرَبِ مِنْهُ وَالْمَبْنِيِّ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ، وَالْحُرُوفِ الْعَامِلَةِ وَغَيْرِهَا. وَأَوْسَعُوا الْكَلَامَ فِي الْأَسْمَاءِ وَتَوَابِعِهَا، وَضُرُوبِ الْأَفْعَالِ، وَاللَّازِمِ وَالْمُتَعَدِّي، وَرُسُومِ خَطِّ الْكَلِمَاتِ، وَجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ؛ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ أَعْرَبَ مُشْكِلَهُ وَبَعْضُهُمْ أَعْرَبَهُ كَلِمَةً كَلِمَةً"44.

43 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي – البرهان في علوم القرآن، ج 2 ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، سوريا ، 1957، ص: من 22 إلى 486 .

44 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ، ج3، ص: 227 و 228 .

إذ نراه يركز هنا على مستوى البنية في تفرعاتها من التحليل أو التركيب، مراعيا البنية الصرفية أولا ثم البنية النحوية ، و ينتقل بعدها إلى الدلالة من حيث اللفظ أو التركيب، و ذلك في القول التالي:

" واعتنى المفسرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ، ولفظا يدل على معنيين ، ولفظا يدل على أكثر ؛ فأجروا الأول : على حكمه ، وأوضحوا الخفي منه ، وخاضوا إلى ترجيح أحد محتمالات ذي المعنيين أو المعاني ، وأعمل كل منهم فكره ، وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية ، والشواهد الأصلية والنظرية ؛ مثل قوله : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [الأنبياء:22] ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ؛ فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه ، وتنزيهه عما لا يليق به ؛ وسموا هذا العلم بـ «أصول الدين» .

وتأملت طائفة معاني خطابه ؛ فرأت منها ما يقتضي العموم ، ومنها ما يقتضي الخصوص ، إلى غير ذلك ؛ فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز ، وتكلموا في التخصيص والإضمار ، والنص والظاهر ، والمجمل والمحكم والمتشابه ، والأمر والنهي والنسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة ، واستصحاب الحال والاستقراء ؛ وسموا هذا الفن «أصول الفقه» .

وأحكمت طائفة صحيح النظر ، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام ، وسائر الأحكام ، فأسسوا أصوله وفروعه ، وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا ؛ وسموه بـ «علم الفروع» وبـ «الفقه أيضا» "[45].

بعدها ينتقل مستوى الاهتمام إلى الجانب السياقي و القصصي، فيذكر أن في القرآن جانبا حكميا مركزا بقوة في ثنايا القرآن، في قصصه و أمثاله و تاريخه، بما يستفاد منه فقهيا أو حياتيا فيقول:

" وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة ، والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ، ودونوا آثارهم ووقائعهم . حتى ذكروا بدء الدنيا ، وأول الأشياء ؛ وسموا ذلك بـ «التاريخ والقصص» .

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال ، والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال ، وتكاد تدكدك الجبال ؛ فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير ، وذكر الموت والمعاد ، والنشر والحشر ، والحساب والعقاب ، والجنة والنار ، فصولا من المواعظ ، وأصولا من الزواجر . فسموا بذلك «الخطباء والوعاظ» .

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير ؛ مثل ما ورد في قصة يوسف : من البقرات السمان ، وفي منامي صاحبي السجن ، وفي رؤيته الشمس والقمر والنجوم ساجدات ، وسموه «تعبير الرؤيا» ؛ واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب ، فإن عز عليهم إخراجها منه ، فمن السنة التي هي شارحة الكتاب ، فإن

---

[45] السابق، ص: 228 .

عمر فمن الحكم والأمثال. ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم، وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: وأمر بالعرف [الأعراف:199].

وأخذ قوم مما في آيات المواريث من ذكر السهام وأربابها، وغير ذلك «علم الفرائض»، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث، والربع والسدس والثمن «حساب الفرائض»، ومسائل العول؛ واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم والبروج، وغير ذلك؛ فاستخرجوا «علم المواقيت»"[46].

و الإفادة منه ليست في هذه الجوانب المذكورة فقط، و لكن الإفادة قد تكون أدبية أو صوفية روحية أو حتى طبية أو علمية أو فلسفية أو رياضية، فيقول في هذا الإطار:

"ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم، وحسن السياق والمبادئ، و المقاطع و المخالص والتلوين في الخطاب، والإطناب والإيجاز، وغير ذلك فاستنبطوا منه «علم المعاني والبيان والبديع».

ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة؛ فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق، جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها، مثل الفناء والبقاء، والحضور والخوف والهيبة، والأنس والوحشة، والقبض والبسط، وما أشبه ذلك.

هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه.

وقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل، مثل: الطب، والجدل والهيئة، والهندسة والجبر، والمقابلة والنجامة، وغير ذلك.

أما الطب: فمداره على حفظ نظام الصحة، واستحكام القوة، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله: وكان بين ذلك قواما [الفرقان:67].

وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله: شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس [النحل:69].

ثم زاد على طب الأجساد بطب القلوب، وشفاء الصدور.

وأما الهيئة: ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها من ملكوت السماوات والأرض، وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات منه.

وأما الهندسة: ففي قوله: انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب [المرسلات:30، 31]، فإن فيه قاعدة هندسية، وهو أن الشكل المثلث لا ظل له.

[46] المرجع نفسه، ص: 228 و 229 .

وأما الجدل : فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج ، والقول بالموجب ، والمعارضة ، وغير ذلك شيئا كثيرا ، ومناظرة إبراهيم أصل في ذلك عظيم .

وأما الجبر والمقابلة : فقد قيل : إن أوائل السور ذكر عدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة ، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة ، وتاريخ مدة الدنيا ، وما مضى وما بقي ، مضروب بعضها في بعض"[47]

و بطبيعة الحال فإن هذه العلوم القرآنية يمكنها أن تلج إلى تقاسيم و تفاصيل القرآن الكريم ، و ذلك بتناولها لقضايا سياقات القرآن و ما يحيط به ، و كذلك لنسقه و بنيته .. و كل من هذه القضايا نوع من علوم القرآن ، و لكن تصنيف الدراسات القرآنية قد يخضع لاعتبارات أخرى ، و ما التفسير إلا صنف شائع من الدراسات القرآنية – و إن كان هو نفسه أخذ تصانيف متعددة — و ربما يعتبر جزءا من علوم القرآن و ربما يستعين بعلوم القرآن ، فالملاحظ يرى أن هناك تكاملا و اشتمالا بينهما ، و من الدراسات القرآنية نجد عِلمُ و خطابُ التفسير .

5– خطاب التفسير :

يعد التفسير من أهم الخطابات التي ولجت عالم المعنى و المقاصد التي تخص القرآن الكريم ، و قد كانت فيه مراحل مهمة في تاريخه " فمحاولات التفسير الأولى متوجهة إلى النص نفسه حتى تضيف إلى تحقيقه المادي الذي جعله واحدا ماديا (جمع المصحف و إعجامه و ضبط قراءاته) تحقيقه المعنوي لجعله واحدا معنويا (محاولة إدراك نسقه و فهم التناقضات الظاهرية في النص) كان لابد من فهم التناقض الظاهري بين الآيات و القراءات فكانت أهم الكتابات تدور حول الحلول الأسلوبية و المنطقية و التاريخية لفهم التناقضات الظاهرية (مثل المجاز في القرآن أو غريب القرآن الخ ..) و لما بدأ التفسير الشامل المستند إلى تحقيق الوحدتين المادية و المعنوية لنص القرآن كان أول المناهج أيسرها أعني منهج التفسير بالأثر و الإسرائيليات (الطبري مثلا) تم نقد ذلك لجعل التفسير بالأثر يعتمد على الأثر المنقود و هو ما يفيد بأن أول خطى النقد العلمي للخبر بدأت منذ تلك اللحظة (ابن عطية و القرطبي) ثم ولاه التفسير بعلوم اللغة بعد أن اكتملت نظرية النقد الأدبي و الإعجاز (الزمخشري مثلا) تلاه نقد التوظيف العقدي لهذا المنهج و بيان دور عقائد المفسر في التفسير و هو ما يمكن أن يعد أول مراحل النقد الإيديولوجي (شرف الدين الطيبي مثلا) ثم تلا ذلك التفسير الفلسفي الذي لم يكن شاملا و لا عاما لكنه ينقسم إلى ضربين التفسير الفلسفي الباطني (بعض محاولات إخوان الصفا) و التفسير الفلسفي المشائي (بعض محاولات ابن سينا) و تلا ذلك نقد التفسير الفلسفي لبيان الفرق بين علم الكلام العقلي و الميتافيزيقا لكون الأول يحتاج إلى علم الكلام التاريخي مادة لاستعمال العقل أي أن له مضمونا معينا

[47] السابق، ص: 229 إلى 230 .

أو معطى عليه أن يتعامل معه تعامل العلوم التجريبية مع المعطى الحسي و ليس مجرد فرضيات كما هو شأن الإلهيات الفلسفية (الغزالي مثلا) ثم تلا ذلك التفسير الصوفي (ابن عربي مثلا) ثم تلاه نقد التفسير الصوفي و الفلسفي و اللساني و الأثري (ابن تيمية خاصة) "[48] و التفسير فيه أنواع منها :

1- التفسير العقدي :

ينظر هذا النوع من دراسات التفسير إلى القرآن باعتباره مصدرا للعقيدة الإسلامية ، إذ أن كل ما يتعلق بالعقيدة لابد و أن يكون مصدره الأساسي هذا الخطاب المقدس (القرآن) .. و التفسيرات العقدية تحاول أن تؤسس من خلال القرآن ثوابتا أقرتها النصوص القرآنية في مسائل العقيدة ، و بإمكاننا أن نقول أن أغلب أو أن معظم التفاسير تناول هذا الجانب المهم و الركن العظيم من ما يعتقده الفرد المسلم ، و قد يتسم جل التفسير بهذه السمة ، و " يظهر هذا المنهج واضحا في تفسيره صلى الله عليه و سلم للآيات التي تنص على رؤية المؤمنين لربهم عز و جل يوم القيامة . ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . يروي ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه و أزواجه و خدمه ... و أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة عشية ...

كذلك يؤكد رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الرؤية عند تفسير قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ حيث يفسر النبي صلى الله عليه و سلم (و زيادة) برؤية الله تعالى يوم القيامة ... "49 ، و من التفاسير التي اهتمت بهذا الجانب تفسير ابن كثير و تفسير الشنقيطي .. و غيره كثير .

2- التفسير الوعظي : هذا النوع من التفسير يحث على قيم مهمة جدا في الإسلام ، و من هذه القيم الترغيب بدار الآخرة و الزهد ، و تقديم الأعمال الصالحة التي تدخل إلى الجنة و " يزخر التفسير النبوي للقرآن الكريم بثروة وفيرة من أقواله صلى الله عليه و سلم التي تدعو إلى الزهد في الحياة الدنيا و التخويف من عقاب الله عز و جل ، و ما إلى ذلك من مواعظه و إرشاداته .

[48] أبو يعرب المرزوقي– النخب العربية و عطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية، الدار المتوسطية للنشر ، ط 01 ، تونس ، 2007، ص: 48،49 .

[49] منصور كافي – مناهج المفسرين، ص : 59 .

نقرأ ذلك واضحا عند تفسيره صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حيث قرأها صلى الله عليه و سلم ، ثم قال : ((يقول ابن آدم : مالي مالي ، و هل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت)) .

كذلك روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إذا رأيت الله عز و جل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنه استدراج ، ثم تلا قول الله عز و جل : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾" 50

3- التفسير الفقهي: يهتم ببيان أمور الدين و توضيح أحكامها ، فالمعنى اللغوي للفقه هو الفهم و التدبر ، و لذلك أطلق مصطلح الفقه على ما يدخل في إبانة و تيسير الكليات العامة للدين لينالها الفهم من قبل العامة من الناس ، و لذلك تجد المفسرون يهتمون بهذا المبحث و يولونه عناية كبيرة بعد العقيدة ، لأن الفقه يوفر للمسلم الطرق الصحيحة التي يتعبد بها تجاه ربه .. و هذه الطرق عبارة عن أفعال معينة من مثل طريقة الصلاة و الزكاة و الحج و غيرها ، و كذلك ما يدخل في باب المعاملات بين أفراد المجتمع و معرفة المقادير في الحقوق و الواجبات و هكذا ، و تفاسير هذا الصنف كثيرة جدا ، إذ تكاد كل التفاسير تصب في هذا المنحى ، خصوصا عندما يتوسع مفهوم الفقه إلى مجالات الحياة بكافة متطلباتها ، و قد " تضمن التفسير النبوي للقرآن الكريم بعض الجوانب الفقهية ، نرى ذلك واضحا عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ حيث يروي سالم أن عبد الله بن عمر طلق امرأته و هي حائض فذكر لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتغيظ فيه (أي منه) ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمر الله عز و جل .

هكذا يوضح لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في تفسير هذه الآية أنه يجب على الزوج – إذا أراد أن يطلق زوجته – أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه ، و هذا هو ما يعرف بالطلاق

[50] المرجع نفسه، ص: 60.

السني عند الفقهاء أي الطلاق الذي يوافق السنة ..." 51 ، و يعتبر تفسير ابن كثير و الشاطبي و تفسير الجلالين من التفاسير الفقهية و غيرها كثير أيضا .

4- التفسير التاريخي : يهتم هذا النوع من التفسير بتاريخ الأحداث سواء ما تعلق منها بالقصص القرآنية ، أو بالوقائع التي ينجر عنها بعض الأحكام الشرعية ، أو بأحداث السيرة النبوية ، و أحوال العرب و عاداتهم ، و ما قد حصل في الأمم القديمة و غيرها ، " و يظهر لنا هذا التفسير واضحا عند تفسيره صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ حيث يتضح لنا من تفسيره لهذه الآية موقف قريش من دعوته ، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه أنه لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال فإني نذير لكم بين عذاب شديد . قال أبو لهب : تبا لك : ما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

كذلك تظهر الناحية التاريخية واضحة عند تفسيره صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ حيث يوضح لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم قصة هذا الأخدود ، و ذلك فيما يرويه صهيب – رضي الله عنه – عن النبي .. " 52

5- التفسير الموضوعي : يتناول هذا النوع تفسير بعض المواضيع بعينها ، بشرح الألفاظ و التراكيب التي دلت على ذلك الموضوع أو على ذلك المعنى ، و قد " تضمن التفسير النبوي ذلك النوع من التفسير ، نرى ذلك واضحا في جمعه صلى الله عليه و سلم للآيات التي تتصل بماء أهل النار ، و فسر بعضها ببعض ، و ذلك على التالي : عن أمامة عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله عز و جل : ﴿ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ ، قال : يقرب إليه فيكرهه ، فإذا أدنى شوى وجهه و وقع فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره ، يقول الله عز و جل : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ..." 53 .

---

51 السابق، ص : 60 ، 61 .

52 المرجع نفسه، ص : 61 ، 62 .

53 السابق، ص : 62 .

6- التفسير السياقي : السياق عامل مهم جدا في تحديد المعاني و المقاصد العامة ، لأنه ينظر في معاني عدد من الآيات التي اشتغلت على نفس القضية أو الموضوع ، و هو ما يعرف ببيان القرآن بالقرآن ، و تفسير أضواء البيان للإمام الشنقيطي أوضح مثال على ذلك ، و يعتبر السياق آلية مهمة جدا من آليات تحليل الخطابات ، فلا يقع الفهم الكلي بدون سياق معين ، و قد ألزم الإمام الشنقيطي نفسه بأمرين و ذلك في تأليف كتابه :

" أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير و أجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله – جل و علا – من الله ...

و ثانيهما : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب ... "54

7- التفسير اللغوي و البلاغي :

يعدُ هذا النوع من التفسير متوسع على نطاق أكبر بالمقارنة مع التفاسير الأخرى ، و ذلك يرجع إلى أن المفسر أحوج ما يكون إلى معرفة اللغة و علوم النحو و ضروب البلاغة و العلوم التي تعالج الدلالة مثل التضاد و المشترك .. الخ ، فحتى و إن اضطلع تفسير المفسر بطابع فقهي أو عقدي أو غير ذلك ، فتراه يلجأ دائما إلى بيان الوجهة اللغوية أولا و هذا في غالب الأحيان ، و ربما إن استعصت عليه مسألة من مسائل القرآن ذهب إلى تفسيرها لغويا عن طريق الوصف و التحليل في البنية اللغوية أو اللسانية و هكذا .

و تفاسير هذا الصنف موجودة بكثرة ، و نرى أن الكتب التي عالجت مسألة الألفاظ كثيرة من مثل كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون و مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي و غريب القرآن للأصفهاني و غريب القرآن لابن قتيبة و مفردات القرآن لابن السمين الحلبي و كلمات القرآن لحسنين محمد مخلوف و معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم و المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم لأحمد مختار عمر ، و غير هذه الكتب كثير ، ثم أن من التفاسير التي عالجت قضية إعراب القرآن من مثل إعراب القرآن للزجاج ، و هناك التي تناولت ما للقرآن الكريم من مجاز -هذا من الناحية البلاغية- مثل كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة و التي تناولت قضية النظم في القرآن مثل دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، و تفسير الكشاف للزمخشري ، و هناك التفسير الذي

[54] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان، ص : 35 .

مازج ما بين قضايا اللغة و النحو و البلاغة مثل تفسير التحرير و التنوير للعلامة الطاهر بن عاشور ، و غيرها كثير مما لا يسع المجال المتاح أن نحصره في صفحة أو صفحتين .

6- التأصيل العلمي من خلال القرآن الكريم :

هذا النوع من الدراسات القرآنية يحاول أن يستكنه البعد العلمي للمنجزات الحديثة و المعاصرة من خلال السبق الذي بشرت به آيات القرآن ، من مثل خلق الإنسان و نموه و النبات و الأرض و عناصر تكونها ، يقول متولي الشعراوي من منطلق المادة والروح و الهوى و الموضوع " نحن نتجاوز علم الأرض ولكننا أحيانا نتجاوز موضوع العلم..موضع التجربة والمعمل..وذلك عندما أقول مثلا الروح قبل المادة..أو المادة قبل الروح..فهذا بحث في عنصري تكوين الإنسان الذي لم نشهد خلقه..ولا نستطيع أن نجرى عليه تجربة..أن هذا يدخل في علم الله..فهو الذي خلق..وهو الذي يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق..ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾..إذا فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشري إلى نتيجة..لماذا ؟ لأننا لم نحضر التجربة..ولم نرها بالعين..ولا نستطيع أن نجربها أو نقوم بها..ولكن بالأذن سمعنا عن الله..وهذا أمر غيب عنا..وما دام الأمر غيب عنا..فإن الله الذي خلقني هو الذي يحدثني..كيف خلقت..أما أنا فإنني لا أعرف كيف خلقت..ومن هنا فإنني لا يمكن أن أتحدث علميا عن العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان..وأيهما جاء أولا..وإذا صمم أحد على أن يبحث في هذا..يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه عن جهل يضره..لأنه لن يستطيع أن يدلل على ما يقول علميا..و بالتجربة أنا أستطيع أن أمسك المادة و أدخلها المعمل..ولكني لا أستطيع أن أمسك بالروح و أدخلها إلى المعمل..و العلم يجب أن يتم على مادة صماء..يمكن أن تدخل في المعمل الأصم..و تعطي حقائق صماء..أليست هذه هي الحقيقة..والدليل على ذلك أن المعسكرات المتصارعة لا تختلف في مذاهب العلم..ولكنها تختلف في مذاهب الهوى والنظريات..لا توجد هناك كهرباء أمريكية..و كهرباء روسية..و لا توجد كيمياء ألمانية.. و لا كيمياء أنجليزية..كل علم الكيمياء في أي دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التي لا هوى لها..وبهذا تكون النتيجة واحدة..سواء كان المعمل أنجليزيا أو أمريكيا أو سوفيتيا، أو أي معمل من معامل الدنيا..ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات "[55] ، هذا القول للشعراوي على ما فيه من الحماس و التساؤل مدرج ههنا حتى تتضح الرؤية حول بعض القضايا التي حتى و إن وصل العلم المعاصر لبعضها ، فإن بعضها الآخر يبقى سرا لا يعلمه إلا الله تعالى مثل الروح و النفس و قد وردت في القرآن على أنها أمر من الله (أمر ربي) .. و هذا غيض من فيض ، إذ أن الباحث عن التأصيل العلمي في ثنايا الذكر الكريم ليجد فيه شيئا عجبا " و سوف تشهد القرون المقبلة

[55] متولي الشعراوي – معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 1978، ص: 27 ، 28 .

من إعجاز القرآن آفاقا جديدة لأن الشواهد دلت على أنه كلما تقدم العلم وتعمق الإنسان في بحوره يجد مع كل ظاهرة علمية كانت في طي الخفاء أن لها أصولا في القرآن سابقة عليها ، وسوف يبقى هذا السبق سمة ملازمة للقرآن ومستوعبة لكل ما سوف تأتي به العلوم على مدى الأزمان ، وفى هذا ما يؤكد ويحقق قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ "56 ، و مجالات البحث العلمية التي فحصت المتن القرآني كثيرة جدا ، فمنها علم الاجتماع و السياسة و الإدارة و الاقتصاد ، و البيولوجيا (علم الأحياء) و الطبيعة و الطب ، و الرياضيات و الفيزياء ، و الفلك إلى غير ذلك من العلوم الوضعية أو علوم الآلة التي من واجب الإنسان أن يبحث فيها .

7- دراسات الإعجاز القرآني :

و أيضا هناك نمط آخر من الدراسات القرآنية و هو البحوث التي عنيت بظواهر و ثوابت الإعجاز الذي ثبت وروده في القرآن الكريم ، " و في حديث طويل للرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن اتبع الهدى من غيره أضله الله فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة التكرار،و لا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا) من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم) "57 ، إذ نلمح من هذا القول الصادق للرسول الكريم أنه المحطة الرئيسية و البرهان الصحيح لإثبات الإعجاز في القرآن الكريم ، و عناصر الإعجاز في القرآن كثيرة جدا ، و يبدو أن أكثرها لفتا للنظر اللغة التي نزل بها القرآن و هي اللغة العربية إذ " كان الوليد بن المغيرة أشد المؤمنين بأن ما يتلوه محمد من القرآن حق لا ريب فيه ، وكان يقول لقومه عن القرآن: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وكان ينصح قومه أن يتركوا محمدا وشأنه لأنه توسم بحسه المرهف أن دعوة محمد ستكون لها شأن و أي شأن "58 ، و يمكن أن نلخص وجوه الإعجاز بقول محمد محمود شاكر في مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي فيما يلي : 59

الأول : أن قليل القرآن و كثيره في شأن الإعجاز سواء .

---

56 محمد إسماعيل إبراهيم – القرآن و إعجازه العلمي، دار الفكر العربي ، درط ، بيروت ، دتط، ص: 8 ، 9 .

57 السابق، ص : 13 ، 14 .

58 المرجع نفسه، ص : 19 .

59 مالك بن نبي – الظاهرة القرآنية، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط9 ، دمشق ، 2009، ص: 30 ، 31 .

الثاني : أن الإعجاز كائن في رصف القرآن و بيانه و نظمه ، و مباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم و بيان في لغة العرب ، ثم في سائر لغات البشر ، ثم بيان الثقلين جميعا ، إِنْسهم و جِنهم متظاهرين .

الثالث : أن الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر ، و الذي هو ليس من كلامهم .

الرابع : أن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان بمثله ، أو بعشر سور مثله مفتريات ، هو هذا الضرب من البيان الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر .

الخامس : أن هذا التحدي لم يقصد به الإتيان بمثله مطابقا لمعانيه ، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه و اختلاقه ، من كل معنى أو غرض ، مما يعتلج في نفوس البشر .

السادس : أن هذا التحدي للثقلين جميعا إنسهم و جنهم متظاهرين ، تحدٍ مستمر قائم إلى يوم الدين.

السابع : أن ما في القرآن من مكنون الغيب ، و من دقائق التشريع و من عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز ، و إن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلا على أنه من عند الله تعالى ، و لكنه لا يدل على أن نظمه و بيانه مباين لنظم كلام البشر و بيانهم ، و أنه بهذه المباينة كلام رب العالمين ، لا كلام بشر مثلهم .

8- الدراسات الفكرية و التأملية :

يهتم هذا الجانب المهم من الدراسات القضايا التي يناقشها الفكر بواسطة التدبر و العقل ، إذ أن القرآن يشجع و يحث الإنسان على الفهم الجيد لآي القرآن ، و لا يتم ذلك إلا بواسطة التفكير في العلاقات ما بين وحدات البنية القرآنية بمختلف مستوياتها ، و عباس محمود العقاد أحد المفكرين الذين يرون أن التفكير في القرآن هو في الحقيقة فريضة إسلامية يقول : " و من أعلى خصائص العقل الإنساني (الرشد) و هو مقابل لتمام التكوين في العاقل الرشيد ، و وظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم ، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف و عليها مزيد من النضج و التمام و التمييز بميزة الرشاد حيث لا نقص و لا اختلال ، و قد يؤتى الحكيم من نقص في الإدراك و قد يؤتى العقل الوازع من نقص في الحكمة ، و لكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد من هذا و ذاك ..

و فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها و مدلولاتها . فهو يخاطب العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم و العقل الرشيد، و لا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب

الأديان .. "60 ، و هناك دراسات عالجت بعض القضايا المهمة من مثل قضية النبوة و ارتباطها بقضية أخرى هي قضية الملك ، و هذا ما نجد له تسويغا و طرحا وجيها لدى الدكتور إبراهيم شعيب في كتابه : ثنائية النبوة و الملك في قصة سيدنا سليمان ، و ذلك عبر سلسلته المسماة التنظير القرآني للوجود الإنساني ، يقول في معرض الحديث : " و قد أبان الله تعالى أنه ترتب على هذا الانحياز لفكرة (الخلد و الملك الذي لا يبلى) إهباط الكل إلى عالم الأرض ، و تقرر استقرار البشر في الأرض ، فيها حياتهم و فيها مماتهم و منها يخرجون يوم البعث ، هذه حقيقة وجودية قالها الله الخالق ، و مهما حاول العقل البشري أن يعيش خارج هذا الكوكب الذي جعله الله استقرارا للوجود البشري فلن ينال ذلك ، مهما تحدى بوسائله التكنولوجية فلن ينال الحياة إلا في هذا الكوكب الأرضي الذي خصصه الله للبشر ، قال تعالى : ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ "61 ، إذ أن المطروح هنا هو التأمل في الكيفية التي انتقل فيها الإنسان – منذ خلقه الأول — من الجنة إلى العالم الأرضي ، و مناط الأمر إدراك الأنظار العجيبة في العلاقات ما بين البنية و البنية ، و ما بين الدلالة و الدلالة ، و ما بين السياق و السياق ، على نحو تأملي و فكري .

و لعل المفكر الألمعي الذي نراه استقصى ما في القرآن من ظواهر بصورة هي أقرب إلى الفكر و الفلسفة مالك بن نبي في كل كتاباته على العموم ، و لكن في كتابه المكتوب بالفرنسية: الظاهرة القرآنية ، الذي ترجم إلى العربية من قبل عبد الصبور شاهين ، يمكن أن نلاحظ من خلاله أنه قد ناقش الخطاب القرآني بأبعاد استقصائية ، " فإن منهج مالك في تأليفه دال أوضح الدلالة على أنه إنما عني بإثبات صحة دليل النبوة ، و بصدق دليل الوحي ، و أن القرآن تنزيل من عند الله ، و أنه كلام الله لا كلام بشر ، و ليس هذا هو إعجاز القرآن كما أسلفت ، بل هو أقرب إلى أن يكون بابا من علم التوحيد ، استطاع مالك من أن يبلغ فيه غايات بعيدة "62 بحسب ما يقول محمد محمود شاكر في تقديمه لهذا الكتاب ، و يقول مالك بن نبي : " إن ارتيادنا القرآن و تأملنا له مع اختلاف مقاصدنا و مع تعلقنا مقدما بمزاعم المثقفين المحدثين ، يبهرنا بنظام أفكاره الغريب ، و مادتها العجيبة ، على أن اهتمامنا قد تزايد منذ بعيد بازدياد سياحتنا في هذا العالم الذي يمتاز بنظامه و هندسته و طبيعته الخاصة ، و هو في هذه المعاني جميعا يشبه دوائر المعارف العلمية أو الكتب التعليمية المعدة لتطبيق خاص .. و نحن هنا نجد أنفسنا ملزمين (باعتراف) هو اعتراف مثقف أقبل على القرآن بطوية فطرية ، كيما يكتشف فيه (كومة) من المعلومات المحددة، كأنه يطلع

60 عباس محمود العقاد — التفكير فريضة إسلامية، مكتبة رحاب ، درط ، الجزائر ، دتط، ص: 6 ، 7 .

61 إبراهيم شعيب — ثنائية النبوة و الملك في قصة سيدنا سليمان، مطبعة بن سالم ، ط1 ، الأغواط الجزائر ، 2009، ص: 11 .

62 مالك بن نبي — الظاهرة القرآنية : 26 .

على أحد المجلدات الفنية "63 ، فمن هذا المنطلق " يتمثل الركن الأول في الجهاز المعرفي الأسلوبي الذي يقارب من خلاله مالك بن نبي قضية الإعجاز القرآني في متلقي القرآن الكريم عامة ، و بالخصوص المسلم في العصر الحديث و المسلم ذي الصلات العميقة بالثقافة الغربية بالأخص ، و تتأسس معاينة بن نبي لهذا المتلقي المسلم بالخصوص من خلال رصد بنيته الذهنية و مكوناتها الثقافية مع تشغيل أدواته المعرفية المنهجية في التنقيب عن العلل التاريخية الفاعلة في هذه البنية " 64

و هناك كتاب آخر للمفكر الإسلامي محمد أبو القاسم حاج حمد ، و قد حاول أن يخوض فيه فكريا عبر تقاسيم القرآن ، و ذلك من خلال كتابه : العالمية الإسلامية الثانية ، ففي تأليفه هذا الكتاب يقول الكاتب: " الكتاب كله معاناة كبيرة في سبيل إعادة الرابط المفهومي بين جدليتين مختلفتين: جدلية (الغيب) حيث يبلغ الخلق حدا أقصى من التمايز ، وحدا مثاليا في القدرة ، فيتجاوز قدرات(التعليم)، وجدلية (الطبيعة) حيث نبلغ الأقصى في (التحديد) باتجاه (التعميم) . وفي سديم الفارق الكبير ما بين (الخلق المتمايز) المشبع بروح المطلق وقوته ، و (التحديد الوضعي) النابع من ضرورات الفهم البشري يحلق هذا الكتاب ويحاور ويستخلص ويستنتج ، محاولا تأطير العلاقة ما بين المطلق والنسبي، ما بين الكلي والجزئي. ما بين الله وإنسانه في الطبيعة حيث يعيش هذا الإنسان —في عصرنا—جدلية بكل زخمها. فكيف يأتي الحوار بين عالم (الغيب)وعالم (الشهادة) "65 ، بحسب قراءة و عرض ونقد : عبد اللطيف زكي أبو هاشم في موقع دنيا الرأي الإلكتروني ، " و قد اقتضت منهجية كتاب (العالمية الإسلامية الثانية) أن يبحث عن الدلالات المستترة للحركة التاريخية من منظور قرآني متجسدة في الإنسان العربي ماضيا وحاضرا ومستقبلا... دلالات تنيط بالإنسان العربي دورا كبيرا ضمن مقومات عالمية جديدة تتجاوز كل التصورات بما فيها تصور الإنسان العربي عن نفسه، حتى وهو في قمة تخلفه ونكوصه وسلبيته. ولذلك حاول المؤلف أن يتجاوز الفهم التقليدي المجزأ للقرآن–كما يقول– وأن يقرأ القرآن الكريم في وحدته المنهجية الكلية ، متوسلا إلى ذلك بأدوات معرفية حديثة مستقاة مما حققته العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية... وبعض ما ينبني عليها من فلسفات، ومن منجزات نوعية، ووعي منهجي و تأطير معرفي، وعمق في تحليل الصيرورة التاريخية للحضارة العالمية الراهنة، ولا يفوته أن ينتقد ما تعيشه من تحديات وأزمات وإخفاقات، كهروبها نحو البراغماتية المطلقة وتبريرها الفلسفي للصراع وما نتج عنه من نتائج وخيمة عالميا على الصعيد الفلسفي والنفسي والعملي "66 ، بحسب قراءة مسعود صحراوي في موقع الملتقى الإلكتروني .

---

[63] السابق، ص : 282 .

[64] الأخضر جمعي – قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، موفم ، درط ، الجزائر ، 2002، ص: 106 .

[65] عبد اللطيف أبو هاشم زكي – قراءة في كتاب العالمية الإسلامية الثانية، http://pulpit.alwatanvoice.com/content-41208.html

[66] مسعود صحراوي – كيف يفهم صاحب العالمية الثانية لغة القرآن ، http://www.almultaka.net/showmaqal

هذا و يمكن اعتبار أعمال نصر حامد أبو زيد أيضا محاولة لتجديد الاتجاه العقلي في التفسير القرآني مؤصلا للفكر الاعتزالي في التراث العربي ففي خاتمة كتابه نقرأ: "و أياً كان تقويمنا لجهود المعتزلة، فالذي لا شك فيه أنهم حاولوا مخلصين رفع التناقض بين العقل و الشرع من جانب، و بين النصوص المتعارضة ظاهرياً في القرآن من جانب آخر. و كانت جهودهم في مجالات المعرفة و اللغة و المجاز- لخدمة هذه المهمة-إنجازاً له آثاره العديدة على هذه المجالات"[67].

هذه بالإجمال بعض الرؤى و التوجهات الكثيرة بمشاربها و تشابكها و تعقداتها ، و التي حاولت أن تصنف مدونة القرآن الكريم ، و المجال المتاح لا يكاد يستوفي شرطا واحدا من أحد التصنيفات ، و إنما أتي(نا) ببعض هذه التصنيفات و أشدد على القول بأنها بعض التصنيفات فقط و ليست كل التصنيفات ، لمجرد النمذجة لما وصل إليه الدرس القرآني من تصنيفات في الحد التقريبي و النسبي ، محاولة م(نا) لقراءة هذا الانبثاق و التكوثر لمجرد التقرب من حواف هذا الخطاب المقدس ، و تناول(نا) لم يكن في القرآن في ذاته و إنما في الخطاب الذي دار حول الخطاب القرآني ، فماذا لو كان مدار الأمر في القرآن نفسه ؟

إن هذا التعدد الكلامي حول الكلام الإلهي ، لهو دليل على صحة من يقول : إن القرآن حمال أوجه ، و على هذا الأساس ، و من منطلق كهذا لابد من قراءة تصنيفية لإيضاح الأبعاد الخصائصية لما تم التوصل إليه من خلال هذه الجولة في تصنيف الدراسات القرآنية .

4- ملاحظات في الدراسات القرآنية :

- الملاحظة الأولى تتبدى في كثرة الدراسات القرآنية و تشعبها و ذلك يرجع إلى :
  - طبيعة و خصائص القرآن الذي هو ليس بكلام بشر .
  - و يرجع كذلك إلى أن القرآن قد تناول أغلب المناحي و الحاجات البشرية .
- و بالإمكان إجمال الدراسات القرآنية على نحو نسبي في :
  - التفسير .
  - التأصيل العلمي من خلال القرآن .
  - دراسات إثبات الإعجاز القرآني .
  - الدراسات الفكرية و التأملية في القرآن الكريم .
- الملاحظة الأخرى هي غلبة دراسات التفسير على باقي الدراسات ، ثم اتسام التفسير بالطابع العلمي ، حتى بات يسمى علم التفسير ، و ذلك يرجع إلى :

[67] نصر حامد أبو زيد- الاتجاه العقلي في التفسير، المركز الثقافي العربي، ط 06، المغرب، 2007، ص: 246 .

- أن القرآن مصدر من مصادر العقيدة و الفقه و التشريع .
- حاجة الناس إلى فهم دينهم من خلال القرآن .
- أن للتفسير رغم اتفاقه في مدونة واحدة إلا أنه متعدد الرؤى في بعض طروحاته ، بحسب المفسرين و اتجاهاتهم .

و هكذا نجد أن المدونة الغالبة في الدراسات القرآنية هي التفسير أو علم التفسير أو دعنا نقول خطاب التفسير ، فهل يمكن أن نعتبر التفسير نوعا من أنواع الخطابات ؟

التفسير القرآني يعتبر خطابا بالدرجة الأولى ، لتوفره على العناصر الخطابية من مثل باث و الذي هو المفسر ، و رسالة خطابية معينة و تختلف كل رسالة تفسيرية عن غيرها ، و متلق لهذه الرسالة الخطابية ، ثم توفر السياق و الظرف المعين ، و وجود سنن أسلوبي متعارف عليه ، و الأكثر من هذا هو قابلية هذه المدونة التفسيرية للتصنيف العام ، إذا نعتبره خطابا من هذه الوجهة .

إذا لابد أن نحدد المفاهيم الخاصة بالخطاب ، و الخصائص التي يتميز بها ، و كذلك أن نحاول الولوج إلى الإجراءات التي تندرج فيما يسمى تحليل الخطاب ، و محاولة الإشارة إلى إطارها العام و الخاص ، و ذلك حتى يتسنى معرفة الإجراء الأهم الذي تشترك فيه كل الخطابات .

الفصل الثاني

(مفاهيم الخطاب -الأصول، الحدود، الآليات-)

- توطئة
- *مفهوم الخطاب*
- *الخطاب و النص*
- *تعدد الخطابات*
- *العناصر النظرية للخطاب*
- الخطاب و تحليل الخطاب
- بعض آليات تحليل الخطاب
- الخطاب و آلية السياق

1- توطئة :

يعتبر الحديث عن الخطاب أو الخطابات من الأحاديث المهمة ، لأن تناول مفاهيمه يساعد على بناء التصور الأمثل لطبيعة التواصل البشري و محاصرة الكم الأوفى من خصائصه و قوانينه التي هي دأب كل باحث في هذا العصر ، و من هذا المنظور تتوجه كل الأبحاث إلى محاولة الإلمام بما توفر من مدونات خطابية ، حتى أصبح الخطاب خطابات ، و صار بالإمكان أن نسمي كل ما يدخل في إطار التواصل البشري نوعا من أنواع الخطابات ، سواء كان ذلك أصواتا ملفوظة أو إشارات أو كتابات أو رسوما أو صورا ، و يمكننا فضلا عن ذلك ، أن نعتبر السيناريوهات الفيلمية نوعا من أنواع الخطابات ، إذاً هناك نوع من الهروب من إمكانية التحديد عند أي محاولة للتصنيف ، نظرا لتناسل الأنواع في الخطابات ، كما أننا نلاحظ أن هذا الاختلاف في وجوه التناول للمرامي التصنيفية مرده أيضا لاختلاف وجهات نظر النقاد و الباحثين و منظري تحليل الخطاب ، غير أن أي مقاربة إجرائية من قبل المحللين تحدث آليات معينة تتشاكل في بعض ، و تتباين في البعض الآخر ، بحسب متطلبات المدونة الخطابية ، و للولوج إلى الأبعاد التي هي من حدود الخطاب ، لابد أولا أن نمر عبر مفهوم الخطاب حتى تتضح لنا الصورة أكثر.

2- مفهوم الخطاب :

- في اللغة :

يقول الجوهري في معجمه الصحاح " خطب : الخَطبُ : سبب الأمر ، نقول : ما خطبك . و خطبت على المنبر خطبةً بالضم . و خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا . و خطبت المرأة خِطبةً بالكسر ، و اختطب أيضا فيهما . و الخطيب : الخاطب ، و الخطيبي : الخطبة "68 .

و يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط " الخطب الشأن ، و الأمر صَغُر أو عَظُم، ج:خطوب . و خطب المرأة خطباً و خطبة و خطيبي ، بكسرهما ، و اختطبها ، و هي خطبه و خطبته و خطيباه و خطيبته ، و هو خطبها ، بكسرهن ، و يضم الثاني ، ج : أخطاب

68 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري– الصحاح، ص : 327 .

... و فصل الخطاب : الحكم بالبينة ، أو اليمين ، أو الفقه في القضاء ، أو النطق بأما بعد 69"

و ورد لفظ الخطاب في المصباح المنير للفيومي بما معناه : " (خاطبه) مخاطبة و خطابا و هو الكلام بين متكلم و سامع و منه اشتقاق الخطبة بضم الخاء و كسرها باختلاف معنيين فيقال في الموعظة خطب القوم و عليهم من باب قتل خطبة بالضم و هي فعلة بمعنى مفعولة نحو نسخة بمعنى منسوخة و غرفة من ماء بمعنى مغروفة و جمعها خُطَب مثل : غرفة و غرف فهو خطيب و الجمع الخطباء و هو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم ." 70

- الخطاب في التراث العربي و اليوناني :

تنوع مفهوم الخطاب في التراث العربي تنوعا واضحا ، ففي التعبيرات العربية القديمة نراه يحمل مدلول الرسالة ، فيقال : هذا خطاب فلان لفلان ، و مرة أخرى عُبر به عن الخطبة التي يلقيها الخطيب ، " و يرتبط الخطاب بالخطابة في النصوص التراثية ، فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن ، فهي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية ، و من ثم فإن الجاحظ إذا تكلم في بعض النصوص عن الخطابة و السياق ، فهو يقصد البلاغة ، و لم يذكروا بالخطابة و لا بهذا الجنس من البلاغة، و ليس هذا معناه أنه لا يفرق بينهما، و لكنه يتصور العلاقة بينهما على هذا الشكل ليس أكثر ... و لو أردنا التعبير عن هذه العلاقة، لكان الشكل الآتي ، هو الكاشف عن العلاقة التي تجعل البلاغة جنسا، و الخطابة نوعا :

(كل الخطابة = البلاغة) أما (كل بلاغة ≠ الخطابة) "71 ، و قد دلت أيضا على قوة الإدراك .. إلخ " إذ ورد في القرآن الكريم ، بصيغ متعددة ، منها : صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [سورة الفرقان آية 25] ، و المصدر في قوله تعالى : ﴿رب السموات و الأرض لا يملكون منه خطابا﴾ [سورة النبأ آية 78] ، و في قوله تعالى عن داود عليه السلام : ﴿و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب﴾ فقد عد الرازي صفة فصل الخطاب ، من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداود ، معتبرا إياها من علامات حصول

[69] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – القاموس المحيط، ص : 478 .

[70] أحمد بن محمد بن علي الفيومي– المصباح المنير ، تح : يحي مراد ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، مصر ، 2008 ، ص: 106 .

[71] عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الأديب ، درط ، وهران ، 2006، ص : 11 .

قدرة الإدراك و الشعور ... لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، و يحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء " 72 .

أما تصورها عند اليونان فهي شيء آخر " إذ يرتبط الحديث عن الخطاب بالخطابة التي فصلها أرسطو طاليس عن الشعر ، و قد قال عن مكوناتها : أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث : إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات و الثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ ، و الثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول. و نستخلص من مقولة أرسطو عناصر الخطابة الآتية :

- عنصر الإقناع أو البراهين .
- الأسلوب أو التنظيم أو البرهان .
- ترتيب أجزاء القول . "73

الخطاب في الاصطلاح :

المصطلح في عرف البحث العلمي هو ما تم الإجماع على حيّزِه ، بحيث يكون مفهومه جامعا مانعا ، و في الحقيقة لا يحصل هذا المفهوم إلا بتظافر عدد من التعريفات من مناحٍ عديدة ، إذ أن التعريفات تشكل أرضية لمفهوم، و مادام أن الأمر يتعلق بمفهوم الخطاب فإن مفهومه تأرجح "بين النسخ عن الغرب، و اتخاذ مفاهيمهم أساسا للحكم على النص العربي، و بين الانطلاق من المفهوم الغربي و صياغة مفاهيم جديدة تتساوق و النص العربي المدروس . و في الحالتين يصار إلى استبعاد الأساس العربي الذي رسم حدودا لمفهوم الخطاب لا تبعد في جوهرها عن المفهوم الغربي الحديث له"[74]، لذلك "يجب أن نفهم الخطاب في مدلوله الأوسع، باعتباره كل تلفظ يفترض متكلماً و سامعاً، و عند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة معينة"[75]، و لا بأس في أن نحاول طرح عدد من التعريفات الاصطلاحية على النحو التالي :

---

72 عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 01 ، لبنان ، 2004 ، ص: 34 ، 35 .

73 عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، ص : 11 .

74 مهى محمود إبراهيم العتوم– تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004، ص: 20 .

75 Emile Benveniste- Problémes de linguistique générale,T1,Edi Gallimard, Paris, 1966, P:240-241.

يَ عُدُّ بعض الباحثين كلام دي سوسير عن الكلام كلاما يقصد في معناه الخطاب ، مثل ما نجد في حديث رابح بوحوش : " تعود نشأة الخطاب الأولى إلى (فرديناند دي سوسير) صاحب كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) ... الكلام : هو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي و إرادة ، و يتصف بالاختيار الحر ، و حرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي .. "76

و يقول سعيد يقطين : " لتحديد الخطاب و تحليله التحديد و التحليل المقبولين علينا أن نحدد الاتجاه الذي ننتمي إليه و المجال الذي نشتغل فيه وفق أسئلة ابستيمولوجية محددة . نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة : لماذا هذا التعريف ؟ ماهي الأدوات و الإجراءات المناسبة ؟؟ إلى ماذا نبغي الوصول ؟ و كيف؟؟ ... "77 .

هذه النتيجة الاستفهامية التي مؤداها توخي التعريف و التحديد ، توصل الباحث إليها من خلال طرحه لعديد التوجهات التي حاولت أن تلامس الخطاب مفهوميا ، بتناوله الطرح اللساني الذي يتبناه زيليغ هاريس ، و الذي ذكر الباحث أنه أول من حاول وضع تحديد عام للخطاب بانطلاقه من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب ، فيقول هاريس في تعريفه للخطاب بأنه " ملفوظ طويل ، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر ، بواسطة المنهجية التوزيعية و بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض "78 ، ثم يعاين سعيد يقطين فعل التلفظ عند إميل بنفنست الذي يعرف الخطاب " باعتباره الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات و عمليات اشتغاله في التواصل "79 ، بعدها يتكلم يقطين عن توجه فرانسوا راستيه و ضرورة قيام علم خاص بالخطابات ، و يتناول بعد ذلك مفهوم الخطاب عند مانغينو mainguenea الذي يضيف مقام التواصل إلى خاصية الإنتاج و الدلالة ، و جون كارون ، و موشلر j.moeshler ، و ستابس stubbs .

و نجد باحثا آخر و هو فرحان بدري الحربي يجمع مقولات مهمة قيلت في الخطاب محاولا اِ ستيفاء وجوه التطور الحاصل في المفهوم شأنه في ذلك شأن سعيد يقطين ، يقول :

---

76 رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار ، درط ، عنابة ، 2006 ، ص: 71 .

77 سعيد يقطين – تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط 04 ، المغرب ، 2005 ، ص: 26 .

78 المرجع نفسه، ص : 17 .

79 المرجع نفسه، ص: 19 .

" – الخطاب مصطلح مرادف للكلام parole ، بحسب رأي (سوسير) اللساني البنيوي ، و هناك خطاب أدبي بحسب رأي (موريس) .

- الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباث (المتكلم) ، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة ، بحسب رأي (هاريس) .
- هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية بحسب (بنفنست) .
- مفهوم الخطاب يقابل مفهوم الملفوظ ، في المدرسة الفرنسية ، إذ أنهم يرون أن النظر إلى النص بوصفه بناء لغويا يجعل منه ملفوظا أما البحث في ظروف إنتاجه و شروطه فإنه يجعل منه خطابا .
- و هو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة ، في استعمال اللغة ، بحسب رأي (تودوروف) .

فهو : أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو و مستمع و عند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة كما يقول (بنفنست) "[80]

في حين نجد أن عبد الهادي بن ظافر الشهري يعنيه من الخطاب الاصطلاح اللغوي ، و يتبنى في ذلك وجهة نظر كل من (ديبورا شيفرن) و (جيفري ليتش) يقول : " حدُّ الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا "[81]

و تعطي خلود العموش للخطاب تعريفاً تواصلياً ، تقول : " نجد أن الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالاً يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب "[82]

بينما في مفهوم أحمد المتوكل " يعد خطابا كل ملفوظ / مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات "[83] .

يمكن استقصاء ثلاثة أمور من هذا التعريف :[84]

---

[80] فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط 01 ، لبنان ، 2000 ، ص: 39 ، 40 .
[81] عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، ص : 39 .
[82] خلود العموش – الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث ، ط 01 ، الأردن ، 2008 ، ص: 24 .
[83] أحمد المتوكل – الخطاب و خصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط01، المغرب، 2010 ، ص: 24 .
[84] السابق، ص : 24 .

أولا، تحييد الثنائية التقابلية جملة/ خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة،

ثانيا، اعتماد التواصلية معيارا للخطابية،

ثالثا، إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو مركب...

و مما سقناه يتضح أن الخطاب مفهوم أوسع و أشمل من الجملة ، و إنما يتحدد معناه المفهومي بناء على التلفظ أو العلاقة بين طرفين : مخاطِب و مخاطَب ، " فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي و شمولي ، لا يتوقف على البعد اللساني وحده ، و لا على البعد الاجتماعي و التاريخي الذي يعتبر النص انعكاسا لحركة الدلالة في التاريخ ، كما لا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدد ، و لكنه يمازج بين هذه الأبعاد نظرا و تطبيقا "85 .

غير أن أبي البقاء الكفوي في كلياته يعطي مفهوما يأخذ في حسبانه ما يزيد عن اللغة المنطوقة أو المكتوبة إلى الإشارات ، يقول : " الخطاب : اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه احترز " باللفظ " عن الحركات و الإشارات المفهمة بالمواضعة و " بالتواضع عليه " عن الألفاظ المهملة ، و " بالمقصود به الإفهام " عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا ، وبقوله : " لمن هو متهيئ لفهمه " عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس ، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام "[86].

و من هذا المنطلق، "فإن الخطاب يأخذ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى كالتالي:

- بالنسبة إلى الجملة: يعتبر الخطاب وحدة فوق جملية.
- بالنسبة إلى الملفوظ: يشكل الخطاب وحدة تواصلية محموعة بظروف إنتاج معينة و تشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهة بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثاً عن الخطاب.

[85] محمد عبد الباسط عيد – النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص : 17 .

[86] أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي– الكليات، ص : 419 .

- بالنسبة إلى النص: يعتبر النص خطاباً إذا نظرنا إليه مجموعاً مع سياق إنتاجه.
- بالنسبة إلى التلفظ: يعد التلفظ حاملاً نوعياً لسياق الخطاب، و على هذا فهو ضروري في اعتبار الملفوظ خطاباً"[87] .

لا نحاول هنا أن نكون مفهوما شموليا للخطاب بالتوليف بين ما سبق إيراده ، لأن هذه المحاولة على وجاهتها ، تصد السبيل أمام مفاهيم أخرى ربما لم يتسع المجال لذكرها أو أن هناك مفاهيم ربما لم نطلع عليها أو لم تصل إلينا ، فترك الباب مفتوحا لمجموع الآراء – من باب التحرز – أفضل من حصر منهجي آن ، غير أن مفهوم الخطاب يطرح انشغالا آخر عندما نأتي إلى مفهوم النص ، فماهي العلاقة التي تربط بينهما ؟ و هل الخطاب هو النص ؟ و ما حدود تلاقيهما ؟ و ما الفرق بينهما إن اختلفا ؟

3- الخطاب و النص :

نال النقاش حول قضية الخطاب و النص نصيبا كبيرا في الدراسات المعاصرة ، لأنها بالفعل إشكالية اصطلاحية في امتداد كل مفهوم من حيث المعنى ، و على الرغم من المحاولات العديدة التي خاضها بعض الباحثين في إيجاد تخريج علمي لهذه القضية ، و على وجاهة بعض هذه الآراء من الناحية المنطقية، إلا أن ذلك لم يحل الإشكال بصفة نهائية ، و هذا راجع إلى اتسام المصطلحين بالطابع الجدلي بالدرجة الأولى ، ثم اشتراكهما في كثير من الخواص ، و راجع كذلك إلى الاستعمالات من قبل بعض الباحثين الذين لا يميزون بينهما أو أن التفريق ما بين هاذين المفهومين لا يعنيهما في فترة من الفترات ، و لكن سنحاول أن نورد بعض الآراء التي تناولت محاولة التمييز ما بين الخطاب و النص .

و بما أننا حاولنا أن ننظر إلى الخطاب لغة و اصطلاحا في البند السابق ، فلا بأس في أن نذهب مباشرة إلى مدلول النص على جهة المفهوم ، و قبل ذلك ، لابد أولا أن نستدرج المعنى من الناحية المعجمية ، يقول الفيروزآبادي في مادة (ن.ص.ص) : " نصَّ الحديث إليه : رفعه ، و – ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير ، و – الشيء : حركه ، و منه : فلان ينص أنفه غضبا ، و هو نصاص الأنف ، و – المتاع : جعل بعضه فوق بعض ... و نصص غريمه و ناصه : استقصى عليه و ناقشه "[88] .

[87] محمود طلحة- تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، ط 01، الأردن، 2011، ص: 18 .
[88] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – القاموس المحيط، ص: 1615 ، 1616 .

و يقول الفيومي فيها " نصص : (نصصت) الحديث نصا من باب قتل رفعته إلى من أحدثه . و نص النساء العروس نصا رفعنها على المنصة و هي الكرسي الذي تقف عليه في جلائها .. "89 .

و في الأصل الغربي أي اللاتيني ، فمعنى كلمة (نص) " في اللغات الأوربية ، فإننا نجد كلمتي : texte, text مشتقتين من (textus) بمعنى النسج (tissu) المشتقة بدورها من texere بمعنى نسج ." 90 .

و معنى النص في التراث العربي يقصد به الرفع و الإظهار ، و بحسب ما ينقله لنا شرشار عبد القادر فإن " معنى النص بقي محصورا في الدلالة على الكتاب و السنة ، بالإضافة إلى دلالات أخرى ، ك: نص الشيء رفعه و أظهره ، و إن كان حديثا أسنده إلى قائله ، و نص الناقة استحثها بشدة ، و الشيء حركه "91 .

النص اصطلاحا :

يحدده محمد الشاوش على اعتبارات ثلاثة – المنطلق فيها – الإجراء النحوي ، فيقول :[92]

- النص باعتباره مصدرا يمكن أن يدل أصلا على الحدث غير مقترن بزمان و هو مؤهل نظرياً لأن ينتقل للدلالة على معنى الاسم شأنه في ذلك شأن سائر المصادر ،
- النص عند النحاة القدامى لفظ دال على معنى الحدث لا يفارقه ، و من أدلة ذلك عدم عثورنا على استعمالات عمدوا فيها إلى جمع النص على نصوص ، باعتبار أن الجمع أفضل رائز للاستدلال على مفارقة المفردة لقسم المصادر و انتقالها إلى قسم الأسماء ،
- النص عندنا اليوم : لفظ تمحض للاسمية و يدل على معنى الاسم لا يكاد يفارقه ، و لك أن تستدل على ذلك ببعد استعماله مصدراً قائماً على الإضافة اللفظية و عاملاً في مفعول ، كما في القول التالي : (نصّ الأستاذ على الأخطاء) بجعل كلمة نصّ رأس مركب شبه إسنادي قائم على عمل المصدر في المفعول .

---

[89] أحمد بن محمد بن علي الفيومي– المصباح المنير، ص: 369 .

[90] عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، ص : 19 .

[91] المرجع نفسه، ص: 19 .

[92] محمد الشاوش – أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1،كلية الآداب منوبة ، ط 01 ، تونس ، 2001 ، ص: 186 .

و بالتالي فإننا نعتقد أن استعمالات النحاة لعبارة (النصّ) كتلك التي وردت فيما نقلناه من أقوالهم لا يمكن أن تركب مطية للاستدلال على استعمال هذه المفردة بالمعنى الذي أصبحنا نستعملها به اليوم .

و مما اصطُلِح عليه لدى الأصوليين مصطلح النص ، و قسموه إلى ما لا يقبل التأويل و هو النص، و إلى ما يقبل التأويل و هو الظاهر و " يفرق الغزالي بين مفهوم النص باعتبار دلالته قطعية لا تحتمل التأويل و الظاهر هو التأويل . و هكذا يبين أن الخطاب القرآني يتكون من صيغتين هما : النص و الظاهر . و يقول لتوضيح المفهوم الثاني (كما ورد عند الشافعي) : **و تسمية الظاهر نصا منطبق على اللغة ، لا مانع في الشرع منه ، إذ معنى النص قريب من الظهور** . و لكي يوضح الغزالي الفرق بين النص و الظاهر ، كما يؤولهما عند الشافعي ، فإنه يوضحهما بمفهومين بلاغيين حيث يقول : **قال الأستاذ أبو إسحاق : الظاهر هو المجاز ، و النص هو الحقيقة** ... يمكن أن نعتبر عرض أبي حامد الغزالي لمفهوم النص في كتابه المنخول مقدمة ليعرض مفهومه الخاص للنص في كتابه المستصفى ، حيث يعرفه بقوله : **النص اسم مشترك يطلق في تعارف العلماء على ثلاثة أوجه :**

- **الأول : ما أطلقه الشافعي رحمه الله ، فإنه سمى الظاهر نصا و هو منطبق على اللغة ..**
- **الثاني : و هو الأشهر ، ما لا يتطرق إليه احتمال لا عن قرب و لا عن بعد ..**
- **الثالث : التعبير بالنص عما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل** "[93]

هذا و لكي يزيد علماء الأصول في تفصيل المصطلح ، فقد وزعوه على محورين : " محور الوضوح و يتكون من أربعة مفاهيم و محور الغموض و يتألف هو أيضا من أربعة مفاهيم :

و مفاهيم محور الوضوح هي : الظاهر / النص / المفسر / المحكم .

أما مفاهيم محور الغموض فهي : الخفي / المشكل / المجمل / المتشابه . "[94]

أما الغربيون من المنظرين فلهم وجهات متباينة في تعريف النص ، و هم في ذلك ثلاثة أقسام :

---

[93] حسين خمري – نظرية النص، ص : 138 ، 139 .

[94] السابق، ص : 145 .

" – يذهب جماعة منهم إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته ، يمثلهم (تودوروف) فالنص في رأيه نظام تضميني نستطيع التمييز بين مكوناته على ثلاثة أوجه : ملفوظي ، و نحوي ، و دلالي و هو يوازي النظام اللغوي و يتداخل معه .

- و قسم ثان يعرفه من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي ، و يمثله (رولان بارت) الذي وجد عند (جوليا كريستيفا) تعريفا جامعا أو أصوليا ، فالنص : آلة نقل لساني و إنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصلي أي المعلومات المباشرة ، في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة أو متزامنة و مختلفة ، فالنص بهذا المعنى فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب و القارئ ، و قبل ذلك قدم مفهوما للنص وسمه بأنه تقليدي و شائع و مؤسسي ، فهو نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف و المنسقة بشكل ثابت ، أهم مهماته أنه يضمن بقاء الشيء المكتوب ، و هو مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم (القانون و الدين و الأدب و العلم)
- وأخيرا يذهب قسم ثالث إلى ربطه بفعل الكتابة يمثله : (بول ريكور) و هو منظور إيصالي فالنص هو كل خطاب تثبته الكتابة ، إذ هو أداء لساني و إنجاز لغوي يقوم به فرد معين "95 .

و يعرفه عبد المالك مرتاض في أن " الأصل في مدلول الوضع اللغوي للنص هو الرفع و الإظهار و بلوغ الغاية في الشيء . و لم نعثر على نصوص شعرية أو نثرية موثوقة تفيد المعنى المتداول على عهدنا هذا إلا ما كان أورده ابن منظور من أن الفقهاء كانوا يقولون (نص القرآن و نص السنة ، أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام) . "96

و يتناول محمد مفتاح النص من حيث خصائصه اللسانية إذ يقول : " أهم ضابط للنص هو الانسجام و هو يضم عدة عناصر . و في هذا المفهوم خلاف و يمكن أن نتكلم عن مفهوم الاتساق و مفهوم التنضيد . فمفهوم التنضيد هو المرحلة الأولى أي العلاقة بين الجمل : واو العطف ، فاء السببية إلى غير ذلك : ارتباط الكلام بعضه ببعض و تراصه .

[95] فرحان بدري الحربي – الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 38 .
[96] حسين خمري– نظرية النص، ص : 45 .

و نقصد بمفهوم الاتساق العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم بخصوص أو علاقة تضمن . و مفهوم الانسجام هو أعم ، انسجام النص مع العالم الواقعي . إذ إن كل نص هو متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة . "97 .

و تعرفه خلود العموش بقولها : " أن النص هو كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية و نهاية ، و يتسم بالتماسك و الترابط ، و يتسق مع سياق ثقافي عام أُدرج فيه ، و ينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ و الواقع من خلال اللغة ، و بين بداية النص و خاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي ، و هذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفته التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص و متلقيه "[98].

الفرق ما بين النص و الخطاب :

نبدأ بمن يسوُّون ما بين النص و الخطاب ، أي أنه لا يوجد فرق بين النص و الخطاب في رأيهم إلا في لفظ المصطلح ، و من هؤلاء محمد عابد الجابري يقول : " النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب ... الخطاب باعتباره مقول الكاتب - ...- هو بناء الأفكار (..) يحمل وجهة نظر ... فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء "99

أما غريماس و كورتاس فلهما وجهة نظر مختلفة ف : " النص يرتبط بالكتابي (التشكيلي) و الخطاب بالشفوي (الصوتي) ، إذ يقولان : بوصفه ملفوظا فإن النص يتعارض مع الخطاب و ذلك تبعا لمضمون التعبير – غرافيكي (تشكيلي) أو صوتي – المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني . و حسب بعض علماء اللسانيات (ر . ياكبسون) فإن التعبير الشفوي و بالتالي الخطاب هو الحدث الأول للكتابة التي تصبح مجرد مشتق و ترجمة للتجلي الشفوي "100 .

بينما يذهب فان دايك إلى علاقة سببية في أن الآلية النظرية للخطاب هي النص ، بينما الخطاب منتوج شفوي ناشئ من فاعلية النص ، " فإنه يميز تمييزا دقيقا بين النص و الخطاب ، إذ أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية و نتيجتها الملموسة ، أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا

---

97 السابق، ص: 48 .

98 خلود العموش – الخطاب القرآني، ص: 22 .

99 محمد عابد الجابري– تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة ، ط 01 ، بيروت ، 1985، ص: 60 .

100 حسين خمري– نظرية النص، ص: 59 ، 60 .

الخطاب. و بتعبير آخر ، فإن الخطاب ملفوظ (أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية ... بينما النص هو الشيء المجرد و الافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية "101 .

و هناك من الباحثين من يقول بالعلاقة الاحتوائية ما بين النص والخطاب ، و من هؤلاء الباحثين تمام حسان الذي يقول " أن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق . و إذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة و المنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما "102 .

و تذهب خلود العموش تقريباً إلى نفس هذا التوجه ، عندما تقول : " و ليس كل خطاب نصا و إن كان كل نص بالضرورة خطابا ، فالكلام المتصل خطاب ، و لكنه لا يكون نصا إلا اكتمل ببداية و نهاية و عبر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم "103 .

و يقول فرحان بدري الحربي : " إن الخطاب يبنى على موضوع ، و هذا الموضوع لابد أن يكون مفهوما و إلا بطل أن يكون خطابا ، إذا فهناك بنية متعالقة تشمل الخطاب القائم على الموضوع هذه البنية تؤدي إلى الفهم و هو ما يؤلف حوارا .

و الحوارية في مفهومها الضيق ، أحد أشكال تكوين الخطاب و هي تمثل حياة النصوص و علاقاتها في داخل الخطاب ، و هي تختلف عن العلاقات الألسنية التي توجد بين العناصر داخل نظام اللغة أو في الكلام المنطوق معزولا "104 .

و لكن الاتفاق الحاصل ما بين الآراء في الغالب ، هو أن الخطاب يكون دائما في مستوٍ أوسع من النص ، ربما لأن النص كانت إجراءاته نصية محايثة تقصي الخارج (السياق الخارجي) ، و الخطاب إجراءاته تداولية يعتبر السياق من أهم إجراءاته ، و نقصد هنا بالسياق : السياق الخارجي ، و ليس السياق اللغوي ، ذلك لأن السياق سياقات .

---

101 المرجع نفسه، ص: 60 .

102 روبرت دي بوجراند– النص و الخطاب و الإجراء (مقدمة المترجم : تمام حسان) ، عالم الكتب ، ط 02 ، القاهرة ، 2007، ص: 06 .

103 خلود العموش – الخطاب القرآني، ص : 24 .

104 فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص : 44 .

4 – تعدد الخطابات :

يعدُّ الخطاب منفلت من إمكان التحديد ، و هذه الخاصية جعلته متعددا و متنوعا ، إذ الخطاب خطابات في جميع الأعراف النقدية و لذلك " نجدنا أمام تنوع و تعدد الخطابات الشفوية التي تمتد من المخاطبة اليومية إلى الخطبة الأكثر صنعة و زخرفة . و إلى جانب الخطابات الشفوية نجد أيضا كتلة من الخطابات المكتوبة التي تعيد إنتاج الخطابات الشفوية و تستعير أدوارها و مراميها من المراسلات إلى المذكرات و المسرح و الكتابات التربوية .. "[105] ، و ربما هذا التنوع مدعاة لنشوء هذا الكم الكبير من الخطابات النقدية حول مدونة الخطاب مهما كان نوعه .

و يتناول الشهري هذا التعدد الخطابي بأسلوب الإستراتيجيات إذ يقول : " يتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب ، في ما يسمى بإستراتيجية الخطاب و هذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له ، بصفة مستمرة و شعورية . و من هنا ، يتحتم على المرسل ، أن يختار الإستراتيجية المناسبة ، التي تستطيع أن تعبر عن قصده ... و تتدخل عناصر السياق الاجتماعية في تحديد استعمالات اللغة ، و في انتشار بعض الإستراتيجيات على حساب انحسار البعض الآخر "[106] .

أما من حيث أنواع الخطابات ، فلا يمكن بأي حال ، أن نحصر الخطابات في أنماط مخصوصة و مقاييس واضحة ، وهذا راجع كما قد ذكرنا إلى أن هناك ما لا نهاية من الخطابات ، و لكن البعض، و لحاجة في سياق تناولهم الأكاديمي ، حاولوا أن يحددوا نوع الخطاب ، مثل تناول منذر عياشي على لسان فرحان بدري الحربي يقول : " و هكذا يمكن تحديد نوع الخطاب ، فهناك نوعان من الخطاب الأول إيصالي ، و الآخر إبداعي ، مدار الدرس في الأول يقوم حول سؤالين ، ماذا يقول الخطاب ؟ من ذا الذي يقول ؟ ، أما الآخر فإن الدرس يدور فيه حول سؤال واحد هو كيف يقول الخطاب ما يقول ؟ "[107].

و هناك من يميز بين خطاب يكون في خانة النقد ، و خطاب آخر يكون في خانة الأدب ، و مثال ذلك تزفيتان تودوروف إذ الخطاب عنده نوعان : " خطاب نقدي و خطاب أدبي . أما الخطاب

---

105 سعيد يقطين– تحليل الخطاب الروائي، ص : 19 .

106 عبد الهادي بن ظافر الشهري– إستراتيجيات الخطاب، ص : 56 .

107 فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص : 44 .

النقدي فهو الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمنجز لا يستطيع أن يتحدث إلا خطابا مثقوبا ، و هي مرحلة يظهر فيها تحويل الأنا إلى علاقة ، حيث ما يبقى له سوى أن يصمت عبر نوع من الدرجة الصفر للمتكلم ... أما الخطاب الأدبي و الشعري خصوصا ، فهو من منظور التواصلية خطاب يهدف إلى التعبير "[108] .

غير أن هذه الرؤية ليست لازمة في التحديد ، لأنه بإمكاننا القول أيضا : خطاب قانوني و خطاب غير قانوني ، و خطاب سياسي و خطاب غير سياسي ، و خطاب تفسيري و خطاب غير تفسيري و لذلك ننوه بأن الخطاب باعتباره مدونة عامة لا يمكن تصنيفها ، لتعددها اللانهائي ، و إنما يمكن عن طريق المحاولة ، أن نميز فيه جزئيا لحاجة الدرس ، باصطناع مقياس معين في ذلك .

و يمكن أن يكون رأي المتوكل رأيا ذا منطقية في هذا الشأن يقول : " يقترح التنميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا منطلقا فيه من أحد المعايير التالية : الموضوع و الآلية و البنية .

1) تصنف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني، و خطاب علمي و خطاب أيديولوجي أو سياسي ...
2) و تصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى " الخطاب الفني " (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة و رواية و قصيدة شعر و غيرها .
3) أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردي و الخطاب الوصفي و الخطاب الحجاجي .

إن الأمر الذي يجب أن لا يغفل عن ذكره عندما يتصل الأمر بتعدد الخطابات، بأن تعدد أجناس الخطاب هو تعدد لانهائي"[109] ، و يرجع هذا إلى الظروف التواصلية المختلفة و كذا سياقاتها الاجتماعية و التاريخية، و إلى الآراء المختلفة حوله .

5 – العناصر النظرية للخطاب :

---

[108] رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب، ص : 88 .

[109] J.M.Adam- linguistique textuelle des genres de discours aux textes,Nathan, 1éd, Paris,1999, P:93.

يبدو المنظور اللساني لعناصر الخطاب أول مقولة منطقية تلقفها الباحثون بمختلف توجهاتهم النحوية أو النصية أو الخطابية أو غير ذلك ، ذلك لأنها تبدو للوهلة الأولى مستوفية لأركان التواصل ، أو أنها قاعدة نموذجية لإضافات أخرى ، و على هذا درج الباحثون يقدمون النماذج محاولين الإلمام بما يدخل في نطاق الخطاب من عناصر نظرية ، و لا بأس في أن نورد الطرح اللساني على عواهنه أولاً ، ثم الطروحات الأخرى من الأصوليين و محللي الخطابات ثانياً .

يتبنى توفيق محمد شاهين الموقف اللساني إذ يقول : " و معنى ذلك : أن عملية الكلام تتم على هذا النحو :

أ – التفكير العقلي أولا ، و نظرا لأن التشريح للمخ لم يكشف عن ديناميكية و ماهيته تماما ، فإن الباحث اللغوي لا يقف طويلا عند عملية التفكير و تفسيرها بالتفصيل ، أمام هذه العملية الفكرية و الأولية .

ب – إصدار الكلام من جهاز النطق (Production) .

ج – الموجات الصوتية الخارجة من فم المتكلم ، و الواصلة – عبر الهواء – إلى أذن السامع (Trasmission) .

د – العمليات العضوية التي تقوم بها أجزاء الأذن (Réception) بعد استقبالها للصوت .

هـ – ترجمة المخ للرسالة التي وصلته ، و التصرف على مقتضاها ، حينما يكون الكلام مفهوما و مفيدا.

معنى هذا أنه لابد من متكلم ، و مخاطب ، و أشياء تجول في الفكر و نريد التحدث عنها ، و رموز متفق عليها ، لها في الذهن صور و معان معينة "[110].

و لعل أهم نظرية لسانية في هذا المجال ، هي ما جاء بها رومان ياكبسون " و مفادها أن عملية الاتصال تتطلب ستة عناصر أساسية : المرسل (Emitter) و المتلقي (Receptor) و قناة الاتصال (Communicative channel) و الرسالة (Message) ، و شفرة الاتصال (Code) ، و

[110] توفيق محمد شاهين – علم اللغة العام، مكتبة وهبة ، ط 01 ، القاهرة ، 1980، ص: 70 .

المرجع (Referent) . و استخلص من كل هذا أن اللغة تقوم بستٍّ وظائف مختلفة : فإذا كان الاتصال يهدف إلى توضيح موقف المرسل نفسه إزاء الرسالة اللغوية فهذه وظيفة تعبيرية (Expressive function) . و إذا كان الهدف من الاتصال التأثير على المتلقي ، فهذه تُعرف بوظيفة النزوع (Conative function)أما إذا تعلق الأمر بالنظر في صلاحية القناة أو بنِيَة المتلقي في إقامة الاتصال أو تقوية الصلات الاجتماعية ، و ذلك كعبارات التحية و الترحيب ، و المجاملة ، و تبادل المشاعر ، أو كقولنا – ألو – للإجابة على الهاتف ، و لفت انتباه المرسل ، فنكون بصدد وظيفة التنبيه أو وظيفة إقامة الاتصال (Phatic function) . و إذا كان الغرض من الرسالة تطوير شكلها بالذات ، فهذه تعد وظيفة إنشائية (Poetic function) . أما إذا كان الهدف من الرسالة توضيح شفرة الاتصال أو شرح بعض المفردات ، فهذه وظيفة واصفة للغة (Metalinguistic) . و أخيرا إذا كان الاتصال يستهدف المرجع بالذات ، فنكون بصدد الحديث عن الوظيفة المرجعية (Referential function) ."[111]

و نور الدين السد يحاول أن يوجز الوظائف السابقة على النحو التالي :

" 1 – المرسل و يؤدي وظيفة تعبيرية (أو انفعالية) .

2 – المتلقي و يؤكد على الوظيفة الإفهامية (أو المعرفية) .

3 – السياق و يبلور وظيفة مرجعية .

4 – العلاقة و تؤطر بعدا انتباهيا (أو لغويا) .

5 – نمطية و تولد وظيفة معجمية (أو ميتا لغوية) .

6 – الرسالة و تصوغ أبعادا شعرية "[112] أو إنشائية عند أحمد مومن .

أما الأصوليون فالخطاب عندهم خطاب خاص هو القرآن الكريم و الحديث الشريف ، و هم يقسمون عناصره على محمل اللفظ ،" و إذا أردنا أن نصوغ فهم الأصوليين لطبيعة اللفظ صياغة نظرية يمكن أن نلخصها بالطريقة التالية :

[111] أحمد مومن – اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 03 ، الجزائر ، 2007، ص: 148 ، 149 .

[112] نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج 1 ، دار هومه ، ط 01 ، الجزائر ، 1997، ص: 225 .

اللفظ

منطوق

(ما دل عليه اللفظ في محل النطق)

مفهوم

(ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق)

مفهوم موافقة

(المسكوت عنه موافق لحكم المنطوق)

مفهوم مخالفة

(المسكوت عنه مخالف لحكم المنطوق) "[113]

فالتحليل إلى عناصر من الناحية النظرية يختلف من توجه إلى آخر بحسب نوع الخطاب ، و كذلك " يتفاوت المتكلون في أساليبهم و أدائهم اللغوي – البلاغي حتى يتفوق بعضهم و يتدنى بعضهم في الأداء و التعبير عن المعنى الواحد عن مستوى غيره "[114] ، وهنا العناصر الخطابية تخضع أيضا لدور المتكلم و كفاءته ، إذ أن " تمثيل الكفاءة اللغوية لكل من : المتحدث –السامع ، لا تُتَصور إلا إذا تم التعبير عن كفاءة المتحدث و كفاءة المستمع أيضا على نحو آخر ، أي نصف كفاءة كل من المتحدث و المستمع على المستويين، مستوى التركيب أو التأليف Synthèse و مستوى التحليل Analyse "[115]، و محللي الخطاب يتفقون مع هذه المسألة و يضيفون أبعادا أخرى تحاول أن تستوفي عناصر الخطاب ، مثل محمد خطابي الذي يتبنى وجهتين ، وجهة هايمس و وجهة ليفيس ، و تناولهما على محمل السياق و بالإمكان إيرادهما على النحو التالي :

أ – المرسل : و هو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول .

ب – المتلقي : المتلقي و هو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول .

ج – الحضور : و هم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي .

د – الموضوع : و هو مدار الحدث الكلامي .

---

[113] حسين خمري – نظرية النص، ص: 165 .

[114] أحمد شامية – في اللغة، دار البلاغ للنشر و التوزيع ، ط 01 ، الجزائر ، 2002، ص: 111 .

[115] سعيد حسن بحيري– علم لغة النص، مؤسسة المختار ، ط 01 ، القاهرة ، 2004، ص: 214 ، 215 .

هـ – المقام : و هو زمان و مكان الحدث التواصلي ، و كذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات و الإيماءات و تعبيرات الوجه ...

و – القناة : كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي : كلام ، كتابة ، إشارة ...

ز – النظام : اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل .

ح – شكل الرسالة : ما هو الشكل المقصود : دردشة ، جدال ، عظة ، خرافة ...

ط – المفتاح : و يتضمن التقويم : هل كانت الرسالة موعظة حسنة ، شرحا مثيرا للعواطف ...

ي – الغرض : أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي ...

بالإضافة إلى تصنيف هايمس هناك محاولة أخرى قام بها ليفيس ، و لكن غرضه من تحديد خصائص السياق يختلف عن غرض هايمس ، و هو معرفة صدق أو كذب جملة ما ، فالغرض إذا منطقي . أما الخصائص في نظره فهي :

أ – العالم الممكن : بمعنى أخذ الوقائع التي قد تكون ، أو يمكن أن تكون ، أو هي مفترضة ، بعين الاعتبار .

ب – الزمن : اعتبار الجمل المزمنة و ظروف الزمان مثل : اليوم ، الأسبوع المقبل ...

ج – المكان : اعتبار جمل مثل : إنه هنا ...

د – المتكلم : اعتبار الجمل التي تتضمن إحالة إلى ضمير المتكلم (أنا ، نحن ..) .

هـ – الحضور : اعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر المخاطب ، أنت ، أنتم ...

و – الشيء المشار إليه : اعتبار الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا ، هؤلاء ..) .

ز – الخطاب السابق : اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر مثل : (هذا الأخير ، المشار إليه سابقا ..) .

ح – التخصيص : سلسلة أشياء لا متناهية (مجموعات أشياء ، متتاليات أشياء ...) ."[116]

و مما سبق يمكننا أن نستنتج ، على سبيل المحاولة ، خطاطة نوضح فيها أهم عناصر الخطاب ، و ذلك وفق دورة تخاطبية معينة :

ضمن الحضور (التداول في دورة التخاطب)

المقام : الموقف و الحال

و الزمان و المكان

المرسل ←――――→ محمول إيصالي(لغة) ←――――→ المستقبل

كفاءة الإرسال ←――→ ملفوظات نصية ←――→ كفاءة الاستقبال

إستراتيجية الإنتاج (الترابط–الاتساق–الانسجام) إستراتيجية التلقي

فعل القول ←――→ الفعل المتضمن في القول ←――→ الفعل الناتج عن القول

(متضمنات القول) (الحجاج=إيقاعيات+تقريريات) (آثار الأفعال القولية)

6 – الخطاب و تحليل الخطاب :

إن وجود الخطاب ضمن المنظومة التواصلية ، يخضع لتشريح إنساني في فهم معانيه و مقاصده ، و الآليات التي حصل بها المفهوم و المقصود ، هي الآليات التي تندرج ضمن ما يسمى بتحليل الخطاب ، و بطبيعة الحال التحليل ليس نفسه دائما في جميع الخطابات ، بل الأكثر من ذلك ، التحليل ليس نفسه حتى في جنس الخطاب نفسه ، فمثلاً ، قصيدة شعرية معينة تفترض آلية التحليل السيميائي ، و قصيدة شعر أخرى تلزمنا بالتحليل الأسلوبي أو البنيوي .. الخ، لذلك فكما يقول ميخائيل باختين: "إن دراسة الخطاب في حد ذاته، بدون معرفة نحو أي شيء يتطلع خارجه، هي في مثل عبثية دراسة عذاب أخلاقي بعيدا عن الواقع الذي يوجد مثبتا عليه و الذي يحدده"[117].

---

116 محمد خطابي – لسانيات النص، ص : 53 ، 54 .

117 ميخائيل باختين– الخطاب الروائي، ت: محمد برادة، دار الفكر للدراسات و النشر، ط 01، القاهرة، 1998، ص: 63 .

و يرصد أي تحليل للخطاب مجريات اللغة لـ" أن تحليل الخطاب بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال. لذلك ، لا يمكن أن نحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيداً عن الأغراض و الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس . وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة ، فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله "[118] .

إذًا يعتبر تحليل الخطاب كلاماً ناطقا عن خطاب آخر " فهو فعل النطق ، أو فاعلية تقول ، و تصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله "[119] ، و يمكننا أن نقول بأن تحليل الخطاب يعني تناول الظواهر التلفظية التالية :[120]

- الأمارات Indices الدالة على المتكلم و كيفية انبجاسه في الخطاب .
- استكشاف هوية المخاطب .
- استكشاف موضوع الخطاب (قضايا المرجع Référent) .
- استكشاف مواقف المتكلم حيال خطابه الشخصي .
- استكشاف الأمارات الدالة على المكان و الزمان ..

و من هذا المنطلق " نفهم مصطلح تحليل الخطاب بوصفه عنوانا شاملا ، فهو منظومة متسقة من الإجراءات المنهجية ، يمكن إرجاع جذوره إلى ازدهار اتجاهين كبيرين هما الاتجاه اللغوي في تحليل النصوص إذ بدأ الاهتمام ببحث علاقات النص على مستوى داخلي يتجاوز الجملة الواحدة ، و قد مارسه النقاد اللغويون الأمريكيون في الدرجة الأولى ، و الاتجاه البنيوي الذي تمثل في تحليلات المدرسة الفلكلورية الروسية بعد (بروب) ... ذلك فضلا عن استثمار إمكانيات التحليل السيميولوجي "[121] ، إلى غيرها من المناهج النقدية المعاصرة .

---

[118] ج.ب براون، ج يول – تحليل الخطاب، تر : محمد لطفي الزليطني و منير التريكي ، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص 01 .
[119] رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب، ص : 85 .
[120] صلاح الدين زرال– الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف ، ط 01 ، الجزائر ، 2008، ص: 399 .
[121] فرحان بدري الحربي – الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 48 .

كذلك يعتبر تحليل الخطاب " تكوين الفروض التي تتعلق بالمخاطِب ، و المخاطَب ، و روابط الخطاب ، و درجة اتصاله ، و تماسك الأبنية المكونة له ، كما يتطلب تجريداً للمعلومات المتصلة باختيار الألفاظ و التراكيب و المعلومات المكونة للخطاب ، و تحولات الزمن و الدلالات فيه "[122]

7 – بعض آليات تحليل الخطاب :

و بما أن الخطاب خطابات فالتحليل تحليلات و الآليات آليات ، و سنرى في ما يلي من الحديث بعض التوجهات في التحليل التي ساهمت في إثراء آليات الدرس المعاصر في تحليل الخطاب ، و أولى التوجهات التوجه اللساني النصي .

آليات التحليل اللساني و الأسلوبي-البلاغي :

مرَّ التحليل اللساني للخطاب ممثلا بالجملة و النص ، بعديد المراحل و أول مرحلة وصفية هي الإجراءات النظرية التي جاءت بها اللسانيات البنيوية التي رائدها دي سوسير في مرحلتها الأولى ، و تعد ثنائياته منطلقا لكثير من الباحثين الذين جاءوا من بعده من أمثال شارل بالي و رولان بارت ، غير أن هذا النمط من التحليل سرعان ما تطور خضوعاً لمتطلبات المدونة التي هي النص و الخطاب . و ظهرت في ذلك مدارس كثيرة ، و قد وضعت الدراسات اللسانية مصطلحات و وظائف نحوية بما يسمى النحو الوظيفي التي رائدها سيمون ديك " فهناك ما يسمى بالوظائف التداولية التي تسند إلى المكونات كالمبتدأ (thème) و الذيل (tail) ، و البؤرة (focus) ، و المحور (topic) ، و المنادى (vocative)

فالجملة العربية تنقسم حسب مقولة المحمول التركيبية إلى قسمين : جملة ذات محمول فعلي ، و جملة ذات محمول غير فعلي (أي جملة محمولها مركب وصفي ، أو مركب ظرفي) "[123]

و ظهر أيضا ما يسمى نحوية النص أو أجرومية النص عند فاندايك t.a.van dijk ، و هذا التوجه ربط ما بين مفاهيم الجملة و مفاهيم النص ، و " لقد عني علم اللغة النصي في دراسته النحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة ، منها : علاقات التماسك النحوي النصي ، و أبنية التطابق و التقابل ، و التراكيب المحورية ، و التراكيب المجتزأة ، و حالات الحذف ، و الجمل المفسرة ، و التحويل

[122] خلود العموش – الخطاب القرآني، ص: 24 .
[123] أحمد شامية – في اللغة، ص: 105 ، 106 .

إلى الضمير ، و التنويعات التركيبية و توزيعاتها في نصوص فردية ، و غيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة ، و التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية "[124] ، و فانديك قدم تجربة تعتبر جيدة من منظور النقاد الذين يستعملون مفاهيمه لتأطير وجهات نظرهم في تحليلهم للخطاب ، " و قد وصفت محاولات فندايك بوجه عام بأنها محاولات متقدمة إلى حد بعيد في شرح عمليات الترابط (النحوي) بين المتواليات النصية ، و التماسك (الدلالي) بين الأبنية النصية الكبرى ، و دور القراءة و التأويل ... كما حُدد هذا العلم – من الناحية الوظيفية – بأنه علم يُعنى بشرح كيفية قيام النص بوظائفه ، أي بتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء ، و إعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي "[125] .

و ينطلق محمد الشاوش أيضاً من المنحى النحوي للنص ، و هو يطرح تساؤلات وجيهة ، فيقول: "هل للنص قواعد خاصة به ، تتميز عن قواعد الجملة ، أم هل إن قواعد النص هي قواعد الجملة موسعة ، أم هل توجد قواعد عامة تولد النص و الجملة على حد سواء ؟ و على هذا الأساس كان من غايات عملنا البحث عن :

- القواعد و الأصول الخاصة بالجملة و هي تلك التي تجري في مجالها دون أن تخرج عنه و التي ليس لها دور في بناء النص .
- القواعد التي ينفرد بها النص و التي ليس لها دور في بناء الجملة .
- القواعد المشتركة بين الجملة و النص . "[126]

و قد جاءت الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا ، و التي تنظر إلى النص " من زاوية توجهه المزدوج: نحو النظام الدلالي الذي أنتجه (اللغة و الكلام الخاص بمرحلة و مجتمع معين) و نحو الصيرورة الاجتماعية التي يشارك فيها بوصفه خطابا [..] متضمنا قائله في ثنايا تركيبته "[127] ، و بعد أن تكلمت عن التناص باعتبارها آلية تجميع للنصوص و وصفت النص بأنه فسيفساء من الاستشهادات أو الشواهد، تصل إلى مصطلح التدليل signifiance ، و هو في نظرها انفجار للمعنى .

---

[124] سعيد حسن بحيري – علم لغة النص، ص : 119 .
[125] المرجع نفسه، ص : 185 .
[126] محمد الشاوش – أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ج1، ص: 16 .
[127] Julia Kristeva– Sémiotiké recherches pour sémanalyse, A.J. Picard, 1981, : 12 , 13 .

و بالإضافة إلى ما يقع في دائرة الجانب النحوي النصي ، فإن هناك توجها آخر في استثمار الإجراءات هو إجراءات التحليل البلاغي الأسلوبي " إذ تأتي مقولة (العدول) باعتبارها محورا رئيسيا في البحث البلاغي يؤكد المستوى الإخباري و الإبداعي في الأداء اللغوي ، و هو بهذا يمثل قيمة تعبيرية أو منبها أسلوبيا في مباحث التعريف و التنكير ، و الحذف و الذكر ، و التقديم و التأخير ، و الإيجاز و الإطناب ، و الالتفات ، و الفصل و الوصل ، و الحروف ، و خاصة حروف المعاني .

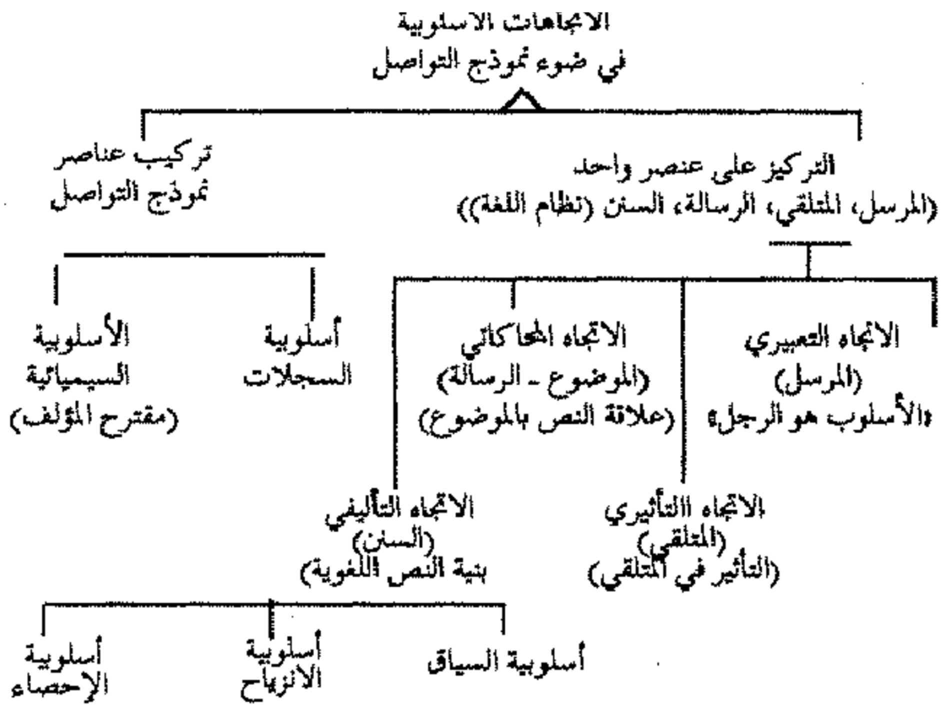
كما يمثل التكرار النمطي منبها أسلوبيا آخر في مباحث البديع كالطباق و التعديد ، و تنسيق الصفات ، و السجع و الالتزام و الترصيع إلى آخر هذه الألوان التي اهتمت بالناحية الصوتية ، بجانب ألوان أخرى كان الاهتمام فيها مركزا على الدلالة و صلتها بهذه الطبيعة التكرارية "[128] .

هذا و لمحمد العمري نظرة متجددة للبلاغة الجديدة على ما يدعوه ، إذ يقول : " فللبلاغة العربية، إذاً ، مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين : مسار البديع يغذيه الشعر ، و مسار البيان تغذيه الخطابة . و نظرا للتداخل الكبير بين الشعر و الخطابة في التراث العربي ، فقد ظل المساران متداخلين... إن اعتبار الوسائل الإقناعية المنطقية جوهرا للبلاغة في سياق الحديث عن الخطابة "[129] ، ثم أن العمري يستعين بآراء حازم القرطاجني في كثير من المواضع باعتبار أن حازم صاحب نظرية في الشعر تقوم على التخييل مقام التشبيه في البلاغة القديمة ، و تقوم كذلك على التناسب ، يقول حازم:" و معرفة طرق التناسب في المسموعات و المفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك ، و هو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب من التناسب و الوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار ، و توجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم و اجتناب ما ينافر "[130] ، و يعتمده في التفريق ما بين الخطابة و الشعر يقول : " و مرد هذه التداخلات في نظره إلى كون الشعر و الخطابة يلتقيان في الغرض و المقصد ، و هو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه . و لكنه يؤكد ، مع ذلك

[128] محمد عبد المطلب – البلاغة و الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط 01 ، القاهرة ، 1994، ص: 06 .
[129] محمد العمري – البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، أفريقيا الشرق ، درط ، المغرب ، 2005، ص: 29 ، 55 .
[130] حازم القرطاجني– منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، درط ، بيروت، 1986، ص: 266 ، 227 .

دور الغرابة في تحقيق الوظيفة الشعرية ، فمحاكاة الأحوال المستغربة تستهدف أحد الأمرين : إنهاض النفوس إلى الاستغراب أو الاعتبار فقط "[131] .

هذا من ناحية التجديد ، و لكن هناك طروحات موازية أخذت علم الأسلوب من مصادره الغربية، عن طريق الترجمة للمفاهيم ، و يمكننا إيراد بعض التوجهات في الخطاطة التالية :[132]



فالواضح أن الأسلوبية من خلال هذا المخطط قد تفرعت كثيرا ، بل أنها تمازجت عند بعض النقاد بمناهج أخرى كالسيميائيات ، مثل ما حدث عند هنريش بليث في كتابه البلاغة و الأسلوبية ، و يمكن أن نميز من خلال هذا بين عدة اتجاهات أسلوبية :[133]

1- الأسلوبية اللسانية la stylistique linguistique : و يقف على رأسها شارل بالي... و هذا الاتجاه لا يهتم بالأدب وحده بل بالكلام عامة أي بالوسائل التي تتوفر عليها اللغة الإنسانية للتعبير عن الجانب العاطفي للمخاطب ...

---

[131] محمد العمري– البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص: 57 ، 58 .

[132] نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب ج1، ص: 25 .

[133] بكاي أخذاري – تحليل الخطاب الشعري، وزارة الثقافة ، ط 01 ، الجزائر ، 2007 ، ص: 22 ، 23 .

2- الأسلوبية المثالية la stylistique idéaliste : و انبثقت عن أفكار فولمير و كروتشيه، و الأسلوب عندهما تعبير عن الترابط الداخلي للذات الفردية ...

3- الأسلوبية البنيوية la stylistique structurale :و قد مثلها كل من رومان ياكبسون الذي ركز على الوظيفة الشعرية للغة، و تودوروف الذي ركز على الطابع الأسلوبي للخطاب اللغوي ...

4- الأسلوبية الإحصائية la stylistique statistique : وقد جعلت من الأسلوب ظاهرة قابلة للقياس كمياً ...

5- و يمكن إضافة أسلوبية التلقي التي نظر لها جورج مولينيه ..

و لقد نحسب أن تحديد اتجاهات الأسلوبية إنما يخضع لمعايير محددة ، فبينما نجد أسلوبية أدبية في مقابل أخرى أدبية ، نجد أسلوبية وصفية مقابل أسلوبية إنشائية ، أو نفسية و أخرى اجتماعية ، أو تأصيلية و أخرى تعبيرية ، أو تقليدية و أخرى جديدة ، و هلم جراً.

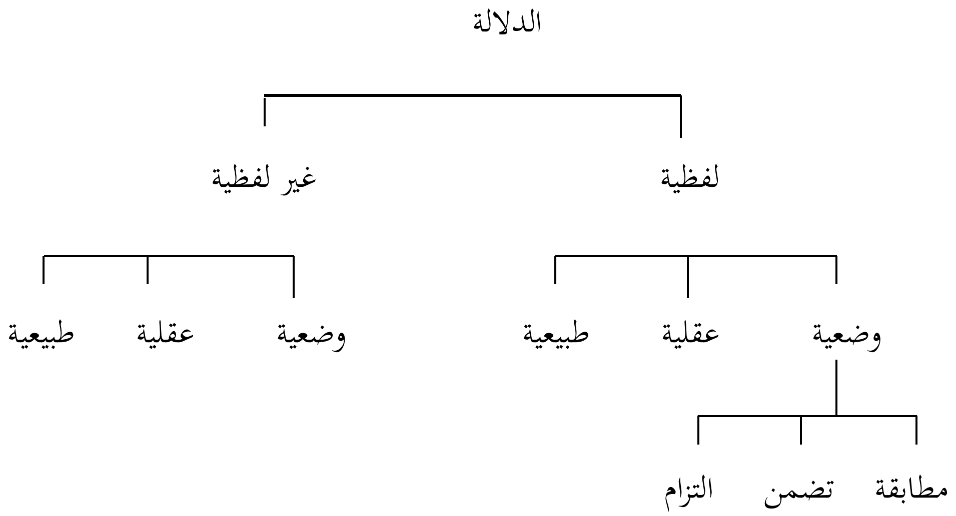
2 – آليات التحليل الدلالي و السيميائي :

كلما زاد الخطاب في درجة إيراد المعاني ، كلما صار دالا أكثر ، يقول تودوروف : " يمكن أن نلخص .. أنه يوجد قطبان اثنان داخل الوعي الإنساني للكلام : الخطاب الشفاف و الخطاب الثخن (opaque) و سيكون الخطاب الشفاف هو الذي يترك الدلالة مرئية و لكنه هو ذاته غير محسوس : فهو كلام لا يصلح إلا أن يفهم "[134] ، نفهم من خلال هذا أن تودوروف يقصد من أن الخطاب في مرحلة الشفافية ذو معنًى واحد ، أما في مرحلة الثخانة فهو كثيف بالدلالة ، و خطاب من هذا القبيل يحوجنا إلى استعمال طرائق معينة في تحليله ، و لذلك نشأت علوم تهتم بهذا الجانب من المعنى مثل: علم الدلالة و السيميولوجيا و السيميائيات ، و علماء تحليل الخطاب يميزون بين الاتجاهات الثلاثة :

- علم الدلالة :

[134] عثماني الميلود – شعرية تودوروف، عيون المقالات ، ط 01 ، الدار البيضاء ، 1990، ص: 22 .

علم الدلالة علم يهتم بالمعنى و تفريعاته ، أي أن موضوعه هو المعنى أو الدلالة ، " ولقد قسم العلماء الدلالات اعتمادا على معايير أخرى ترتكز على الإدراك لطبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي، وهو لا يخرج عن ثلاث : اعتبار العرف ، أو اعتبار الطبيعة أو اعتبار العقل ، وعلى ذلك فالدلالة إما عرفية أو طبيعية أو عقلية . وأخضع علماء الدلالة تصنيف الدلالات بناء على أداء السياق للمعنى ، فالكلام إما أن يساق ليدل على تمام معناه ، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه ، وإما أن يساق ليدل على معنى آخر خارج عن معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفا ،واستناداً إلى ذلك فالدلالات ثلاثة أصناف . دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام ، وهذه الدلالات الثلاثة تندرج ضمن دلالة عامة هي الدلالة الوضعية التي هي قسم من الأقسام الدلالة اللفظية ، وبناء على ذلك فأقسام الدلالة في العصر الحديث تتفرع إلى ستة أصناف يمكن تمثيلها في الترسيمة التالية :



و يمكن تحديد مفاهيم هذه الأصناف الدلالية ، كما درج على تعريفها علماء الدلالة . فالدلالة اللفظية العرفية لا تنعقد إلا بتوفر ثلاثة أركان: اللفظ ، وهو نوع من الكيفيات المسموعة ، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه ... أما الدلالة العقلية وتسمى كذلك الدلالة المنطقية ، فهي التي يكون فيها العقل أمر إدراك طبيعة العلاقة التي تربط الدال بمدلوله، ويمثل لتعريفها عادة بدلالة الدخان على النار إذ يتم استحضار الدلالة الغائبة بحقيقة حاضرة والذي يربط بين الأمرين هو العقل ... أما الدلالة الثالثة فهي

الدلالة الطبيعية، التي يعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية يتم على أساسها الانتقال من الدال إلى المدلول . "[135]

و قد اهتم علم الدلالة بمجالات كثيرة من بينها اللفظ و المعنى و قضية الحقيقة و المجاز و التطور الدلالي و السياق ، أهم مجال لديها هو مبحث الحقول الدلالية ، و قد " تأسّست نظرية الحقول الدلالية على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلّف بين مفردات لغة ما، بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحّددة للصلة الدلالية ، أو الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغة معينة ، التي يجمعها لفظ عام ، لأنَّ اللغة نظام ، وقيمة كّل عنصر من عناصرها لا يتعلّق بهذا النظام بسبب طبيعته ، أو شكله الخاص، بل يتحدّد بمكانه وعلاقته داخل هذا النظام ، ممّا يؤّكد التراصّ القائم بين الكلمات وما يجاورها من كلمات أخرى داخل الحقل الواحد ، أو في مجموعة من الحقول ، بحيث لو أقحمت كلمة في حقل متناسق أو أبعدت عنه أو غيّر موضعها أدّى ذلك إلى اضطراب يؤثر في مجموع مفردات الحقل .

وأهّم مبادئ نظرية الحقول الدلالية تتلخّص فيما يأتي :

1 . إنَّ الوحدة المعجمية تنتمي إلى حقل واحد معيّن .

2 .كل الوحدات تنتمي إلى حقول تخصّها .

3 . لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة اللغوية .

4 – مراعاة التركيب النحوي في دراسة مفردات الحقل ."[136]

– السيميولوجيا :

أصل هذا العلم فرنسي ، و لفظه في السياق الفرنسي (Sémiologie) مكون من جزأين سيميو: و معناها المعنى (العلامة) Semeion في الأصل اليوناني ، و لوجيا : و معناها العلم، و هو ما يحيل على "سمة مميزة Marque distinctive، أثر Trace، قرينة Indice، علامة منذرة Signe précurseur، دليل Preuve، علامة منقوشة أو مكتوبة Signe gravé ou écrit، بصمة

[135] منقور عبد الجليل – علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط ، دمشق، 2001، ص: 66 ، 68 .

[136] أحمد عزوز – أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب،درط ، دمشق، 2002، ص: : 15 ، 16 .

Empreinte، تمثيل تشكيلي Figuration.." [137] و العلم الذي تكلم عنه دي سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة ، يقول : " بالإمكان أن نتصور علماً يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية ، يشكل جزءاً من علم النفس الاجتماعي ، و على استنتاج علم النفس الاجتماعي نسميه : السيميولوجيا ، نحن قلنا أنه يتكون من العلامات ، ما القوانين التي تحكمه ؟ هو لم يوجد بعد، و بإمكاننا أن نقول أنه سيوجدْ ... و ما اللسانيات إلا جزء منه "[138]، إذاً دي سوسير تنبأ بهذا العلم و لم يعطنا تفاصيله ، و لكن الذين جاءوا من بعده من أمثال برييطو Prieto و مونان Mounin و مارتيني Martinet و بويسن Buissens أصحاب سيميولوجيا التواصل التي تتبني على القصدية " و يعني ذلك أن تحديد معنى تعبير معين رهين بتعيين مقاصد المتكلمين و الكشف عنها . و بذلك تكون المقاصد ملمحا مميزا "[139] ، و رولان بارت roland barthes صاحب سيميولوجيا الدلالة ، و اللغة في اعتبارهم " لا تستنفذ كل إمكانيات التواصل . نحن نتواصل ، توفرت القصدية أم لم تتوفر ، بكل الأشياء الطبيعية و الثقافية سواء كانت اعتباطية أم غير اعتباطية "[140] ، و أمبرتو إيكو umberto eco و روسي لاندي rossi landi أصحاب سيميولوجيا الثقافة ، إذ أن " الثقافة عبارة عن إسناد وظيفة إلى الأشياء الطبيعية .. فالثقافة برامج و تعليمات تتحكم في سلوك الإنسان .. إن إدراك الإنسان للعالم إدراك تبرمجه الثقافة بواسطة أنساقها الدالة اللفظية و غير اللفظية "[141] ، و هناك أنماط كثيرة من السيميولوجيا ، و ما ذكرناه هو الشائع منها .

- السيميائيات :

تعتبر السيميائيات أمريكيةً ، في الأصول و المصدر ، و الذي نظر لها شارلساندرس برس الفيلسوف ، و قد مر تنظيره لها بمراحل ثلاثة ، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الاستلهام من الكانطية ، و الثانية تعتبر مرحلة منطقية صرفة و عوض فيه برس المنطق الأرسطي بمنطق العلاقات ، و المرحلة الثالثة مرحلة سيميوطيقية أو سيميائية و فيها طور مراتب العلامة ، محددا هذه الصيغ :[142]

---

137 Julia Kristeva- La Révolution du Langage Poétique, Edition du Seuil, 1974, P: 22 .

138 Ferdinand De saussure – cours de linguistique generale, ENAG, 3eme edit, alger, 2004, : 33 .

139 مبارك حنون – في السيميائيات العربية، سليكي إخوان ، ط 01 ، المغرب ، 2001، ص: 15 .

140 المرجع نفسه، ص : 16 .

141 المرجع نفسه، ص : 17 .

142 محمد الماكري – الشكل و الخطاب، المركز الثقافي العربي ، ط 01 ، المغرب ، 1991، ص: 43 .

- الأولانية : هي نمط الوجود الذي يقوم على واقع كون : موضوع / ذات (sujet) .. إنها وجود الشيء أو الذات في ذاتها .
- الثانيانية : هي نمط الوجود الواقعي الفعلي المتجسد ..
- الثالثانية : هي نمط الوجود المتوقع ..

و هي تناسب حسب ترتيبها الأبعاد الثلاثة للدليل أو العلامة :

1 – الممثل ، 2 – الموضوع ، 3 – المؤول .

و قد بسط شارل موريس الكثير من آراء برس كما طور بعض مفاهيمه النظرية ، ومن ذلك رؤيته للتصنيف الوارد في الثلاثية السالفة الذكر بالمعاني التالية (إيقون ، مؤشر ، رمز) " أصل هذا الاختزال ليس هو (برس) بل (شارل موريس) منبع كثير من التبسيطات ، المنتشرة بين السيميوطيقيين داخل وخارج الولايات المتحدة "143 . وهذا ما يتجلى بوضوح تام في أعماله التي تدرجت في بعث طروحاته المتسمة بالجدية " تأسيس نظرية الدليل (1938) التمييز بين التركيب (دراسة قواعد توافقات الأدلة) والتداولية (دراسة قواعد استعمال الأدلة على اعتبار الدوافع) "144 .

ومن هذا المنطلق فإن الأمر يقتضي أن ننظر إلى الأشياء المدلول عليها والمؤولات على اعتبار أنها "سيرورات سلوك فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به ، علما بأن وظيفة المحيط وأهميته عاملان حاسمان في إرضاء حاجاته ومن ثم فإن هناك تفاعلا بين هاذين العاملين "145 ، و سيرورة الدليل أو ما يعرف بـ Sémiosis تحتوي في نظره على أربعة عناصر هي146 :

– العنصر الذي يقوم مقام الدليل أو " الناقل " Porteur .

– العنصر الذي تتم إحالة الدليل عليه أو " المدلول عليه " .

– عنصر " الأثر " Effet الذي يحصل لدى المرسل إليه والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول .

---

[143] السابق، ص : 40 .

[144] Elia Sarfati -Georges – Précis De Pragmatique, Nathan , 02 , France, 2002, p: 12 .

[145] الجيلالي دلاش – مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، درط ، الجزائر ، 1992، ص: 10 .

[146] المرجع نفسه، ص: 10 و 11 .

- المؤول Interprète .

وبطبيعة الحال لا يوجد هناك انتظام ما يسهم في تراتبية هذه العناصر عند كل سيرورة سيميائية ، فهي تتداخل بصورة لا يمكن الفصل بينها محدثة تعقيدا كبيرا وهذا بدوره يطرح ثلاث توجهات ، فالتوجه الأول يكمن في الدراسة التركيبية أي العلاقات التي تنتظم الأدلة فيها ، والثاني يتجسد في العلاقات القائمة بين الأدلة والأشياء التي تحيل عليها وهذا هو البعد الدلالي ، ثم عندما نكون في مرحلة شرح وتفسير تأثير استعمال تلك الأدلة نجد أنفسنا في خضم اللسانيات التداولية ، الذي يعتبر شارل موريس و برس من بين واضعي الأصول النظرية لها .

8- الخطاب و آلية السياق :

- آليات التحليل التداولي :

يعد الدرس التداولي ثريا جدا ، وذلك بما يقدمه لنا من إجراءات سواء على مستوى الاستعمال اللغوي الطبيعي ، أو على مستوى الخطاب الأدبي ، " وعليه ، فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة ، كالبنية اللغوية ، وقواعد التخاطب ، و الاستدلالات التداولية ، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين ، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال الخ "[147] ، و هي تقوم على المقام الذي يحدثه الفعل الكلامي ، ويمكننا أن نفصل في تقسيمات الفعل "الكلامي الكامل " على هذا النحو :

أ - فعل القول (أو الفعل اللغوي) Acte Locutoire : ويراد به (إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة) ..

ب - الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ (إنه عمل ينجز بقول ما) وهذا الصنف من الأفعال هو المقصود من النظرية برمتها ..

[147] مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ، ط 01 ، بيروت ، 2005، ص: 16 .

ج – الفعل الناتج عن القول Acte Perlocutoire : وأخيرا يرى (أوستين) أنه مع القيام بفعل القول ، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة) ، فقد يكون الفاعل (و هو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو (التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ..) [148].

و بطبيعة الحال فإن تلك "الأفعال التلفظية تفترض ببساطة أن نتلفظ بمجموعة متتابعة من الكلمات، و هي تعد بالنسبة للأفعال الإنجازية و القضوية جوهرية، و لابد أن تكون الكلمات المتلفظ بها داخل جمل، و داخل مواقف متعددة، و تحت ظروف عدة، مع مقاصد متعددة"[149]

و قد قسم سيرل J.Searle الأفعال المتضمنة في القول بحسب إنجازيتها إلى :

1 – الإثباتيات (Assertives) : و هي التي تحمل إحدى قيمتي الصدق أو الكذب مثل : أخبر، أكد، زعم، شرح ..

2 – التوجيهيات (Directives) : و هي الأفعال التي يكون الغرض منها أن يجعل المتكلم المخاطب يقوم بفعل ما مثل : طلب، أمر، ترجى، سأل ..

3 – الوعديات (Commissives) : و الغرض منها إلزام المتكلم بالقيام بعمل ما في المستقبل مثل : وعد، أقسم ..

4 – البوحيات (Expressives) : و هي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم مثل : شكر، هنأ، اعتذر ..

5 – التصريحيات أو **الإيقاعيات** (déclaratives) : وهي التي مجرد القيام بها يحدث تغييرا في الخارج مثل : عين، و زوج .. [150]

و من إجراءاتها الأخرى :

1 - متضمنات القول : الذي يحتوي على عنصرين ، – الافتراض المسبق (استنتاج فيما قد يرد من القول) ، و الأقوال المضمرة (الاختيارات القولية الممكنة في سياق معين) .

---

[148] المرجع نفسه، ص: 41 و 42 .

[149] John r.searle –les actes de langage, hermann, 01, France, 1972, p: 62 .

[150] ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، جامعة أم القرى ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1423 هـ، ص: 231 .

2 – القوة الإنجازية : وهي ناتجة عن الفعل المتضمن في القول ، فمثلا الآية الكريمة ﴿و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فإن القوة الإنجازية للأمر قد جاءت بصيغة الإخبار .

3 – اتجاهات المطابقة : اتجاهات المطابقة مفهوم أساسي في فهم الغرض المتضمن في القول و "لها أهميتها في موضعين ، على الأقل ، من نظرية سيرل ، الموضع الأول : في تحديد عدد الأغراض المتضمنة في القول ... الموضع الثاني : تقسيم القوى المتضمنة في القول على أساس صارم "[151] ، و يكون اتجاهها عبارة عن كل من الاتجاه من القول إلى العالم و الاتجاه من العالم إلى القول ، و أيهما المسؤول عن اتجاه المطابقة ، مع قراءة المحتويات القضوية " و هناك فارق آخر يميز الإيقاعيات عن الوعديات و الأمريات ، فالمحتويات القضوية فيهما تمثل دائما المتكلم (في الوعديات) و المخاطب (في الأمريات) . أما الإيقاعيات فقد تتمثل بالمتكلم كما في (زوجتك نفسي) أو بالمخاطب كما في (أنت حر) أو في غيرهما كما في (بعتك سيارتي) "[152]

4 – الحجاج : أن يتوفر في الكلام عناصر معينة تجعله أكثر تأثيرا في المخاطب ، و الحجاج باعتباره إجراءً يتمثل في تحقق ذلك التأثير أي حمل المخاطب على الاعتراف بمتضمنات القول و قد " تقدمت نظرية الحجاج في اللغة بفضل أوصفالد ديكرو و ج . س أنسكومبر ، وتقوم على فرضية مفادها العلاقة بين الملفوظات الحجاجية ، والملفوظات غير الاستنتاجية "153 .

5 – القصد : هذا المفهوم قد يفهم على ظاهرة بمعنى : المرام أو المبتغى أو المطلب ... الخ ، و إن كان يعني ما يعني من جانبه اللغوي ولو قليلا ، فإن له اصطلاحا في المدلول إذ أن علماء التواصل يعنون به " آلية من اثنتين تتم بها عملية الاتصال بين اثنين (بين نص وقارئ مثلا) وتعني إدراك الباث أو المتلقي الرسالة إدراكا نظريا "154

6 – السياق : يعتبر السياق من الإجراءات الكبرى التي تعتمدها الإستراتيجيات التداولية ، لأن التناول المراعي لحيثيات السياق هو التناول الأقرب إلى الصواب ، لذلك هناك دراسات كثيرة تهتم بهذا الجانب الإجرائي من الاهتمام بالسياق اللغوي ، و السياق المقامي ، و غير هذا مما يطرحه السياق من مفاهيم .

---

[151] طالب سيد هاشم الطبطبائي – نظرية الأفعال الكلامية ، مطبوعات جامعة الكويت، درط ، الكويت، 1994، ص: 120 ، 121 .
[152] المرجع نفسه، ص: 134 .
153 SARFATI Georges Elia – élément D'analyse Du Discours , Nathan VUEF , SNE , paris , 2001, 32 .
[154] أمبرتو إيكو– القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط 01 ، المغرب ، 1996، ص: 314 .

هذه على العموم بعض آليات تحليل الخطاب ، تطرقنا إليها من خلال عديد المناهج ، التي اهتمت بالخطاب باعتباره مدونة ، و نحن في إدراجنا لهذه الآليات ، لا نقصد من وراء ذلك حصر كل المناهج، و إنما قصدنا كان على سبيل محاولة للنمذجة في بعض آليات تحليل الخطاب ، و إن تناولنا طبقات مختلفة من التحليل ، و نروم من خلال كل ذلك الوصول إلى الآلية الكبرى التي تدخل في جميع أنواع تحليل الخطابات ، و هي آلية السياق .

و بما أن الآليات النظرية للخطاب تعنينا في سياقها ، فإننا سنخصص الفصل الثالث لنتحدث عن السياق ، معرجين على عدد من المسائل ، منها ما يتصل بالتحديد المفهومي لآلية السياق عند العلماء بمختلف توجهاتهم ، و منها ما يتعلق بأنواع و أنماط السياق ، و أبعاد أخرى يثيرها النقاش حول ظاهرة السياق باعتبارات متعددة، هذا كله في الفصل الموالي .

الفصل الثالث

(مفاهيم ، آليات السـ ـ ياق -المكونات و الأنواع و الوظائف -)

يليه تعريف ـ بالشنقيطي

- توطئة
- *مفهوم السياق*
- *مكونات السياق*
- *السياق و المناسبة*
- *السياق اللغوي و غير اللغوي*
- أنواع السياقات
- دور السياق و وظائفه
- آليات سياق التفسير
- الإمام الشنقيطي، و كتابه أضواء البيان

1- توطئة :

يعد السياق من العوامل الأساسية التي تحدد مقاصد الخطاب ، ذلك أن كل المعاني و المقاصد لابد لها من سياق معين ترد فيه ، و قد تكلم العلماء قديما عن السياق في مناح معينة ، و لعل أهمها علم أصول الفقه ، و ربطوه ربطا بمقاصد الشريعة (حفظ الدين و النفس و العقل و المال و العرض) ، و كل مجال من هذه المجالات يعتبر مقصدا حدده السياق المتعارف عليه ، و ضمن كل مجال عدد لا متناه من قضايا الفقه ، لا يفتى في أحدها إلا بسياق الحال . لذلك فالسياق في هذا الشأن أو غيره من الشؤون من الأهمية بمكان ، أن صار الركن الذي لا يستغنى عنه ، " فليس المعنى المقصود المحصل في خطاب من الخطابات هو بالضرورة المعنى الذي يعثر عليه في القاموس ... أما استعمال اللفظ بمعنى آخر غير معناه الوضعي (الموضوع له في أصل اللغة أو المعاني) فهو ما يسميه العلماء العرب بالاتساع أو سعة الكلام . و هو تجوز يبيحه الاستعمال للغة لعلاقة قائمة بين المعنى الأصلي و المعنى المتوسع فيه "[155] ، و تلك العلاقة لا يتصيدها إلا فهمنا للسياق .

و المجالات التي يكون السياق حاضراً فيها كثيرة جدا ، فضلاً على ما ذكر ، نجد الأدب مجالاً خصباً لظواهر السياق ، كذلك الخطابات الخاصة مثل الخطابات السياسية و ما يدخل في إطارها ، و نجد أن الخطاب الإلهي و أغلب الخطابات الإنسانية تعتمد على السياق ، ذلك لأن الإنسان يمتلك خاصية إدراك العلاقات بين ماهو مقصود و بين ماهو غير مقصود لذاته ، و لكي نعرف الأهمية التي تختص بها آلية السياق لا بأس في نتدرج في تحليلنا من أول عنصر و هو مفهوم السياق .

2 – مفهوم السياق :

للسياق معنيان الأول لغوي ، و الثاني اصطلاحي و لنبدأ بالمعنى اللغوي :

1-المعنى اللغوي للسياق :

يقول الجوهري في الصحاح :" سوق : الساق : ساق القدم ، و الجمع : سوقٌ مثل أسد و أسْد□، و سيقان و أسْؤُق .. و يقال : ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد ، أي : بعضهم على أثر بعض .. و ساق الشجرة : جذعها .. و ساق الماشية يسوقها سوقا .. و استاقها فانساقت . و سقت إلى

[155] عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم ، درط ، الجزائر ، 2007، : 341 .

امرأتي صداقها .. و يقال أسقتك إبلا ، أي : أعطيتك إبلا تسوقها ، و السياق : نزع الروح ، يقال رأيت فلانا يسوق ، أي : ينزع عند الموت . و السويق معروف "[156] .

و يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط : "الساق : ما بين الكعب و الركبة ، ج سوقٌ و سيقان و أسؤق ، همزت الواو لتحمل الضمة . ﴿يوم يكُشف عن ساق﴾ [القلم:42] : عن شِدّة . ﴿و التفّت السّاق بالسّاق﴾ [القيامة:29] : آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة .. و السياق ، ككتاب : المهر . و الأسوق : الطويل الساقين .. و تساوقت الإبل : تتابعت و تقاودت ، و – الغنم: تزاحمت في السير"[157] .

و يقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة : " السين و الواو و القاف أصل واحد ، و هو حدو الشيء .. و الساق للإنسان و غيره ، و الجمع سوق ، و إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها "[158] .

و يقول الفيومي في المصباح المنير : " س و ق : (سقت) الدابة أسوقها سوقا و المفعول مسوق على مفول و ساق الصداق إلى امرأته حمله إليها .. و هو في السياق أي في النزع .. و تساوقت الإبل تتابعت قاله الأزهري و جماعة ، و الفقهاء يقولون تساوقت الخطبتان و يريدون المقارنة و المعية و هو ما إذا وقعتا معاً و لم تسبق إحداهما الأخرى "[159] .

نرى من خلال ما مر بنا : أن " السياق في الحس اللغوي و في الدلالة اللغوية و بمجموع المعاني التي تدل عليها تقليبات هذه الكلمة ، يدل على انتظام متوال في الحركة لبلوغ غاية محددة .. فالتتابع فيما بين الأشياء هو التساوق ، و لا يكون متتابعا إلا إذا كان له غاية لا بد من وصولها "[160] .

2-المعنى الاصطلاحي :

المعنى الاصطلاحي لكلمة سياق ، صعب جدا في تحديده ، لأنه اصطلاح تكاد أغلب المجالات المعرفية تدّعيه لنفسها ، و الحقيقة هي كذلك ، فأغلب العلوم تستعمل هذا المفهوم في مجالاتها المختلفة،

---

156 أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – الصحاح، ص: 573 .

157 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – القاموس المحيط، ص: 823 ، 824 .

158 أحمد ابن فارس – معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ، ط 02 ، لبنان ، 1998، ص: 498 .

159 أحمد بن محمد بن علي الفيومي– المصباح المنير، ص: 178 .

160 عبد الفتاح محمود المثنى – نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر ، ط 01 ، الأردن ، 2007، ص: 14 .

و لا يكاد حقل معرفي يخلو منه ، و يرى عديد الباحثين أن السياق في إطار النظرية يرجع في أصوله إلى لغويي القرن التاسع عشر ، من أمثال الباحث فيجنر Wegner الذي يرى أن السياق "هو الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها و فهمها ، و أنه لا يتضمن عند الاتصال اللغوي الكلمات فقط ، بل الصلات و الظروف المحيطة و الحقائق السابقة "[161] ، و هناك من يرجع بأصول نظرية السياق إلى مباحث فلسفة اللغة العادية ، التي صاحبها النمساوي فيتنغشتاين Wittgenstein و " المادة الأساسية للفلسفة عند فيتنغشتاين هي اللغة .. و راح يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة .. "[162] و بالنظر إلى هذا و إلى ما ذُكر كانت الصعوبة في القبض على الحد الجامع و المانع .. و مع هذا ستكون المحاولة ، بإيراد تعريفات من مختلف المشارب و الاتجاهات .

و لقد تفاوت العلماء العرب في تحديد مفهومه و اختلفوا بحسب موقع كل واحد من اهتمامه الخاص، و لهروب السياق من أن يحدد بألفاظ مخصوصة ، و ربما هذا ما أغنى الشبكة المفاهيمية للسياق بالكثير من التعريفات فقد " قال ابن دقيق العيد: أما السياق و القرائن ، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه . وقال السرخسي : القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم ، وتكون فرقاً فيما بين النص والظاهر هي السياق ، بمعنى الغرض الذي سيق لأجلها الكلام ، وقال البناني (ت1198 هـ):" السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"[163].

و يمكننا القول بأن مصطلح السياق في معناه يطلق على مفهومين ، و ذلك تفاديا مما يثيره معناه في ما قد حدث في أفهام البعض ، فهناك السياق اللغوي أو اللساني ، و هناك سياق آخر يختلف عن هذا السياق و هو سياق التلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقف ، " فالمفهوم الأول كان المفهوم الأكثر شيوعاً في البحث المعاصر .. و يتضح بهذا المفهوم ، أنه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب ، من وحدات صوتية و صرفية ، و معجمية ، و ما بينهما من ترتيب و علاقات تركيبية .. تجاوز الباحثون [هذا] التعريف النموذجي إلى التعريف الأرحب للسياق فأصبحت (تعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام (..) و تسمى هذه الظروف ، في بعض الأحيان،

161 محمود جاب الرب – علم اللغة نشأته و تطوره، دار المعارف ، ط 01 ، القاهرة ، 1985، ص: 148 .

162 مسعود صحراوي – التداولية عند العلماء العرب، ص: 23 .

163 ريحانة اليندوزي – صلة أسباب النزول بعناصر السياق ودورها في الفهم والتطبيق ، منتدى الإيوان www.iwan7.com

بالسياق .. بيد أنه قد يلتبس ، عند هذا الحد ، مصطلح السياق بمصطلح المقام ، وهذا الالتباس ممتد بين زمنين و ثقافتين .. و هذا ما يبديه تمام حسان عند تحفظه على تحديد مفهوم المقام عند البلاغيين العرب . فهو يرى أن الفيصل في ذلك الاختلاف بين مفهومي المقام و السياق ، هو معرفة ما تنطوي عليه الثقافة .. بقوله : لقد فهم البلاغيون (المقام) أو (مقتضى الحال) فهماً سكونياً قالبياً نمطياً مجرداً ثم قالوا لكل مقام مقال (..) فهذه المقامات نماذج مجردة ، و أطر عامة ، و أحوال ساكنة (..) و بهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني static فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا و لا قالبا ، و إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه ، كما يعتبر السامع و الكلام نفسه .. "[164] .

و ينطلق المثنى عبد الفتاح محمود في تعريفه للسياق ، من نظرته للسياق في إطار القرآن ، آخذا في ذلك بالمعنى اللغوي الذي هو التتابع ، فيقول : " تتابع المعاني و انتظامها في سلك الألفاظ القرآنية ، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود ، دون انقطاع أو انفصال "[165] .

و يعرض ردة الله الطلحي السياق في بعض النقاط المحددة ، و ذلك بعد أن طاف بعدد من المفاهيم المختلفة في التراث العربي، يقول:[166]

الأولى : أن السياق هو الغرض : أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام ، و هو واحد من المفاهيم التي عبر بلفظ السياق (السوق) عنها ، و كان استعمالها بهذا منضبطا عند الأصوليين ..

الثانية : أن السياق هو الظروف و المواقف و الأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها ، و أوضح ما عبر عن هذا المفهوم لفظا الحال و المقام .

الثالثة : أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، و يشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجها استدلالياً .

---

164 عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، ص: 40 ، 41 .

165 عبد الفتاح محمود المثنى – نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر ، ط 01 ، الأردن ، 2008، ص:15 .

166 ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، ص: 50 .

و يعرفه جاسم محمد عبد العبود بأنه : " استعمال الكلمة في اللغة أو طريقة استعمالها ، أو الدور الذي تؤديه الكلمة أو هو مجموع ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى "[167] .

و تعرفه خلود العموش بقولها : " أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية و الإبلاغية ، لدى كل من منتج الكلام و المتلقي ، و أنه ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية "[168] .

و البداية الفعلية للاهتمام بالسياق ، كانت من قبل برونسلا مالينوفسكي Malinowsky العالم الأنثروبولوجي ، فهو يهتم بسياق الموقف و يرى أن اللغة أسلوب عمل و تعاملنا مليء بمبدأ مهم هو مبدأ التجامل ، فقد وجد مالينوفسكي نفسه أمام " كثير من العبارات و التعبيرات التي صعب عليه تفسيرها ترادفياً ، فحاول ربطها بالمواقف التي قيلت فيها .. و الذي يبدو أن كل لغات العالم هي أسلوب عمل حين يكون سياقها كذلك ، أما حين يختلف السياق ، فتختلف الوظيفة ، فهي توثيق فكر و تبليغ رسالة حين يكون سياقها فكرياً أو إبلاغياً .. إن هذه المبادئ التي بشر بها مالينوفسكي قادته إلى التعمق في السلوك اللغوي بإزاء أنماط السلوك الاجتماعي المختلفة ليضيف جانبا من السلوك اللغوي الاجتماعي أسماه (التجامل Phatic communion) "[169] ، و ربما يقصد ما قد عرفناه في عرفنا الإسلامي و هو المداراة .

و يتبنى حسين خمري رأي محمد العمري في تعريفه للسياق ، يقول : " و لتعريف السياق نورد ما قاله محمد العمري في مجلة (دراسات سيميائية) إذ يقول : يتسع المقام ليشمل جميع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفوياً كان أو مكتوباً . و كثيراً ما ارتبط المقام في البلاغة العربية بزيادة شرح و تحديد ذلك بالحديث عن أقدار السامعين و مقتضى أحوالهم ... ثم يفرق محمد العمري بين السياق و المقام قائلاً : لابد من التمييز بين المقام و السياق و ذلك بحصر الثاني في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التركيب ، سياق كلمة أو وحدة صوتية مثلاً . و قريب من السياق ما سيسميه بعض

---

167 جاسم محمد عبد العبود – مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، لبنان ، 2007، : 133 .

[168] خلود العموش – الخطاب القرآني، ص: 26 .

[169] ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، ص: 183 إلى 186 .

البلاغيين المقام لداخلي في الأدب و هو العلاقة بين الشخصيات في العمل السردي و المسرحي، تمييزاً له عن المقام الخارجي المرتبط بمن يستهلك ذلك الإنتاج "[170]

و لعل اللساني البريطاني فيرث هو أول من اهتم بالسياق باعتباره نظرية متكاملة و كان قد استفاد من آراء مالينوفسكي ، " و تقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق . و أحدثت بذلك تغيرا جوهريا في النظر إلى المعنى.. و قد استخدم السياق في هذه النظرية بمفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي ، و الصرفي ، و النحوي ، و المعجمي ، و لا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة "[171] ، و قد أفادت هذه النظرية بشمول تناولها الذي لا يقصي أي طرف في دورة الخطاب ، فموضوع " النظرية الفيرثية إذاً هو السلوك البشري في إطار سياق معين . و لكن الموقف تجاه المعطيات السلوكية هنا ، جاء مخالفا لما ورد في النظريات الأخرى ، التي نظرت إلى اللغة على أنه أنها نشاط إنساني، فالنظريات اللغوية التي تبنت فكرة اللغة على أنها سلوك كالبنيوية السلوكية البلومفيلدية ، تبنت كذلك ثنائية دي سوسير بين المتصور و المدلول مقابل الصورة الصوتية و الدال ، و فسرتها في إطار السلوك : أي المثير و الاستجابة للمثير ، أو السياق ، أو المعنى مقابل الصوت ، و يمكن تحري النمط اللغوي من العلاقات القائمة بين هذين المظهرين للمعطيات . أما فيرث فيرى أن النمط يستخلص من المعطيات السلوكية الكلامية في سياق ما ، و لكن العلاقة بين السلوك و السياق ليست كما ذهب إلى ذلك دي سوسير . و قد أطلق فيرث على السلوك الكلامي اسم : المعطيات الصوتية (Phonic data) . و هي عبارة عن متصل كلامي غير مقطع ، و السياق الواسع هو الثقافة ، و السياقات الثانوية هي سياقات الموقف "[172] .

و يرى هاليداي M.Halliday أن السياق : " هو النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر ، و هو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية "[173] .

و يقول روبرت دي بوجراد : " ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه Situation of occurrence تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات Stratégies و التوقعات Expectations و

[170] حسين خمري – نظرية النص، ص: 184 .

171 يونس علي محمد محمد – مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، دار الكتاب الجديد ، ط 01 ، ليبيا ، 2004، ص: 27 ، 28 .

172 أحمد مومن – اللسانيات النشأة و التطور، ص: 180 ، 181 .

[173] يوسف نور عوض – علم النص و نظرية الترجمة، دار الثقة للنشر و التوزيع ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1410 هـ، ص: 29 .

المعارف Knowledge ، و هذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف Context . أما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البنية Co–text "[174] ، إذ أنه يفرق ما بين مصطلحين Context و يتضمن ما هو موجود في الخارج من دلالات ، و أيضاً يتضمن ما يخص إنتاج النصوص و استقبالها ، و Co–text و يتضمن الجوانب الداخلية من مكونات نحوية قواعدية و صوتية و صرفية .

و من جهة أخرى هناك نظرة لسانية معاصرة للسياق ، انطلقت من وحي اللسانيات التداولية ، و التي موضوعها الاستعمال اللغوي في الطبقات المقامية المختلفة ، و أبرز إجراء معبر عن السياق هو الفعل الكلامي بأقسامه الثلاثة ، و من المسؤول عن اتجاهات المطابقة في الفعل المتضمن في القول ، و ما دور القوة الإنجازية المنجرة عن هذا في سياق الحجاج ، و قد أوضحنا هذا في الفصل السابق ، غير أن الإستراتيجية التداولية تعتبر طريقة جيدة لما هو منجز كلامياً ، و هذا المنجز ينبغي أن يكون ذا طابع إيقاعي بمعنى أن يحقق فعلاً حال التلفظ به مثل ألفاظ العقود و الوعد ، غير أن هذا التوجه مازال يبحث له عن تجريب لتحقيق الكفاية اللازمة له ، و ذلك في نصوص البوحيات و الخبرية المكتوبة .

و عليه فآلية السياق هو تناولٌ إجرائي يخص ثلاثة مستويات ، المستوى النصي اللغوي ، و المستوى الذي يدخل في نطاق العلاج الدلالي أو السيميائي بتعبير أصح ، و المستوى غير اللغوي الذي يدخل في باب الاستعمالات أو بما يسمى التداولي الذي من مهامه التناولات الثقافية و العرفية بين أطراف الخطاب ، و من منظوره هذا يستعين بآليات مختلفة ، آليات البنية و آليات الدلالة و آليات التداول ، و موضوعه يكمن في البحث عن المعنى أولاً ، و في البحث عن المقاصد ثانياً .

3 – مكونات السياق :

للسياق مكونات عديدة و عناصر مختلفة ، تدخل أثناء تفاعله في دورة خطابية معينة ، و هذه المكونات و العناصر تختلف بحسب الأداءات و بحسب الأفراد و بحسب الزمان و المكان .

و نجد عناصر السياق عند هاليداي تتمثل في الآتي :[175]

1 – موضوع الحدث الأساسي .

---

174 روبرت دي بوجراند – النص و الخطاب و الإجراء، ص: 91 .

175 ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، ص: 569 ، 570 .

2 – الوسيلة اللغوية نطقا أو كتابة .

3 – نوع النص من حيث كونه سرديا ... (النوع الأدبي مثلا ..) .

4 – أسلوب النص (نوع الكلام نحويا) الأمر – الاستفهام – الرجاء - ، و (نوع الكلام اجتماعيا) من حيث الرسمية و عدمها .

5 – المتكلم .

6 – المخاطب (السامع) .

7 – المشاركون في الحدث اللغوي من حيث المستوى الاجتماعي و الثقافي ، و علاقة كل منهم بالمتكلم أو السامع ، أو بالحدث في إجماله .

8 – الغاية التي يساق لها النص (الغرض) كالإخبار ، و الوصف ، و الطلب بعمومه .. الخ

9 – الأشياء المحيطة بالحدث (المكان و الزمان) .

و نجد ابن تيمية يراعي في نظرته إلى عناصر السياق القرآن في ذلك، و يمكن أن ندرج عناصره على النحو التالي :[176]

1 – المتكلم بالقرآن .

2 – المنزل عليه .

3 – المخاطب عليه .

4 – سياق الكلام ...

5 – معرفة المكي و المدني .

6 – معرفة أسباب النزول .

و يذكر جاسم محمد عبد العبود بعض المكونات من مثل :

---

[176] المرجع نفسه، ص : 580 (بتصرف) .

القرينة .. (هي ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي في الجملة) ..

النظم .. (تأليف الكلمات و الجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل و قيل الألفاظ المرتبة المسوقة المعتبرة و دلالاتها على ما يقتضيه العقل) ..

و النص .. (عبارة عما يثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا) .. (ما لا يتحمل إلا معنى واحدا ، و قيل ما لا يتحمل التأويل) ..

الخطاب .. (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل الكلام الموجه نحو الغير للإفهام) ..

المقتضى أو الاقتضاء .. (هو جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق) ..[177]

و يرى الشهري أن السياق يتكون من : " المرسل و المرسل إليه ، و ما بينهما من علاقة ، بالإضافة إلى مكان التلفظ و زمانه ، و ما فيه من شخوص و أشياء ، و ما يحيط بهما من عوامل حياتية : اجتماعية، أو سياسية ، أو ثقافية ، و أثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى "[178] .

و يتوصل الطلحي – في رأيه – إلى عناصر السياق الرئيسية ، و يعتبر أنها تتمثل في :[179]

1 – المتكلم .

2 – المخاطب .

3 – الكلام (النص) .

4 – معضدات الكلام .

5 – الزمان و المكان .

و المقاربة التداولية تنظر إلى عناصر السياق نظرة التحقق الفعلي للقول ، " فقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي Speech act نواةً مركزية في الكثير من الأعمال التداولية . و فحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري . و فضلاً عن ذلك ، يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية

177 جاسم محمد عبد العبود – مصطلحات الدلالة العربية، ص: 151 إلى 158 (بتصرف) .

178 عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، ص: 45 .

179 ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، ص: 598 .

Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب و الأمر و الوعد و الوعيد .. الخ) ، و غايات تأثيرية Actes Perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي "[180]

و هي جملة العناصر التي عادة ما تكون معتبرة عند بناء النص أو فهمه ، و كما قلنا سابقا فإن العناصر ليست هي نفسها عند كل دورة خطابية معينة ، لذلك من الصعب جدا أن نورد العناصر المثالية للسياق لكل ما يجول من خطابات ، و ما أوردناه هو الشائع لدى محللي الخطابات .

4 – السياق و المناسبة :

هناك تداخل كبير ما بين مفهوم السياق و مفهوم المناسبة ، و هذا مرجعه إلى اشتراكهما في كثير من الخصائص التي تميز كل واحد منهما ، و لكن إن رجعنا إلى الامتداد المفهومي لكليهما وجدنا الفرق الذي يكمن ما بينهما .

يقول المثنى محمود عبد الفتاح : " أما عن الفرق بين السياق و المناسبة .. فوظيفة المناسبات الكشف عن وجوه الربط بين الآيات و المقاطع التي لا يظهر – لأول وهلة – وجه ارتباطها بما قبلها و ما بعدها ، و لا يتم الربط إلا بعد معرفة المعاني التي احتوتها الآيات السابقة و اللاحقة ، و هذه وظيفة السياق ، و ذلك من خلال الكشف عن معانيه المتتابعة ، فإن الذي يشخص المعاني و يشكلها و يحدد بدايتها و نهايتها سياقها ، فالسياق خادم لعلم المناسبات ، و لا يتم استجلاء المناسبات إلا بعد معرفة سياق المقاطع القرآنية و حينئذ يتحدد الموضوع ، و عليه يكون إبراز المناسبة أمراً في غاية الوضوح و البيان ."[181] .

ففي تعريف علم المناسبات نجد ما يواكب بعض عناصر السياق يقول الزركشي : " (جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوي بذلك الارتباط ، و يصير حاله حال (الأكيد) البناء المحكم، المتلائم الأجزاء)

أما موضوع هذا العلم فيشرحها البقاعي بقوله : (.. علم تعرف منه علل الترتيب ، و ثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه و ما أمامه من الارتباط و التعلق الذي هو كلحمة

---

[180] مسعود صحراوي – التداولية عند العلماء العرب، ص: 40 .

[181] عبد الفتاح محمود المثنى – نظرية السياق القرآني، ص: 19 .

النسب ، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، و هو سر البلاغة ، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ..) "[182] .

هذا في مصطلح المناسبة في القرآن ، و لكن هناك سياقا آخر للمناسبة في اللسانيات التداولية و يسمى المناسبة أو الملاءمة Pertinence و صاحبها غرايس ، و يعد هذا المبدأ شرطا ضرورياً لتعديل الكفة بين ما يُقال وما يُقصد وما يُفهم أيضا ، ذلك أن الملفوظ الخطابي لا بد و أن يُلّم بمقصد المتكلم دون إضافة أو نقصان ، والمستمع كذلك له أن يأخذ من المستوى الحرفي و المضمر للملفوظ بما يقع في حدود الفهم إذ أن " كل التفاعلات رهٌن بالتوافقات الدائمة والمتعددة التي تسمح للمشاركين أن يضمنوا وجود تحديد عام للموقف والذي يُفهم من قبلهم على مختلف الأوجه "183 ، فالملاءمة تأخذ في الاعتبار هذه الجوانب، " فباستطاعة كل طرف إذاً أن يتوقع من الآخر أن يلتزم بجملة من المواضعات أثناء كلامه . و تتصل هذه المواضعات أو المباديء بكمية الإسهامات في الحوار (أو مدى الإبلاغ فيها) و نوعيتها (أو مدى صدقها) و كيفيتها (أو مدى وضوحها) و مناسبتها "[184]

فمن خلال ما مر يمكن أن نجمل الفروق في الآتي :

1 – أن المناسبة علم خاص في فرعين (التفسير و محادثة مثالية) ، بينما السياق موضوع عام .

2 – أن السياق أشمل من المناسبة ، بدليل أن المناسبة تختص بموضع محدد و علاقته بالقرآن و كذلك بخطاب مثالي مجرد يفترض أن يكون ، بينما السياق يشمل موضع الذي نزول الآية و يشمل كل الخطابات المجردة و الواقعية .

3 –أن علم المناسبة باعتباره علماً ، يختص بمدونة واحدة و هي السبب في ظهوره أي القرآن الكريم، و المناسبة إجراء تداولي مدونته خطاب مجرد ، بينما السياق يختص بعديد المدونات غيرها .

4 – أن المناسبة و الملاءمة وسيلة لخدمة السياق العام .

5 – السياق اللغوي و غير اللغوي :

---

[182] ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، ص: 120 .

[183] Traverso Véronique - L'analyse Des Conversations, Nathan Sejer, SNE, paris, 2004,p: 72.

[184] ج.ب براون، ج يول- تحليل الخطاب، ص: 101 ، 102 .

يختلف السياق اللغوي عن غير اللغوي في كون الأول يحتفي بعلاقات البنية بغيرها من البنى التجاورية ، و يقيم المعنى الوظيفي نتيجة لهذه العلاقات ، و أبرز مظهر له يتجلى في بيان المعنى النحوي و اللساني ، و لا تعنيه النسبة الخارجية التي تؤديها العبارة ، أما الثاني فيتناول مؤديات المعنى في طبقات المقام ، فيكون من ضمن اعتباراته المتكلم و المخاطب و الجو المحيط بذلك ، مثل الأعراف و الثقافات و التقاليد التي تكون من ضمن الدورة التخاطبية " إذ أن السياق يأتي في نوعين : السياق اللغوي ، و السياق الحالي ، فالأول منهما هو الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص ، فهو يزيل اللبس عن الكلمة ، بينما سياق الحال أو المقام يزيل اللبس عن الجمل و النصوص ، و السياق بهذا المفهوم يتعدى ما هو معروف من حيث إنه تتابع للأصوات و الألفاظ ليشمل فضلاً عن ذلك الجو البيئي و النفسي المحيط بكل من المتكلم و السامع "[185].. و هكذا ، غير أننا يمكن أن نفرق ما بينهما على النحو التالي :

1 – السياق اللغوي سياق بنيوي ، بينما السياق غير اللغوي سياق تداولي .

2 – السياق اللغوي يحتفي بالمعنى النحوي ، بينما السياق غير اللغوي يهتم بمقاصد المجاز .

3 – السياق اللغوي آلياته البنى و علاقات و وظائف و قيم البنى ، في حين أن السياق غير اللغوي آلياته بلاغية و دلالية و تداولية .

4 – السياق اللغوي من اهتمامات اللساني و النحوي و عالم اللغة ، و غير اللغوي من اهتمامات البلاغي و الفقيه الأصولي و محلل الخطابات في السياق العام .

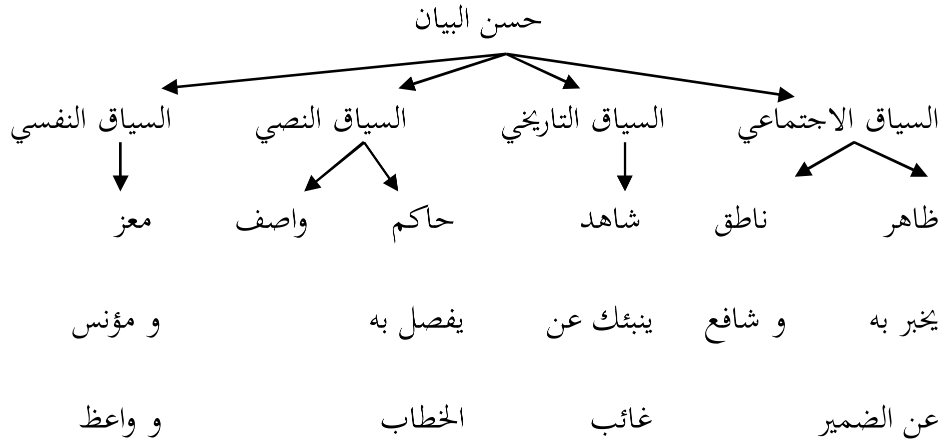
5 – السياق اللغوي يزيل اللبس عن الكلمة بما يحيط بها ، أما السياق غير اللغوي أو الحالي فهو يزيل اللبس عن الجمل و النصوص و الخطابات .

6 – أنواع السياقات :

[185] خلود العموش – الخطاب القرآني، ص: 26 .

السياقات أنواع متعددة جدا ، و يمكننا على ضوء ما ذكرناه آنفاً ، أن نحدد السياقات على جهتين متباينتين ، جهة اللغة و الجهة التي تتجاوز اللغة ، فيكون هناك سياق لغوي و سياق غير لغوي، و لا بأس في أن نحدد الأنواع على النمط التالي :

ينقل لنا صلاح الدين زرال نظرة الجاحظ لأنواع السياق التي يخرج بها حسن البيان ، في خطاطة توضح السياقات التي تكلم عنها الجاحظ :[186]



و يرى الطلحي السياق رؤية من قبيل الأسلوبية ، فيقول :[187]

يفرق الأسلوبيون كميا بين نوعين من السياقات الأسلوبية :

أولهما : السياق الصغير (Micro context) : و يقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده ، و يعنى أسلوبيا بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات ، فيبرز بعضها بعضا ، و يؤثر بعضها في بعض.

و الآخر : السياق الكبير (Macro context) : و يقصد به أحيانا ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ ، كالجملة أو الفقرة أو الخطاب جملة ، و قد يتخذ هذا المصطلح أسلوبيا دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ ، و هو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي و الاجتماعي.

---

[186] صلاح الدين زرال– الظاهرة الدلالية، ص: 437 .

[187] ردة الله بن ردة الطلحي – دلالة السياق، ص: 54 .

ثم ما يلبث حتى يضيف تقسيماً آخر عن طريق ترسيمة يوضح فيها أنواع السياقات و تداخلها و علاقة كل سياق بالسياق الآخر :[188]

الموقف/التاريخ/الأدب/المكان/الزمان/الجغرافيا ...

السياق الثقافي

سياق النص

السياق النحوي

السياق الصرفي

المعجمي

الصوتي

Verbal Context

و يحدد جاسم محمد عبد العبود أنواع السياق على النحو الآتي :[189]

أولا : السياق اللغوي (Linguistic context) :

و يقصد بالسياق اللغوي الإطار الداخلي للغة أو البنية الداخلية للغة .. و يضم السياق اللغوي أجزاء، و هي :

أ– السياق الصوتي : و هو الذي يدرس الصوت في سياقه .. الصوت يؤدي وظيفة مهمة في المنطوق من حيث يتميز المنطوق عما يشبهه بما به من أصوات ، و قد يكون المنطوق متوقفا على صوت واحد من أصواته كالفرق بين نال و مال ..

---

[188] السابق، ص : 205 .

[189] جاسم محمد عبد العبود – مصطلحات الدلالة العربية، ص: 141 إلى 149 .

ب- السياق الصرفي : و هو السياق الذي يهتم بدراسة المفردات لا بوصفها صيغا و ألفاظا فقط و إنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة ..

ج- السياق النحوي : و هو السياق الذي يبحث في معاني التراكيب النحوية ..

د- السياق المعجمي : و يقصد به العلاقات البنيوية الأفقية التي تقوم في العبارة بين المفردات ..

ثانيا : السياق غير اللغوي (Context of situation)

و هو معرفة السياق و فهمه خارج النص عن طريق الظروف المتعلقة بالمقام أو سياق الموقف ..

أ – السياق الثقافي (Cultural context)

و هو تحديد المحيط الثقافي و الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة .. أي أن كل طبيعة ثقافية أو مجموعة لها كلمات خاصة بها أو حقل دلالي خاص بها ..

ب – السياق العاطفي (Emotional context)

و هو السياق الذي يحدد درجة القوة و الضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا.. و يرتبط هذا السياق بالحالة العاطفية أو النفسية ..

و يرى فيرث أن هناك أنواع من السياقات ، و هي موزعة بحسب التوزيع الهرمي ، مثلما هو موضح في الآتي :[190]

1 – سياق صوتي

2 – سياق معجمي

3 – سياق صرفي

4 – سياق تركيبي

5 – سياق موقفي

[190] أحمد مومن – اللسانيات النشأة و التطور، ص: 181 .

6 – سياق ثقافي .

و يحدد الشهري أنواعا مختلفة من السياق ، و يتبنى نظرة بريت Parret في ذلك ، و يوردها على ما اختصرناه آتياً :[191]

1 – السياق النصي :

.. قدم نحو النص و تحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل العبارة .. فأعادوا بناء تماسك النص بوصفه نظاما أكبر في النحو .

2 – السياق الوجودي :

.. و يتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه ، (عالم الأشياء ، حالاتها ، الأحداث) و التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية .

3 – السياق المقامي :

.. إن السياق المقامي يوفر ، جزئيا ، بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية . و المقامات ، بوصفها سياقا .

4 – سياق الفعل :

.. تعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامي .. إذ تبين .. كل الجمل تقال ليكون لها قوة تسمى القوة الإنجازية ، و يلح أوستين Austin على دور العرف الاجتماعي ، أي التعاقدي ، لإنتاج اللغة .

5 – السياق النفسي :

إن اعتبار الخطاب فعلاً ، و أن الفعل اللغوي قصد مشروط ، يقود إلى دمج الحالات الذهنية و النفسية في نظرية تداولية اللغة ، لتصبح المقاصد و الرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل و التفاعل .

---

[191] عبد الهادي بن ظافر الشهري – إستراتيجيات الخطاب، ص: 42 إلى 44 .

و يرى ج.يول و ج.ب.براون في السياق أنواع ثلاثة ، سياق مادي ، و سياق نصي ، و سياق موسع، ففي السياق المادي و يسميه المقام ، يركز على محتواه الصوتي الدال و محور الحديث ، و في السياق النصي يركز على الإحالات ، و في السياق الموسع يركز على السياق الإشاري (الزمان و المكان و الضمائر ..) و غيره [192] .

ويمكن أن نقسم السياق باعتبار القرآن الكريم إلى:

"أ–السياق الخاص أو سياق المقطع و هو يعني المعاني التي انتظمت في مجموعة من الآيات أو في الآية الواحدة إذا كانت طويلة .

ب–السياق العام أو سياق السورة و هو المعاني المنتظمة في السورة الواحدة في موضوع واحد أو موضوعات ربطت بينها المناسبة ."[193]

7 – دور السياق و وظائفه :

تكمن فعالية السياق في إبانة المقصود من الخطاب ، بما فيه من أدوات ، لذلك تعتبر أدواره و وظائفه مهمة جداً لتحديد مجريات الخطاب ، و لتحقيق الدورة بصورة صحيحة بين المتخاطبين ، لأنه لولا السياق المحدد لاختلّ توازن التفاهم ، و ربما حدثت عواقب ليست بالسارة ، فمن هذا المنطلق كانت للسياق فوائد جمة و ميزات كبيرة باعتبار دوره و وظائفه . و يمكننا أن نوجز هذه الأدوار و الوظائف فيما يلي .

يقول صلاح الدين زرال أن وظائف السياق تكمن في الآتي :[194]

أ – معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات ، و تصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها ...

ب –وصف الاستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً .

ج – معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية ...

---

[192] ج.ب براون، ج يول – تحليل الخطاب، ص : 44 إلى 61 (بتصرف) .

[193] أحمد لافي فلاح المطيري– دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007،ص: 18 .

[194] صلاح الدين زرال – الظاهرة الدلالية، ص : 381 ، 382 .

د – إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم و سائر المشتركين في الكلام .

هـ – وجوب تحديد بيئة الكلام ، لأن هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة و أخرى ..

و – يجب تحليل الكلام إلى عناصره و وحداته الداخلية المكونة له ، و الكشف عمّا بينهما من علاقات داخلية لكي نصل إلى المعنى .

بينما يحدد جاسم محمد عبد العبود دور السياق بارتباطه بتصنيف الأصوليين للنص ، و ذلك في مبحثه الثالث من كتابه مصطلحات الدلالة العربية المعنون بـ: دور السياق في التدرج الدلالي من حيث الوضوح و الغموض ، فيقول : " و نرى أول بادرة في النص هو الوضوح ، إذ كانت دلالة النص واضحة، و سنجد هذا الوضوح و الغموض في الصيغ الخطابية التي ذكرها الفقهاء ، و هي (أربعة مقابل أربعة : الظاهر و النص و المفسر و المحكم و في مقابلها : الخفي و المشكل و المجمل و المتشابه .

و نجد هذه الأقسام الثمانية تدور كلها حول فهم المعنى من النص ، أي التدرج الدلالي من حيث الوضوح و الخفاء .

تدرج الوضوح الدلالي :

الظاهر × الخفي

النص × المشكل

المفسر × المجمل

المحكم × المتشابه .

و عن طريق المدرج الدلالي نعرض مصطلح الوضوح أولاً ، و ما بعده الغموض "[195] .

و نرى المثنى عبد الفتاح محمود ، كذلك يذكر فوائد السياق القرآني ، التي هي نابعة من سياق الدلالة ، فيذكر هذا في ما يلي :[196]

الفائدة الأولى : توجيه المتشابه اللفظي .

---

[195] جاسم محمد عبد العبود – مصطلحات الدلالة العربية، ص : 161 ، 162 .

[196] عبد الفتاح محمود المثنى – نظرية السياق القرآني، ص : 163 ، 164 .

الفائدة الثانية : التنوع الدلالي .

الفائدة الثالثة : الترجيح الدلالي .

الفائدة الرابعة : تخصيص العام .

الفائدة الخامسة : دفع التكرار المعنوي .

الفائدة السادسة : نقد الروايات على ضوء السياق .

الفائدة السابعة : دفع الأوهام في هذا المقام .

ويمكن أن نوجز طبقا لما قد مر بنا الوظائف العامة للسياق في ما يلي :

1 – السياق يفرز المعاني عن بعضها ، و يحدد بدقة المعنى المطلوب .

2 –و لا يحدد السياق المعنى فحسب ، بل يحدد المقاصد أيضاً من الخطابات .

3 –و نتيجة لأعراف اللغة التي يفرضها السياق ، فإنه تالياً يقّوم الإنتاج أسلوبيا وفق مقومات المتعارف عليه . ليس هذا فقط ولكن أيضاً يخلق أنماطاً جديدة بمفهوم أصالة المبدع .

4 – السياق عامل مهم جدا في التعاملات الاجتماعية ، إذ أنه يخلق قواعد و مبادئ ما بين الناس بها يتعاملون في أحاديثهم اليومية .

5 –السياق يتجاوز هذا ، و يحدث أعرافاً ، ثم ما تلبث الأعراف أن تكون قوانيناً بعامل العادة و التكرار .

هذا كله في الأدوار التي يؤديها السياق ، و عرفنا ما له من أهمية بالغة ، و دور فعال عند الإنسان ليس في لغته فقط ، و إنما حتى في بعض ثوابته ، و عليه علينا أن نتساءل في حدود دراستنا ، ما هي الآليات الممكنة في السياق ، و التي من شأنها أن تحلل خطاب التفسير القرآني ؟ هل هي متنوعة عامة أم خاصة بناحية دون أخرى ؟

8 – آليات سياق التفسير

التفسير القرآني ليس ككل الخطابات الأخرى ، فهو يختلف عنها في كون معانيه و مقاصده مستوحاة من القرآن (الكلام الإلهي) ، أو هو محاولة لبيان ما يريد القرآن أن يقوله ، علما أن هذه المحاولة من قبل الإنسان ، و قد تكلف هذه المحاولة حضوراً لعناصر عديدة ، مثل الانضباط المنطقي ، معارف سابقة لعلوم اللغة و لعلوم القرآن و علم الحديث و الفقه ، و سلامة المفسر أي أن يكون سوياً ... هذه الشروط إن كانت مطلوبة للمنبري لتفسير القرآن فهي غير مطلوبة في الخطابات الأخرى غير الشرعية . لذلك كان من السهل على النقاد و الباحثين في تحليل الخطابات أن يحققوا آليات معينة لتلك المدونات الخطابية مثل الأدب و أجناسه و أنواعه .

و على هذا الأساس ، تبدو الصعوبة ، التي يعانيها الباحث في بيان آليات تحليل خطاب التفسير، و لذلك فإن أي محاولة ينبغي لها أن تكون جزئية ، أي أن تقصد معطًى واحداً من المعطيات ، لذلك اخترنا السياق تصنيفاً ، معضوداً بما يراه الشنقيطي في قضايا الإجمال و البيان من تفسيره أضواء البيان، إذ أن هناك قواعد يعتبرها الشنقيطي في تفسير القرآن و هي كالتالي :[197]

القاعدة الأولى : لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه من كتاب أو سنة.

القاعدة الثانية : وجوب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص .

القاعدة الثالثة : إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها .

القاعدة الرابعة : صيغة الأمر المجردة عن القرائن تقتضي الوجوب ، و صيغة النهي كذلك تقتضي التحريم.

القاعدة الخامسة : إذا دار الكلام بين التأسيس و التأكيد فحمله على التأسيس أولى .

القاعدة السادسة : وجوب حمل النص على بقاء الترتيب إلا لدليل .

القاعدة السابعة : لا ينبغي حمل الآية على القلب بدون دليل ، لأنه خلاف ظاهر .

القاعدة الثامنة : إذا دار الكلام بين التقدير و عدمه حمل على عدم التقدير .

---

[197] أحمد سلامة أبو الفتوح – عقود المرجان، دار الكيان ، ط 01 ، الرياض ، 2005، ص: من 135 إلى 178 .

القاعدة التاسعة : القول بالتأصيل مقدم على القول بالزيادة .

القاعدة العاشرة : إذا دار اللفظ بين الحقيقة الشرعية و العرفية اللغوية ، قدمت الحقيقة الشرعية ثم العرفية ثم اللغوية .

فضلاً عن ذلك، فإن التفسير يبغي أن يعتمد القرينة في الترجيح و التضعيف ، ثم وجوب حمل كلام الله (تعالى) على ما فيه اتساق و ترابط بين معانيه السابق منها و اللاحق ، و على هذا الأساس يكون الطرح مضّمناً في مناهج معينة مثل البنيوية و علم الدلالة و التداولية و هكذا، و ذلك حتى يسهل لنا مكمن التناول ، و المحاور هي كالآتي :

1 – آليات السياق البنيوية و الأسلوبية .

2 – آليات السياق الدلالية .

3 – آليات السياق التداولية و غير اللغوية .

و دائماً البداية تكون مما هو لغوي وصولاً إلى ما هو غير لغوي ، و نبدأ من أول محور .

1 – آليات السياق البنيوية و الأسلوبية :

- توطئة
- آليات السياق البنيوية :

1–السياق الإفرادي

- السياق الصوتي المفرد
- السياق الصرفي
- السياق المعجمي

2–السياق التركيبي

- السياق الصوتي المركب
- السياق النحوي و الوظيفي

3– السياق البلاغي و الأسلوبي .

4- سياق القراءات القرآنية.

- آليات السياق الدلالية :
  - توطئة
  - سياق الاشتراك
  - سياق التضاد
  - سياق المعرب
  - سياق التقابل الدلالي
  - سياق التضمن
  - سياق اللزوم أو الاقتضاء
  - السياق الإحالي
  - سياق الإجمال
  - سياق الترجيح
  - تخصيص العموم
  - سياق التناسب
- آليات السياق التداولية و غير اللغوية :
  - توطئة
  - سياق الافتراض
  - سياق الإضمار
  - سياق الفعل الكلامي
  - سياق الحجاج
  - سياق الاستشهاد بغير القرآن
  - معرفة علوم القرآن (سياق الموقف)
  - أسباب النزول
  - معرفة المكي و المدني
  - السياق المذهبي

9 – الإمام الشنقيطي ، و كتابه أضواء البيان :

يعدّ الإمام الشنقيطي من الأئمة الكبار الذين برعوا في عديد العلوم اللغوية و البلاغية و الشرعية، حتى صار ألمعياً في زمانه ، يقول عادل نويهض في معجم المفسرين : " محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي : مفسر ، باحث ، من علماء شنقيط بموريتانيا ، ولد و تعلم بها . و حج سنة 1367 هـ (1948م) و استقر مدرساً في المدينة المنورة ، ثم في الرياض ، فالجامعة الإسلامية بالمدينة . و توفي بمكة . من كتبه (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) . 10 مجلدات ، طبع في دار (عالم الكتب) ببيروت ، لبنان . "[198] ، يقول فيه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم : " مات – رحمه الله تعالى –بعد أن أحيا علوماً درست ، و خلف تراثاً باقياً ، و ربّى أفواجاً متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي كليات و معاهد الإدارة العامة بالرياض ، و الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في أنحاء البلاد ابناً من أبنائه ، و في كل قطر إسلامي بعثة من البعثات الإسلامية لمنَح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلا بعد أن ترك في كل مكتبة و في كل منزل (أضواء البيان) تبدد الظلام و تهدي السبيل .

فلا يبعد و لا يغالي من يقول : ما مات من خلّف هذا التراث ، و أدّى تلك الرسالة في حياته ، يبقى أثراً خالداً على مّر الأجيال و القرون . "[199]

5- طلبه للعلم ، و شيوخه :

البداية في طلب العلم في عرف العلماء قديماً تكون دائماً بحفظ كتاب الله ، " فقد القرآن على يد خاله عبد الله و عمره عشر سنوات ، ثم رسم المصحف العثماني على يد ابن خاله محمد بن أحمد المختار ، و قرأ التجويد في مقرأ نافع برواية ورش و قالون ، و أخذ عنه سنداً بذلك إلى النبي صلى الله عليه و سلّم و عمره ست عشرة سنة .

[198] عادل نويهض – معجم المفسرين، ج 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط 01 ، لبنان ، 1984، ص: 496 .

[199] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان، ج1، ص: 07 . (من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم)

درس الأدب دراسة واسعة على زوجة خاله ، فأخذ عنها مبادئ النحو ، و دروس واسعة في أنساب العرب و أيامهم ، و السيرة النبوية و الغزوات .

و هكذا كانت دراسته الأولى في علوم القرآن و الآداب و السيرة و التاريخ في بيت أخواله ، أما بقية الفنون ، فقد درس مختصر خليل في الفقه المالكي على يد الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات ، ثم درس عليه النصف من ألفية ابن مالك ، ثم أخذ بقية الفنون على شيوخ متعددين منهم:

الشيخ أحمد الأخرم ، و الشيخ أحمد بن عمر ، و الفقيه محمد بن زيدان ، و أحمد بن مود ، و غيرهم من الشيوخ الجكنيين .

قال رحمه الله عن نفسه : و قد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون ، النحو ، و الصرف ، و الأصول ، و البلاغة ، و بعض التفسير و الحديث ، أما المنطق و آداب البحث و المناظرة فقد حصلناه بالمطالعة ... "[200] .

- تلاميذه :

و بعد أن تبوأ منزلة رفيعة في العلم و تعليمه ، تكّون على يديه عدد كبير من شيوخ العلم و العلماء و الأئمة و هم كثر ، و من أبرزهم :[201]

1 – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

2 – الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح .

3 – الشيخ عبد الله بن غديان .

4 – الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد .

5 – الشيخ صالح بن محمد اللحيدان .

6 – الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين .

---

[200] أحمد سلامة أبو الفتوح – عقود المرجان، ص: 26 .

[201] المرجع نفسه، ص: 28 ، 29 .

7 – الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

8 – الشيخ صالح بن فوزان الفوزان .

9 – الشيخ إبراهيم آل الشيخ .

10 – الشيخ عطية محمد سالم .

11 – الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد .

12 – الشيخ محمد مختار بن محمد الأمين (ابن الشيخ)

13 – الشيخ عبد الله بن محمد الأمين (ابن الشيخ)

14 – الشيخ إحسان إلهى ظهير .

- مؤلفاته :[202]

1 – (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز) : و موضوعها إبطال إجراء المجاز في آيات الأسماء و الصفات و إبقائها على الحقيقة . و قد زاد هذا المعنى فيما بعد في آداب البحث و المناظرة .

2 – (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) : أبان فيه مواضع ما يشبه التعارض في القرآن كله كما في قوله تعالى : ﴿و قفوهم إنهم مسؤولون﴾[الصافات24] ، مع قوله تعالى : ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس و لا جان﴾[الرحمن39] ، و أن السؤال متنوع و المواقف متعددة ..

3 – (مذكرة الأصول على روضة الناظر) : جمع في شرحها أصول الحنابلة و المالكية و بالتالي الشافعية. مقررة على كلية الشريعة و الدعوة .

4 – (آداب البحث و المناظرة) : أوضح فيه آداب البحث من إيراد المسائل و بيان الدليل و نحو ذلك..

5 – (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) : و هو مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه ..

---

[202] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج1، ص: 27 ، 28 . (من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم)

و هناك العديد من المحاضرات ذات المواضيع المستقلة طبعت كلها و نفدت و هي :

1 – آيات الصفات : أوضح فيها تحقيق إثبات صفات الله .

2 – حكمة التشريع : عالج فيها العديد من حكمة التشريع في كثير من أحكامه .

3 – المثل العليا : بيّن فيها المثالية في العقيدة و التشريع و الأخلاق .

4 – المصالح المرسلة : بيّن فيها ضابط استعمالها بين الإفراط و التفريط .

5 – حول شبهة الرقيق : رفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار .

6 – على ﴿اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي﴾[المائدة3] ..

- الشنقيطي و الشعر :

برع الشنقيطي في قول الشعر ، " و مع هذه الشاعرية الرقراقة ، و المعاني العذاب الفياضة ، و الأسلوب السهل الجزل فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر مع وفرة حفظه إياه ، و له في ذلك أبيات يقول فيها :

أنقذت من داء الهوى بعلاج   شيب يزين مفارقي كالتاج

قد صدني حلم الأكابر عن لمى   شفة الفتاة الطفلة المغناج

ماء الشبيبة زارع في صدرها   رمانتي روض كحق العاج

و كأنها قد أدرجت في برقع   يا ويلتاه بها شعاع سراج

و كأنما شمس الأصيل مذابة   تنساب فوق جبينها الوهاج

يعلى لموقع جنبها في خدرها   فوق الحشية ناعم الديباج

لم يبك عيني بين حي جيرة   شدوا المطيب أنسع الأحداج

نادت بأنغام اللحون حُداتهم   فتزيلوا و الليل أليل داجي

لا تصطبيني عاتق في دلها رقت فراقت في رقاق زجاج

مخضوبة منها بنان مديرها إذ لم تكن مقتولة بمزاج

طابت نفوس الشرب حيث أدارها رشأ رمى بلحاظ طرف ساجي

أو ذات عود أنطقت أوتارها بلحون قول للقلوب شواجي

فتخال رنات المثاني أحرفاً قد رددت في الحلق من مهتاج

و قد سألته رحمه الله ، عن تركه الشعر مع قدرته عليه و إجادته فيه فقال : لم أره من صفات الأفاضل و خشيت أن أشتهر به ، فتذكرت قول الشافعي فيما ينسب إليه :

و لولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

و لأن الشاعر يقول في كل مجال ، و الشعر أكذبه أعذبه فلم أكثر منه لذلك "[203]

هذا بكل اختصار شيء من السيرة الذاتية للشنقيطي ، و عندما نقيمها نجدها عامرة بطلب العلم و العمل من إبلاغ ذلك العلم إلى الطلاب ، كما أنها حافلة بالتأليف ، و المؤلف الذي بلغ فيه الشأو البعيد هو تفسيره – موضوع بحثنا – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، و هو كتاب مهم جدًّا نظراً لما يقدمه من فوائد عديدة ، و لا بأس في أن نفرد بطاقة قراءة قصيرة لهذا الكتاب .

- بطاقة موجزة في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :
  - شكلياً :

الكتاب (المتوفر لدينا) يقع في عشر مجلدات ، قامت عليه دار الحديث بالقاهرة ، نشرته مكتبة العلوم و الحكم ، عدد صفحاته : 3896 صفحة ، من قطع : 17×24 سم ، و قد طبع سنة : 1426هـ-2006م ، و رقم إيداعه : 2005/21594م .

يبتدئ الجزء الأول من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء .

و يبتدئ الجزء الثاني من أول سورة المائدة إلى آخر سورة يونس .

---

[203] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج1، ص: 18 . (من مقدمة الشيخ عطية محمد سالم)

و يبتدئ الجزء الثالث من أول سورة هود إلى آخر سورة الإسراء .

و يبتدئ الجزء الرابع من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الأنبياء .

و يبتدئ الجزء الخامس من أول سورة الحج إلى آخر سورة المؤمنون .

و يبتدئ الجزء السادس من أول سورة النور إلى آخر سورة الصافات .

و يبتدئ الجزء السابع من أول سورة ص إلى آخر سورة المجادلة .

و يبتدئ الجزء الثامن من أول سورة الحشر إلى آخر سورة المرسلات (و التتمة فيه و في ما يليه من الأجزاء ، من عمل تلميذه عطية محمد سالم)

و يبتدئ الجزء التاسع من أول سورة النبأ إلى آخر سورة الناس .

و الجزء العاشر و الأخير يخصصه الناشر أو تلميذه عطية محمد سالم لكتابين من كتب الشنقيطي و هما على التوالي : كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، و كتاب منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز .

- مضمونياً :

مبدئياً يعتبر كتاب أضواء البيان كتاب في تفسير القرآن ، و لكنه كذلك كتاب حافل بالجوانب اللغوية و النحوية و البلاغية المهمة التي ساعدت المفسر في كشف أوجه البيان ، مع أن تناوله أقرب ما يكون إلى التناول البنيوي في الغالب ، و ما يحيل عليه هذا التناول من دلالة على الأحكام الفقهية ، و هو يصرح بهذا ، فيقول : " و اعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :

أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير و أجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله – جل و علا – من الله - جل و علا – ، و قد التزمنا أن لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية ، سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها ، أو آية أخرى غيرها ،و لا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة و ربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية ، و قراءة أبي جعفر و يعقوب و خلف ليست من الشاذ عندنا و لا عند المحققين من أهل القراءات .

و ثانيهما : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب ، فإننا نبين ما فيها من الأحكام ، و أدلتها من السنة ، و أقوال العلماء في ذلك ، و نرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين ، و لا لقول قائل معين ، لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول و مردود إلا كلامه صلى الله عليه و سلم ، و معلوم أن الحق حق و لو كان قائله حقيراً . ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي و قومها لما قالت كلاماً حقا صدقها الله فيه ، و لم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته ، و ذلك في قولها فيما ذكر الله عنها : ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة﴾[النمل:34] .. "[204]

فيتضح الجانب المضموني في منهج الكاتب ، في قول الكاتب نفسه الذي أوضح منهجه الذي سيتبعه في تفسير القرآن ، و هو منهج علمي – بحسب رأيه هذا في بداية الكتاب – لأنه يبدأ بالجانب الوصفي وصولاً إلى النتائج .

---

[204] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج1، ص: 35 .

الباب الثاني

الآليات السياقية في أضواء البيان

(تحديد المفاهيم النظرية)

الفصل الأول

(آليات السياق البنيوية و الأسلوبية)

- توطئة
- آليات السياق البنيوية :

1–السياق الإفرادي

– السياق الصوتي المفرد

– السياق الصرفي

– السياق المعجمي

2–السياق التركيبي

– السياق الصوتي المركب

– السياق النحوي و الوظيفي

- السياق البلاغي
- السياق الأسلوبي
- سياق القراءات القرآنية

1- توطئة :

تناول النقاد و محللو الخطابات نصوصا و خطابات عديدة، و قد أبانت لهم المدونة وجهة معينة اطمأن لها البحث، من حيث الآليات المستعملة، أو من حيث الآليات التي تستخرج من التحليل، و وافق بعضها أنماطا من مناهج التحليل، و بعضها الآخر يشي في انتمائه التحليلي لمناهج عديدة، و هذا ما نجده في بعض النصوص الأدبية ، و نجده أيضا في الخطاب القرآني .

غير أن تناول الشنقيطي في تفسيره ، ينحو منحى تخصصيا فريدا، فهو يتناول القرآن و كأنه كلمة واحدة و بنية متلاحمة .. و هذا ما أكسب تحليله للنص القرآني طابعا يكاد يكون بنيويا ، و هو يوضح هذا في العنوان الفرعي لكتابه بـ : في إيضاح القرآن بالقرآن ، أي أنه يفسر القرآن بالقرآن، ذلك أن " النص هو الذي يستحق الاهتمام، كما في السابق، و لا يزال النص كما في السابق فرضا، إمكانا للمستقبل، و هو في الوقت نفسه معيار تقاس بموجبه أعمال الماضي و الحاضر"[205]، و تعد اللغة هي المكمن الأولي لجميع القضايا فلقد "درسنا اللغة .. باعتبارها أداة و وسيلة، و حاولنا أن نصف بنيتها دون الإشارة الصريحة إلى الطريقة التي تستخدم بها هذه الأداة .. إذا أردنا أن نفهم جملة من الجمل علينا أن نعرف أموراً أخرى فضلاً عن تحليلها على جميع المستويات. إذ ينبغي أن نعرف معنى المورفيمات أو الكلمات التي تتألف منها الجملة، و ما تشير إليه هذه المورفيمات أو الكلمات في العالم الخارجي"[206]، و التحليل يجب أن يتوخى هذا في مقاربته للبنية، و لهذا فضلنا استعمال كلمة سياق على ما عداها ، لما تدل عليه كلمة سياق من معاني تقترب في الدلالة على مدلول البنية (السياق اللغوي)، ثم هناك استعمالات أخرى هدفها استقصاء المعنى دلاليا، و هذا ما أطلقنا عليه السياق الدلالي، و غيره مما لا علاقة له بهذا أو ذاك ، أطلقنا عليه تسمية السياق التداولي أو غير اللغوي .

غير أن هناك ملاحظة يجب أن نشير إليها، في أن هذه المحاولة البحثية ، تعد مجرد محاولة أخذت في اعتبارها المجال المتاح، و الذي لا يسمح لنا أن نطرد في إيراد جميع الآليات ، فذكرنا منها عينات في ما حصرناه من آليات، متبوعا بشواهدها المندرجة فيها، و هذا على سبيل التمثيل لا غير، و يرجع سبب

[205] جون ستروك –البنيوية و ما بعدها، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996، ص: 84 .

[206] نعوم شومسكي– البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، منشورات عيون، ط 02، المغرب، 1987، ص: 138 .

هذا إلى موضوع و سعة المدونة التي تناولناها من جهة ، و من جهة أخرى إلى غزارة علم الرجل الذي ألم بعلوم شتى.

و لذلك ففي الفصل الأول من الباب الثاني ، سنتناول آليات السياق البنيوية و الأسلوبية ، عن طريق محاولة الإجابة عن السؤال التالي : ما هي الآليات البنيوية و الأسلوبية و البلاغية و القرائية المحتمل وجودها في تفسير أضواء البيان ؟ و نذّكر دائما بأن البحث مهمته الوقوف على (تحديد المفاهيم النظرية) من خلال الإجراءات الموجودة في هذا التفسير .

كما هو معلوم فإن أي نمط من السياق له مستويات متعددة ، و لابد – حتى يسهل العمل من أن نجزئ السياقات إلى هذه المستويات ، و لنبدأ بآليات السياق البنيوية .

2- آليات السياق البنيوية :

إن القراءة البنيوية مهمة جدا لأنها تلج إلى حيثيات النص واصفة إياه في ظل معطيات لسانية تنبع من النص ذاته، و هو الإجراء العلمي المفيد في استقصاء المراد من النص، فقد "كانت الفلذات التي حفل بها التراث النقدي العربي، في مواجهته للإبداع تشكل صورة لما قرأته الشفوية العربية إسناداً إلى عاملي الاستحسان والاستهجان الفطريين، اللذين يواجهان المسموع فيفيضان إلى الحكم دون أن يسديا تعليلاً يبرره، ويوثق عقدته، بل جاءت عفوية تصدر عن موافقة للطبع والعرف في شكل تعليق سريع، يطوي نصاً برمته في عبارة مقتضبة أو في شكل حركة فيزيولوجية تنتاب الجسد أو بعضه فتكون آية على هذا وذاك"[207]، و على النظير من ذلك نجد القراءة النسقية التي تحاول، علميا، أن تستوف ما أغفل من ذلك . هذا و يمكن أن يتدرج السياق البنيوي من السياق الإفرادي الذي يتكون من المستويات الصوتية و الصرفية و المعجمية ، وصولا إلى السياق التركيبي الذي نجد فيه المستويات الصوتية و النحوية و البلاغية .

---

[207] حبيب مونسي– القراءة و الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط، سوريا، 2000، ص: 11 .

1) السياق الإفرادي :

فضلنا استعمال صيغة السياق الإفرادي، حتى ندلل به على أن مقصودنا بنية الكلمة و تمظهراتها المفاهيمية، سواء الصوتية أو الصرفية أو المعجمية أو غير ذلك مما له علوق مباشر بالسياق الإفرادي، ومصنف تحته بالاندراج، هذا و لنقابل مصطلح الإفراد بالتركيب الذي يجيء بعده، و فيه :

- **السياق الصوتي المفرد** :

إن هناك جانب مهم يساهم في تغير المعنى من جهة معينة كدلالة الإبدال (إبدال حرف بحرف آخر في وحدة تركيبية) فمثلا في كلمة يعلمون، فتارة هي يعلمون و تارة أخرى هي تعلمون بحسب قراءة القراء، إذ تبدل المعنى من جهة المخاطب إلى جهة الغائب صرفيا، و بطبيعة الحال هذا له دلالات كثيرة و النموذج التالي يوضح هذا:

- **دلالة الإبدال** : في قوله تعالى ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[الزخرف:89] .

الإبدال وقع في فعل **يعلمون** بحسب قراءة القراء ما بين الياء و التاء ، و يقول الشنقيطي في هذا: " قرأ هذا الحرف ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي : (فسوف يعلمون) بياء الغيبة ، وقرأ نافع وابن عامر (فسوف تعلمون) بتاء الخطاب .

وهذه الآية الكريمة تضمنت ، ثلاثة أمور :

الأول : أمره صلى الله عليه وسلم بالصفح عن الكفار .

والثاني : أن يقول لهم سلام .

والثالث : تهديد الكفار ، بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب النار .

وهذه الأمور الثلاثة جاءت موضحة في غير هذا الموضع :

كقوله تعالى في الأول { وَإِنَّ الساعة لآتِيَةٌ فاصفح الصفح الجميل } [الحجر : 85] ، وقوله تعالى { وَلاَ تُطِعِ الكافرين والمنافقين وَدَعْ أَذَاهُمْ } [الأحزاب : 48] .

والصفح الإعراض عن المؤاخذة بالذنب"[208] .

فالمعنى هنا تغير من صيغة معينة إلى صيغة أخرى بتبدل حرف واحد في المفردة الواحدة الواقعة في سياق تركيبي معين، هذا و للنبر دور فعال أيضا في إحداث التغيير على بنية لفظية ما، و قد يتمظهر

---

[208] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج7، ص: 190 .

النبر في اللغة العربية –على قلته فيها– على الشدة أو على عنصر الإدغام و دعنا نرى هذا في النماذج التالية :

– **الشَدَّة من عدمها** : في قوله تعالى ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾[الإسراء:417] . و لها معنيان بحسب قراءة القراء ، يقول الشنقيطي في هذا الصدد : " قرأ هذا الحرف عامة القرآء ﴿فَرَقْنَاهُ » بالتخفيف : أي بيناه و أوضحناه ، وفصلناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل . وقرأ بعض الصحابة { فرقناه } بالتشديد : أي أنزلناه مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة . ومن إطلاق فرق بمعنى بين وفصل قوله تعالى : { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [الدخان:4] الآية .

وقد بين –جل وعلا– أنه بين هذا القرآن لنبيه ليقرأه على الناس على مُكثٍ ، أي مهل وتؤدة وتثبت، وذلك يدل على أن القرآن لا ينبغي أن يقرأ إلا كذلك . وقد أمر تعالى بما يدل على ذلك في قوله : {وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلاً } [المزمل:4] ويدل لذلك أيضاً قوله : { وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } [الفرقان:32]"[209].

فالنبر هنا باعتباره خاصية صوتية مهمة، يساهم في بيان المعنى المقصود، و هناك لغات كثيرة تقوم على هذه الخاصية المهمة، من مثل اللغة الأنجليزية التي هي لغة منبورة في الأصل على عكس اللغة العربية التي هي لغة مقطعية، و قد "لاحظ رومان جاكبسون أن اللغة التي يلعب فيها النبر دورا تمييزا يكون عروضها مبنيا على النبر، واللغة التي يكون طول الحركات فيها وظيفيا يكون عروضها كميا أي مبنيا على طول و قصر المقاطع . و العربية لم تخرج على هذه القاعدة: إيقاع شعرها مستمد من إيقاع لغتها"[210]، و العربية على ميزتها المقطعية إلا أن فيها ميزات تتعلق بالنبر من مثل الشدة من عدمها و الإدغام مما يساهم في تبدل المعنى من حال إلى حال آخر .

هذا و يتعلق السياق الصوتي بالإدغام كثيرا، و الشنقيطي يركز كثيرا على مراعاة عنصر الإدغام في بيان الآي و السور، و الإدغام " في الصرف و التجويد : هو الإدخال لغة، و اصطلاحا : إدخال حرف في حرف بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا، و الحرفان المدغمان أولهما ساكن و ثانيهما متحرك"[211] ، و النماذج التالية توضح أهمية الإدغام :

---

[209] السابق ج3، ص: 417 .

[210] مصطفى حركات– نظرية الوزن، دار الآفاق، درط، الجزائر، 2005، ص:30 و 31 .

[211] محمد سعيد إسبر و بلال جنيدي– الشامل في علوم اللغة العربية، دار العودة، درط، بيروت، 2004، ص: 70 و 71 .

– **الإدغام** : في قوله تعالى ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[الكهف:38].

يقول الشنقيطي : "وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : {لَكِنَّا} أَصْلُهُ «لَكِنْ أَنَا» فَحُذِفَتْ هَمْزَةُ «أَنَا» وَ **أُدْغِمَتْ** نُونُ «لَكِنْ» فِي نُونِ «أَنَا» بَعْدَ حَذْفِ الْهَمْزَةِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : نُقِلَتْ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ إِلَى نُونِ «لَكِنْ» فَسَقَطَتِ الْهَمْزَةُ بِنَقْلِ حَرَكَتِهَا ، ثُمَّ أُدْغِمَتِ النُّونُ فِي النُّونِ ! وَنَظِيرُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ .. وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكِ لَا أَقْلِي

أَيْ لَكِنْ أَنَا إِيَّاكِ لَا أَقْلِي ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي} ، قَرَأَهُ جَمَاهِيرُ الْقُرَّاءِ فِي الْوَصْلِ «لَكِنْ» بِغَيْرِ أَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ الْمُشَدَّدَةِ ، وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ مِنَ السَّبْعَةِ «لَكِنَّا» بِالْأَلِفِ فِي الْوَصْلِ ، وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَاصِمٍ ، وَرَوَاهُ الْمُسَيَّبِيُّ عَنْ نَافِعٍ ، وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ ، وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى إِثْبَاتِ الْأَلِفِ فِي الْوَقْفِ . وَمَدُّ نُونِ «أَنَا» لُغَةُ تَمِيمٍ إِنْ كَانَ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ . وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي الْبَحْرِ : إِنَّ إِثْبَاتَ أَلِفِ «أَنَا» مُطْلَقًا فِي الْوَصْلِ لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَغَيْرُهُمْ يُثْبِتُونَهَا عِنْدَ الِاضْطِرَارِ ، قَالَ : فَجَاءَتْ قِرَاءَةُ «لَكِنَّا» بِإِثْبَاتِ الْأَلِفِ فِي الْوَصْلِ عَلَى لُغَةِ تَمِيمٍ"[212] .

فالتشديد الواقع في (لكنّا) لهو نبر ناتج من الإدغام، و أول معنى أفاده معنى وظيفي يتعلق بالاقتصاد اللغوي، فعوضا أن نقول (لكن أنا) كان من الممكن أن نقول (لكنّا)، مثل إطلاقنا للفظة (لكنّنا) على الجمع أي (لكن نحن)، و قد ورد هذا النمط اللساني المهم في أقوال العرب و أشعارهم، و أورد الشنقيطي مثالا على ذلك، بما يدل دلالة قطعية على وعيهم بأهمية ذلك في إيراد الكلام، و القرآن قد نزل بلغة العرب معجزا لها، فمن الطبيعي أن يحمل في طياته تلك الأعراف اللغوية التي تواضع عليها عرب أهل الجزيرة من قبائل عرفت بالفصاحة، و هذا نموذج آخر للزيادة في التوضيح.

– في قوله تعالى : ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2)**﴾[النبأ] .

يقول الشنقيطي : " عَمَّ أَصْلُهُ عَنْ مَا **أُدْغِمَتِ** النُّونُ فِي الْمِيمِ ، ثُمَّ حُذِفَ أَلِفُ الْمِيمِ ، لِدُخُولِ حَرْفِ الْجَرِّ عَلَيْهِ ؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَمَا الْمَوْصُولَةِ .

وَالْمَعْنَى : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ ، وَقَدْ يَنْفَصِلُ حَرْفُ الْجَرِّ عَنْ مَا ، فَلَا يُحْذَفُ الْأَلِفُ .

وَأَنْشَدَ الزَّمَخْشَرِيُّ قَوْلَ حَسَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ

---

[212] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج4، ص: 77 .

وقَالَ فِي الْكَشَّاف : وعَن ابْن كَثِير أَنَّهُ قَرأَ «عَمَّهْ» بهَاء السَّكْت ، ثُمَّ وَجَّهَها بقَوله : إمَّا أَنْ يُجْرِي الْوَصْلُ مُجْرى الْوَقْف ، وإمَّا أَنْ يَقف ويبْتَدئ: يَتَساءَلُونَ(1) عَن النَّبَإ الْعَظِيم} ، عَلَى أَنْ يُضْمر يَتَسَاءَلُونَ؛ لأَنَّ مَا بَعْدَه يُفَسِّره"[213] .

هذه عينات من ما هو موجود في المستوى الصوتي، و ينبغي أن نعترف في البدء أن الاستعمالات الصوتية في تفسير الشنقيطي قليلة في مداراتها التخصصية، من مثل الاهتمام بمخارج الحروف، و صفاتها، و المباحث الصوتية الأخرى .. لكن هذا لا ينفي أن الشنقيطي لم يهتم بالمفهوم الصوتي، لكن اهتمامه به كان في جانب القراءات القرآنية أكثر من غيره، و قد أوردنا هذا في آخر الفصل، حتى نورد بعض القضايا التي لها علاقة بالصوتيات، من مثل : الشدة من عدمها، و دلالة الإبدال، و الإدغام .

فنرى الشنقيطي مدققا في مسائله، أن تناول بيان معنى الآيات القرآنية، عن طريق استعماله آليات تتعلق بالجانب الصوتي، و قد حاولنا التمثيل لهذه المسائل لأهميتها، و حتى نتوسع في سياق الشنقيطي، ليفهم المقصود بصورة أوضح .

- **السياق الصرفي** :

استعمل الشنقيطي آلية مهمة أخرى، و هي السياق الصرفي بمباحثه و هي كثيرة، و قد رصدنا منها ظاهرتين هما : اسم المفعول، و مبحث الاشتقاق .

فاسم المفعول "صفة تؤخذ من الفعل المجهول للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث و التجدد لا الثبوت و الدوام مثل مقروء و مذهوب به و معطى و منطلق به . فإن كان على وجه الثبوت و الدوام كان صفة مشبهة"[214] ، و النماذج التالية توضح المقصود:

— **اسم المفعول** : في قوله تعالى : ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ [الكهف:27] ، إذ أن "أصل الملتحد: مكان الالتحاد وهو الافتعال : من اللحد بمعنى الميل ، ومنه اللحد في القبر ، لأنه ميل في الحفر ، ومنه قوله تعالى : { إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ في آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ } [فصلت:40]، وقوله : { وَذَرُواْ الذين يُلْحِدُونَ في أَسْمَآئِهِ } [الأعراف:180] ، الآية فمعنى اللحد والإلحاد في ذلك: الميل عن الحق . والملحد المائل عن دين الحق . وقد تقرر في فن الصرف أن الفعل إن زاد ماضيه على ثلاثة أحرف فمصدره الميمي واسم مكانه واسم زمانه كلها بصيغة اسم المفعول كما هنا . فالملتحد بصيغة اسم

---

[213] السابق ج9، ص : 5 .

[214] محمد سعيد إسبر و بلال جنيدي– الشامل في علوم اللغة العربية، ص: 107 .

المفعول ، والمراد به مكان الالتحاد ، أي المكان الذي يميل فيه إلى ملجأ أو منجى ينجيه مما يريد الله أن يفعله به"215 .

فهو يوظف صيغة اسم المفعول لإبانة جهة الدلالة المخصوصة بالبيان و الإيضاح، بالعروج أولا إلى المعاني اللغوية ثم مكانة تلك المعاني في سياقها من المحور التركيبي، و المعنى الذي كان هو أن ملتحدا معناها: ميلا عن الحق، في حين أن القارئ لها من وهلة أولى يحسبها تدل على مكان الدفن و هو اللحد، إذا لابد من مراعاة الأصل اللغوي للوحدة اللغوية ثم القيام بوصف العلاقات القائمة بين هذا الأصل بالسياق اللغوي، و ذلك قبل الشروع في التفسير الاستباقي لكلمة دون أخرى، ثم هذا النموذج:

في قوله تعالى أيضا : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[مريم:51] . و في هذا يقول الشنقيطي : " اعلم أن في قوله «مخلصاً » قراءتين سبعيتين : قرأه عاصم و حمزة و الكسائي بفتح اللام بصيغة اسم المفعول ، والمعنى على هذه القراءة أن الله استخلصه واصطفاه : ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : { قَالَ يا موسى إِنِّي اصطفيتك عَلَى الناس برسالاتي وبكلامي } [الأعراف:144] الآية . مما يماثل هذه القراءة في القرآن قوله تعالى : { إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار } [ص:46] فالذين أخلصهم الله هم المخلصون بفتح اللام ، وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر « مخلصاً » بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل . كقوله تعالى : { وَمَآ أمروا إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين } [البينة:5] وقوله تعالى : { قُلِ الله أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي } [الزمر:14] "216 .

فمعنى اسم المفعول (مُخْلَصًا) هنا هو الاصطفاء بدليل ورودها في سياقات قرآنية أخرى تحمل نفس المعنى، لذلك فإن ما يمكن أن يقال في هذا الصدد، أن الشنقيطي راعى هذه الوحدة اللغوية وفق مقتضيات الزيادة و النقصان التي تعتريها أثناء انتقالها من سياق معين في آية إلى سياق آخر في آية أخرى .

هذا و لا نغفل الدور الكبير لجانب الاشتقاق، إذ هو "عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من أخرى بحيث تظل الفروع المولدة متصلة بالأصل. معنى هذا، أن أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى و تغيير في اللفظ يقدم لنا زيادة على المعنى الأصلي، و هذه الزيادة هي سبب الاشتقاق. و .. في ظل دلالته الوضعية على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، و الرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، و يوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"217، و نرى أن الشنقيطي قد استعمل هذه الآلية، و هذا النموذج يوضح ذلك:

---

215 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج4، ص : 64 .

216 المرجع نفسه ج4، ص: 51 .

217 فرحات عياش– الاشتقاق و دوره في نمو اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1995، ص:10 .

- **الاشتقاق** : من خلال بيان قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[البينة:7] . يقول الشنقيطي مدرجا آيتين في سياق التكريم ، بحيث يقول { "عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } [الأنبياء:26] ، والبشر فيهم النص { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } [الإسراء:70] ، والفرق بينهما ،كالفرق بين الاسم والفعل في الدلالة .

ففي الملائكة بالاسم : مكرمون ، وهو يدل على الدوام والثبوت ، وفي بني آدم كرمنا ، وهو يدل على التجدد والحدوث . وهذا هو الواقع ، فالتكريم ثابت و لازم و دائم للملائكة بخلافه في بني آدم إذ فيهم وفيهم"[218] .

فما رأيناه في ملاحظتنا الأولى، ينطبق أيضا في هذا السياق، من أن آليات تحليل الخطاب، لا تكون دائما ماوراء نصية، و لكنها نصية بالدرجة الأولى، فاستعماله للصرف إثبات واضح، في أن تحليل الخطاب لا يستغني في الغالب الأعم عن ما يتصل بالآليات النصية اللغوية، لأنها قد تكون لبنة مهمة في تحديد المعنى الأولي، ثم لبنة للمقاربات الماوراء نصية ثانيا، أي تشكل قاعدة لها تنطلق منها، لذلك فإن محللي الخطابات العرب اهتموا بهذا الجانب أكثر من غيره، و منهم على سبيل المثال محمد الشاوش في كتابه : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، و من الغربيين جون ميشال آدام الفرنسي، في كتبه الكثيرة و التي منها كتاب: اللسانيات النصية .. الخ .

- **السياق المعجمي** .

عرِّف المعجم بأنه "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها و تفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء، و إما حسب الموضوعات . و المعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها و اشتقاقها، و بطريقة نطقها، و شواهد تبين مواضع استعمالها"[219]، و يبدو واضحا هنا أن الشنقيطي لم يغفل شرح و بيان بعض المداخل، ربطا بما هو موجود في آيات لها نفس السياق، حتى يوضح ما أغفل من صلة اللفظة في سياقها القرآني، و نوضح هنا بأن ما هو موجود من هذه الشواهد أدناه، ليس حصرا لكل استعمالات الشنقيطي، و لكن اختيارنا لها كان بدافع التمثيل فقط، و قد أوردنا ما وصلت إليه اليد، و أوردنا بعد ذلك استعمالات الشنقيطي للمعاجم العربية .

[218] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص: 178 .

[219] العمري بن رابح بلاعدة القلعي– الألمعية في الدراسات المعجمية، دار الوعي، درط، الجزائر، 2005، ص: 33 .

- **صلصال** : في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾ [الحجر:26] ، إذ يبين لنا في سياقات أخرى المعنى المعجمي لكلمة صلصال فمعناها بحسب ما ورد في القرآن الكريم التراب و الطين ، يقول الشنقيطي : "إذا عرفت هذا فاعلم أن الله -جل وعلا- أوضح في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم فبين أنه أولاً تراب بقوله : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران:59] وقوله : { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ } [الحج:5] وقوله { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ } [غافر:67] الآية إلى غير ذلك من الآيات ثم أشار إلى أن ذلك التراب بل فصار طيناً يعلق بالأيدي في مواضع أخر كقوله : { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ } [الصافات:11] وقوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ } [المؤمنون:12] وقوله : { وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ } [السجدة:7] إلى غير ذلك من الآيات وبين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير بقوله هنا { مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } [الحجر:26] وبين أيضاً أنه يبس حتى صار صلصالاً أي تسمع له صلصلة من يبسه بقوله : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ } [الحجر:26] الآية وقوله : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } [الرحمن:14]"[220] .

فمثلا هنا يورد الشنقيطي سياقات الصلصال المعجمية و الدلالية حتى يتضح معها المعنى المعجمي الخاص لألفاظ القرآن الكريم، و من هنا تبرز أهمية الشاهد لشرح المدخل المعجمي، في كون الشاهد الأساس الذي يحدد عليه مجال المدلول، إذ أن الشنقيطي بإيراده للآيات التي توضح و تبين عن جهة كلمة صلصال مثلاً أوضح لنا و حدد بدقة مجال هذا المدخل في القرآن على الخصوص، و لنأت بكلمة أخرى مثلا، و هي العفو:

- **العفو** : نرى في هذا الإطار أن الشنقيطي يستعمل ، في بيانه لمعنى آية ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ البقرة [03] ، الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الإنفاق من الرزق ، فيحدد هذا من كلمة معجمية اصطلاحية أخرى موجودة في نفس الآية ﴿و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ ، فيقوم بتحديد معنى هذا المدخل بأنه الزائد على الحاجة ، طبقا لما هو وارد في سورة أخرى ، و هي سورة الأعراف ﴿حتى عفوا﴾ الآية [95] ، أي كثروا و كثرت أموالهم و أولادهم، و لنر مثلا كلمة الأمة التي أورد الشنقيطي بشأنها سياقات مهمة:

---

220 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 98 .

- **الأمة** : قوله تعالى في سورة هود : ﴿**ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة** ﴾ الآية[95] ، في بيان معنى الأمة يقول الشنقيطي : " استعمل لفظ الأمة في القرآن أربعة استعمالات :

الأول : هو ما ذكرنا هنا من استعمال الأمة في البرهة من الزمن .

الثاني : استعمالها في الجماعة من الناس ، و هو الاستعمال الغالب ، كقوله :﴿وجد عليه أمة من الناس﴾ .. الآية [القصص:23] ، و قوله ﴿و لكل أمة رسول﴾ .. الآية [يونس:47] ، و قوله : ﴿كان الناس أمة ﴾.. [البقرة:213]، إلى غير ذلك من الآيات .

الثالث : استعمال الأمة في الرجل المقتدى به، كقوله : ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾.. الآية [النحل:120] .

الرابع : استعمال الأمة في الشريعة و الطريقة، كقوله : ﴿إنا وجدنا ءاباءنا على أمة﴾ .. الآية [الزخرف:22] ، و قوله : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ .. الآية [الأنبياء:92]، إلى غير ذلك من الآيات "[221] .

فلفظ أمة بحسب ما أورده الشنقيطي بسياق القرآن لها معان عدة، فهي البرهة من الزمن و هي الجماعة من الناس و هي الرجل المقتدى به و هي الشريعة و الطريقة، و بالإمكان أن تسم هذه المناحي الأربعة مجالات كلمة أمة في القرآن الكريم . و لنأخذ كلمة أخرى مثل كلمة :

- **يعدلون** : في قوله تعالى ﴿**ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾ [الأنعام:1] .

يقول فيها الشنقيطي:" و عليه فالمعنى : إن الذين كفروا بربهم يميلون و ينحرفون عن طريق الحق إلى الكفر و الضلال "[222] ، فمعنى يعدلون هو لفظة يكفرون سياقيا، ثم يعدلون جاءت بمعنى النظير أو الند و أورد آيات أخرى تعضد المعنى الثاني منها :

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين(97)إذ نسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء]

221 السابق ج3، ص: 12 .

222 السابق ج2، ص: 120 .

﴿و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾[البقرة:165] .

فقد جاءت بمعنى الكفر بالله تارة، و جاءت بمعنى النظير تارة أخرى، و من هنا نستنتج بأن مراعاة سياق الكلمة الواحدة في عديد السياقات من القرآن لهو السبيل الأمثل للوقوف على المعنى الصحيح لمعنى تلك الكلمة في سياقها القرآني الخاص، أو كلمة معينة في سياق نص مغاير، لأن "المتكلم إذاً يحّول الكلمات و النظم من وادي القوة إلى وادي الفعل (..و..) أن معنى الكلمة في المعجم متعدد و محتمل و لكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد بسبب ما يأتي:

أ–ما في السياق من قرائن تعين على التحديد ..

ب– ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية .."[223]، يعد هذا القول لتمام حسان دقيقا لأنه معضود بالشواهد التي تعطيه قيمته الحقيقية، و تفسير الشنقيطي، لكلمة معينة في ظل مقامات الآيات و في ظل القرائن التي تعطي لتلك الكلمة مجالها، لهو أبلغ في الإبانة عن المقصود الصحيح من باقي الاحتمالات المردودة بفعل السياق و القرائن .

كان هذا في مستوى البنية الإفرادية، فماذا عن ما يرد في السياقات التركيبية ؟

2) السياق التركيبي :

هذا السياق فيه أنواع من الآليات، منها السياق الصوتي المركب، و السياق النحوي . و من المعروف أن السياق الصوتي المركب أكثر ما يتبدى في البنى الإيقاعية الوزنية و القوافي، الموجودة في الشعر، لاتسام جوانبه بالانتظام و الاطراد، كما يوجد شيء منه في القرآن الكريم، و بعض أنواع النثر، مثل فن المقامات، و قصائد النثر . و قد بحثنا هذا الجانب في تفسير الشنقيطي و وجدنا شيئا قليلا منه، ممثلا في تطرق الشنقيطي لما يسمى بالفواصل القرآنية و تناسبها، هذا من جهة، و من جهة أخرى نلاحظ أن الشنقيطي أوغل في إيراد الآليات و المفاهيم النحوية خلال تحليله، و هذا ما أكسب تحليله طابعا بنيويا . و لنرى هذا فيما يلي :

- **السياق الصوتي المركب :**

[223] تمام حسان– اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، درط، المغرب، 2001، ص:316 .

و نعني بالسياق الصوتي المركب "تلك الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات و يتعلق بها نوع من المعاني يسمى المعاني الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية و لا ذهنية لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان تدركها المعرفة و لا تحيط بها الصفة، فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول لم طربت . و نستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآني .. الإيقاع و الفاصلة و الحكاية و المناسبة و حسن التأليف"[224] بما يشبه في هيكله السجع، الذي لم يكن كظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم محل خلاف القدامى، "فالكل يعترف بوجوده الفعلي المميز، بل و يقرون بأن ما جاء من آي الذكر الحكيم مسجوعاً قد بزَّ في سلاسته و رونقه ما اشتهر عند العرب من هذا الفن، و الذي كان يصدر في أغلب الأحوال عن تكلف و تصنع يطمسان المعنى و يحيلان الكلام طلاسماً، كما هو الحال مع سجع الكهان في الجاهلية. لكن الخلاف بينهم كان يتمركز على مستوى المصطلح الذي يستوعب هذا الفن النثري..و يعزى القول بالفاصلة كمصطلح بديل عما ورد على شاكلة السجع في كتاب الله العزيز الحكيم إلى أبي الحسن الأشعري"[225]، و "حسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن الكريم، و أنه مما لا يتعلق به أحد، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها و مخارجها، و مناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس و الجهر و الشدة الرخاوة، و التفخيم و الترقيق، و التفشي و التكرير .. و ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، و أن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّا أو غنة أو ليناً أو شدّة ، و بما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه و تتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز و الاجتماع"[226]. ثم إن هذه الآلية تبدو للوهلة الأولى مهمة لوجودها الكثير و المطرد في القرآن، و لكن الشنقيطي ربما لا يذهب كل المذهب مع هذه الفكرة إلا نادراً، و نراه يتعرض لهذا في موقعين اثنين أدناه، و لكن هذا الأمر، على قلته في خطاب الشنقيطي، يدل دلالة كبيرة على أهمية الإيقاع في التلفظ القرآني و يتضح ذلك في "أن التناسب أو الاتزان في التعبير هو مظهر في بيان القرآن، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السماع أو التلقي، فالأذن ترفض أن تقبل الارتكاز المتتالي أو النبر الشديد في كلمتين متعاقبتين، بل إنها لترفض صيغة النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان أو زمنان ضعيفان وإعادة ذلك بصورة معكوسة أو صيغة نقرة قوية فضعيفة ثم أخرى قوية فرابعة

[224] تمام حسان- البيان في روائع القرآن ج1، عالم الكتب، ط 02، القاهرة، 2000، ص: 175 .

[225] دراسات أدبية- العدول الصوتي و تناسب آي الذكر الحكيم، عبد الخالق رشيد، عدد 02، الجزائر، 2008 .

[226] مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2004، ص: 172 .

ضعيفة تساوي زمن الثانية، وإنما تقبل أو تستريح للتوازن وتلذ به وتنتشي"[227]، و لا بأس في أن نورد المثالين التاليين:

- **التجانس الإيقاعي** : في قوله تعالى ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[الزلزلة:1-5] .

فنلاحظ هنا أن الفواصل مسجوعة بما يشبه القافية، و هو تكرار واضح في القرآن ، أن أصبح سمة من السمات في التركيب القرآني، و الفاصلة "عبارة عن حروف متشاكلة تكون في مقاطع الكلام أو في المواضع التي يفصل فيها الكلام عن بعضه البعض (و قد أطلق عليه أيضا رأس الآية)، لذا عدت قرينة السجعة في النثر و قافية البيت في القصيدة"[228]،و يوضح الشنقيطي هذا بقوله : "في أول سورة الحج كقوله تعالى : {وَحُمِلَتِ الأرض والجبال فَدُكَّتَا دَكَّةً واحِدَةً } [الحاقة : 14] ، وقوله : {إِذَا رُجَّتِ الأرض رَجّاً وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً } [الواقعة : 4-5] ، وقوله : {يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفة تَتْبَعُهَا الرادفة } [النازعات : 6-7]"[229] .

أيضا في قوله تعالى ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**﴾[التكوير:1-6] .

يقول الشنقيطي في سياق الآية : "وهو ما يشير إليها قوله تعالى : {فَإِذَا بَرِقَ البصر وَخَسَفَ القمر وَجُمِعَ الشمس والقمر } [القيامة : 7 - 9]"[230] .

هذا و لا نغفل ما يتيحه لنا المستوى النحوي من سياقات مهمة جداً في بيان بعض العلاقات الدلالية المحورية في التفسير، ذلك أن ملاحظة نظام التركيب من شأنه أن يعطينا الوظائف الخاصة المنجرة من اشتغال كل وحدة وفق علاقتها بما جاورها و بحسب أسس معينة و لعل أهمها:

1-طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.

227 مجلة التراث العربي- عودة إلى موسيقى القرآن، نعيم اليافي، عدد 25 و 26، سوريا، 1986 و 1987 .

228 مبارك حنون – في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص: 246 .

229 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص: 181 .

230 السابق ج9، ص: 29 .

2-مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية و المفعولية و الإضافة الخ.

3-مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها. و ذلك كعلاقة الإسناد و التخصيص .. و النسبة .. و التبعية ..

4-مايقدمه علما الصوتيات و الصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات ..

5-القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق و بقية أفراده[231] .

- **السياق النحوي .**

إن المفعولية معنى من المعاني النحوية الخاصة التي تدخل في باب المنصوبات، و هي "أربعة عشر: المفعول به، و المفعول المطلق، و المفعول له، و المفعول فيه، و المفعول معه، و الحال، و التمييز، و المستثنى، و المنادى، و خبر الفعل الناقص، و خبر أحرف ليس، و اسم إن أو إحدى أخواتها، و اسم لا النافية للجنس، و التابع للمنصوب"[232] و التي تعرف وظيفياً بالمخصصات التي تأتي بعد جمل الإسناد، فهناك آيات لم يذكر فيها المفعول به لمقتضيات معينة و هناك آيات أخرى استخلص منها الشنقيطي ذلك المفعول به الأول، و ذلك مثل ما هو ملاحظ في الآية التالية:

- **المفعول به** : في قوله تعالى ﴿**لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف:2] .

بحسب الشنقيطي " لم يبين هنا المفعول به لقوله : ﴿لتنذر﴾، و لكنه بينه في مواضع أخر ، كقوله : ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم﴾ [يس:6] ، إلى غير ذلك من الآيات ، كما أنه بين المفعول به الثاني للإنذار في آيات أخر ، كقوله : ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾ [الكهف:2]، و قوله : ﴿فأنذرتكم نارا تلظى(14)﴾ [الليل] ، و قوله : ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ [النبأ:40] إلى غير ذلك من الآيات "[233] .

فالمفعول به هنا تجلى في أربعة مناح في (قوماً)، و في (بأساً)، و في (ناراً)، و في (عذاباً)، و البنية العميقة لهذا التشجير السياقي تتمثل في هيمنة ألفاظ القوة، و مما لا شك فيه، أن الابتداء بالقوم باعتبارهم المفعول بهم و التدرج بهم في ألفاظ العذاب لهو أقوى دليل على أن الله نظّم القرآن نظاما

231 تمام حسان- اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 178 .

232 مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية ج3، المكتبة العصرية، ط 39، بيروت، 2001، ص: 05 .

233 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج2، ص: 190.

محكما عبر الآيات، بحيث ما يقع بعد فعل (أنذر) من مفاعيل إلى و يصبُّ في تلك المعاني المتعاضدة، سواء من حيث البنية، أو من حيث الدلالة .

و هناك نمط آخر من المنصوبات لا بأس في النمذجة له أيضا و هو الحال، و الحال "وصف فضلة يذكر لبيان هيئة الاسم الذي يكون له الوصف .. ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقا من الفعل.. أو اسما جامداً فيه معنى المشتق.. ومعنى كون الحال فضلة: أنه ليس مسنداً و لا مسنداً إليه، ولا يعني ذلك أنه يصح الاستغناء عنه.. و للحال اسم تكون له يسمى صاحب الحال، و للحال عامل، و قد تتعدد الحال"[234]، فلنر استعمال الحال في القرآن في النموذج التالي:

- **الحال** : في قوله تعالى ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾[الزمر:28] .

يقول الشنقيطي : "وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : {قُرْآنًا} انْتَصَبَ عَلَى **الْحَالِ** وَهِيَ **حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ**، وَ**الْحَالُ** فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ عَرَبِيًّا ، وَقُرْآنًا تَوْطِئَةٌ لَهَا، وَقِيلَ انْتَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ .

و قَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : عَرَبِيًّا ، أَيْ : لِأَنَّهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ كَمَا قَالَ تَعَالَى : {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل:103] . وَقَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ يُوسُفَ : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف:3] . وَقَالَ فِي أَوَّلِ الزُّخْرُفِ : {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف:3] . وَقَالَ فِي طه {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه:113] وَقَالَ تَعَالَى فِي فُصِّلَتْ : {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ } [فصلت:44] وَقَالَ تَعَالَى فِي الشُّعَرَاءِ : {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)} [الشعراء] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الشُّورَى : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} الْآيَةَ [الشورى:7] . وَقَالَ تَعَالَى فِي الرَّعْدِ : {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} [الرعد:37] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ"[235] .

كل هذه الآيات تؤكد عربية القرآن بواسطة الحال، فلماذا جاء هذا السياق بلفظ الحال ؟

من الممكن أن تناقش المسألة من جهة المصادر أولاً ، فقد"جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري قال القاضي أبو بكر الباقلاني معنى قول عثمان نزل القرآن بلغة قريش أي معظمه و إن لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش فإن ظاهر قوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ أنه نزل بجميع ألسنة

[234] محمد سعيد اسبر و بلال جنيدي- الشامل في علوم اللغة العربية، ص:420 .

[235] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج7، ص: 34 و 35 .

العرب... وقال أبو شامة يحتمل أن يكون قوله نزل بلسان قريش أي ابتداء نزوله ثم أبيح أن يقرأ بلغة غيرهم"[236]، غير أنه قد يقول قائل: " لا أسلم أنه يلزم من ذلك خروج القرآن عن كونه عربيا، فإن قيل: لأنه إذا كان مشتملا على ما ليس بعربي، فما بعضه عربي وبعضه غير عربي، لا يكون كله عربيا"[237]، غير أن الآمدي يجيب بعد ذلك "إن سلمنا بدلالة النصوص على كون القرآن بجملته عربيا، لكن بجهة الحقيقة، أو المجاز، الأول ممنوع، والثاني مسلم، وذلك لأن ما الغالب منه العربية يسمى عربيا"[238] . و ورودها بصيغة الحال لأن الحال أولاً فيه معنى الديمومة في كل الأزمنة، ثم أن الحال يحمل معنى الإخبار و معنى النعت في نفس الوقت، و الحال كذلك تعبير عن الموقف في السياق الخارجي، فيكون أنسب من جهة اشتماله على أغلب العناصر المطلوبة في التواصل.

هذا عن الحال و المفعول به ، أو تجوزا باب المنصوبات، فماذا عن النفي لأن القرآن حافل بما ينبغي فعله و ما لا ينبغي فعله أيضاً ، و لا بأس في أن نورد المثال التالي:

- **النفي** : في قوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ [الزخرف:81]

فيقول الشنقيطي بهذا الخصوص : " وخير ما يفسر به القرآن القرآن فكون المعبر في الآية : وما كان للرحمن ولد بصيغة النفي الصريح مطابق لقوله تعالى في آخر سورة بني إسرائيل { وَقُلِ الحمد لِلَّهِ الذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً } [الإسراء:111] الآية . وقوله تعالى في أول الفرقان { وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ } [الفرقان:2] الآية . وقوله تعالى : { مَا اتخذ الله مِن وَلَدٍ } [المؤمنون:91] الآية . وقوله تعالى : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } [الإخلاص:3] وقوله تعالى { أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ الله وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الصافات:151-152] إلى غير ذلك من الآيات"[239].

فالنفي هنا في الآية أعلاه جاءت على سبيل الافتراض، و هو عند الطبري:"من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له.

وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشكّ، ولكن على وجه الإلطاف من الكلام وحسن الخطاب، كما قال جلّ ثناؤه ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ

[236] محمد طاهر الكردي- تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح، ط 01، جدة، 1946، ص: 35 و 36 .
[237] علي بن محمد الآمدي- الإحكام في أصول الأحكام ج1، مؤسسة النور، ط 02، الرياض، 1402 هـ، ص: 36 .
[238] المرجع نفسه، ص: 39 .
[239] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج7، ص: 176 .

مبين﴾[سبأ:24]"[240]، و الشنقيطي يورد سياقات أخرى تنفي أيضا من أن يكون لله ولد، و هذا يؤكد مرة أخرى وحدانية الله سبحانه و تعالى، فالدلائل التي استشهد بها الشنقيطي موجبة للتصديق من قبل الإنسان، المكلف بعبادة الله و أن لا يشرك به شيئاً . لذلك فالسبيل الأوحد هو التقيد بهذا الاعتقاد (الوحدانية) حتى يحسن إيمان الإنسان بمن خلقه لعبادته وحده لا شريك له .

و هناك ما المصدرية و هي "حرف مصدري يؤول مع ما بعده بمصدر. و هي قسمان:

1-ظرفية زمانية، تكون مع ما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب ظرف زمان، و ذلك إذا كان ما بعدها دالا على زمان، نحو الآية: ﴿و أوصاني بالصلاة و الزكاة مادمت حيا﴾[مريم:31]...

2-مصدرية غير ظرفية، تكون مع ما بعدها في تأويل مصدر يعرب حسب موقعه في الجملة، نحو الآية: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾[البقرة:13]..."[241]، و قد لاحظ الشنقيطي استعمالاتها في القرآن الكريم، و رصد سياقات ورودها في آيات أخرى، و ذلك حتى يتبين له معنى هذا الاستعمال .

- **ما المصدرية** : في قوله تعالى ﴿**لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة**﴾[الكهف:48]

و وردت في آيات أخرى مثل الآيات التالية :

{ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون } [الأنعام:94] ، وقوله تعالى : { كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا } [الأنبياء:104] الآية ، وقوله : { كما بدأكم تعودون } [الأعراف:29] ...

وقوله فيه هذه الآية الكريمة : { كما خلقناكم } « ما » مصدرية ، والمصدر المنسبك منها ومن صلتها نعت لمصدر محذوف على حذف مضاف . وإيضاح تقريره : ولقد جئتمونا كما خلقناكم ، أي مجيئاً مثل مجيء خلقكم[242] .

إن الآليات النحوية قد أخذت الحظ الوافر من باقي الآليات الأخرى، و قد يعود هذا إلى طبيعة استقرائه للنص القرآني، و منهجه الذي يتبع فيه تفسير القرآن بالقرآن، فالمقارنة ما بين السياقات التي وردت فيها قضية معينة في الآيات، مدعاة لحضور التجربة النحوية بمختلف آلياتها، و يعود هذا إلى تضلع الشنقيطي من مشارب العربية بعلومها، و منها النحو على الخصوص، كما يعود إلى النص بحد

[240] محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن ج21، مؤسسة الرسالة، ط 01، بيروت، 2000، ص: 651 .

[241] إميل بديع يعقوب- معجم الإعراب و الإملاء، دار اشريفة، ط02، دمط، دتط، ص: 388 .

[242] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج4، ص: 84 .

ذاته، إذ هو منبع من الإيرادات اللغوية الكثيرة و المتنوعة، و التي يصعب على أي باحث أن يتقصاها في مجملها، و لا ننسى بطبيعة الحال، أن القرآن كان مصدرا للتأصيل النحوي من قبل الأصوليين الأوائل، فالآليات التي استنبطها سيبويه طرف كبير منها يعود إلى النصوص القرآنية، أما الذي ظهر و بان منها فهو الشواهد الشعرية، يقول محمد إبراهيم عبادة : "أما شروح الشواهد القرآنية فقد استقرت في بطون كتب التفسير، و بعض كتب القراءات التي عنيت بالتوجيه الإعرابي، و بيان مذاهب النحويين..و كتب النحو لم تخل من الشواهد القرآنية بقراءاتها مع تفاوت في عرضها"[243]، فمحاولة الشنقيطي في الاستعمالات النحوية، هي امتداد لمحاولات من سبقه في هذا، أمثال الفراء في معاني القرآن، و الزجاج في معاني القرآن و إعرابه، و النحاس في إعراب القرآن، و أبو علي الفارسي في الحجة، و ابن جني في المحتسب، و ابن الأنباري في البيان في غريب القرآن، و العكبري في إملاء ما من به الرحمن في إعراب القرآن .. و ما يميز الشنقيطي عنهم اعتماده المقارنة ما بين المتناسب من الآيات في السياق .

3- السياق البلاغي :

مادام أن الطرح السابق، كان في البنية التركيبية، أي النحوية، فإن الطرح الذي يليه يكون بلاغياً، لاعتبار أن هناك قضايا ينظر النحو إليها، بقيمة التقدير النحوي و قانون الرتبة، مثل التقديم و التأخير، بينما تنظر البلاغة إليها بنظرة الغرضية، مثل غرض الاهتمام، فكان لزاما مراعاة مثل هذا الاعتبار في ترتيب الآليات حتى يأخذ كل مبحث جانبه من الاهتمام و الرؤية، فكما قلنا، فإن مجال اشتغال النحو هو ما ينجر من معاني نحوية مثل الفاعلية و المفعولية و المصدرية و الحالية .. الخ، بينما مجال اشتغال البلاغة في المعنى و كيفياته و بيانه و بديعه .. الخ، لذا فهما مرتبطان من حيث التكامل البنيوي، غير أن الدراسة تفرق ما بينهما تحليلا، " و الذي يقوم بدراسة أنواع الخطاب من المنظور البنيوي يجد نفسه أمام بعض الأشكال اليت تبدو و كأنها أشكال بلاغية مثل التكرار، كما يجد نفسه أمام أشكال أخرى تبدو طبيعية مثل الاستفهام، و هي مع ذلك يمكن اعتبارها في بعض الحالات أشكال بلاغية . و دام من الممكن إدراجها أو إخراجها من نطاق الأشكال البلاغية فإن يثير مشكلة دقيقة، إذ متى يصح هذا أو ذاك ؟"[244]، إذاً البلاغة تؤطر المقولات التي أثارتها حركية التخييل، و هو ما يظهر خاصة في الشعر فـ"لقد تناول النقاد المسلمون مفهوم الصورة الفنية في إطار العناصر البلاغية .. و تناولوا النشاط التخييلي في إطار هذه العناصر أيضا. و من هنا، كان النشاط التخييلي الأساس الذي تقوم عليه الصور

---

[243] محمد إبراهيم عبادة– الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، مكتبة الآداب، درط، مصر، 2002، ص: 1 و 2 .

[244] صلاح فضل– بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1992،ص: 129 .

الفنية"[245] ، و الشنقيطي يسمي المجاز المثبت للحقائق بالأسلوب من الأساليب العربية، و ذلك هروبا من المقارنة المنعقدة ما بين الحقيقة و المجاز، و كأن المجاز هنا و في تقديره عكس الحقيقة، و لكنه عندما يتعرض لشاهد من القرآن مثل : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:4] يقول و هذا أسلوب من أساليب العربية، لذلك فالشنقيطي يرفض المجاز الذي ينافي الحقائق في مجملها، و لكنه مع المجاز الذي يثبت الحقائق .

لذلك فإن أول استعمال بلاغي في مبحث البيان كان لعنصر التشبيه، بحكم أن القصيدة العربية القديمة كانت ترتكز على آلية التشبيه باعتبارها العنصر المهيمن من باقي آليات البيان، و التشبيه "صفة الشيء بما قاربه و شاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم:(خدٌّ كالورد) إنما أرادوا حمرة أوراق الورد و طراوتها .. فوقوع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر"[246]، و يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما : أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأول . و الآخر : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول . فمثال الأول : تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة و الشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه و بالحلقة في وجه آخر ..ومثال الثاني: هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول، كقولك هذه حجة كالشمس في الظهور"[247]. و سنعتمد على بعض نماذج الشنقيطي لتبيين استعمالات التشبيه لديه:

- **استعمال التشبيه** : في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ إلى قوله ﴿**لقوم يتفكرون**﴾ [يونس:24] . و معناه و سياقه في آيات أخرى أن "الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للدنيا بالنبات الناعم المختلط بعضه ببعض ، وعما قليل ييبس ، ويكون حصيداً يابساً كأنه لم يكن قط ، وضرب لها أيضاً المثل المذكور في «الكهف» قوله : { واضرب لَهُم مَّثَلَ الحياة الدنيا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السماء } [الكهف:45] إلى قوله : { وَكَانَ الله على كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً } [الكهف:45]، وأشار لهذا المثل بقوله في « الزمر » : ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي

245 محمد خليفة– النظرية النقدية العربية، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 2005، ص: 94 .
246 أبو علي الحسن بن رشيق– العمدة في محاسن الشعر ج1، دار الطلائع، ط 01، القاهرة، 2006، ص: 237 .
247 عبد القاهر الجرجاني– أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 2003، ص: 69 و 70 .

ذَلِكَ لذكرى لأُولِي الألباب } [الزمر:21] ، وقوله في « الحديد » : { كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكفار نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراه مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا } [الحديد:20] .

التشبيه في الآيات المذكورة عند البلاغيين من التشبيه المركب ، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من أشياء ، وهو كون كل من المشبه والمشبه به يمكث ما شاء الله ، وهو في إقبال و كمال ، ثم عما قليل يضمحل ويزول "[248]

فالتشبيه المركب هو نوع مميز فهو من نوع (ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة)، و هو "بيان ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به. والمعنى الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة، ثم الهلاك، وفيه العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تذكّر"[249]، و المعنى عند ابن كثير أن الله ضرب "مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أبّ وقَضْب وغير ذلك"[250]، ثم هنا مثال آخر:

و في قوله تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50)﴾[المدثر].

يقول الشنقيطي : "فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَشْبِيهُ الْمُعْرِضِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الدَّعْوَةِ وَالتَّذْكِرَةِ بِالْحُمُرِ الْفَارَّةِ مِنَ الصَّيَّادِينَ أَوِ الْأَسَدِ ، وَقَدْ شُبِّهَ أَيْضًا الْعَالِمُ غَيْرُ الْمُنْتَفِعِ بِعِلْمِهِ بِالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ، فَهُمَا تَشْبِيهَانِ بِالدَّاعِي وَالْمَدْعُوِّ إِذَا لَمْ تَنْفَعْهُ الدَّعْوَةُ"[251] .

و المعنى هنا بحس القرطبي:"كأنهم أي كأن هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس: أراد الحمر الوحشية"[252]، و قد حضرت الشنقيطي الآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[الجمعة:5]، و في كلام الشنقيطي ينطبق هذا أيضاً على العالم غير الْمُنْتَفِعِ بعلمه .

فبلاغة التشبيه أوقع في النفس من الكلام الحرفي المباشر، و الشعر الجيد هو العامر بالتشبيه و أساليب البيان، فإنه يقال (أصدق الشعر أكذبه)، لهذا استعمل في المخاطبات التي يراد بها الإبلاغ القوي، و إن قوي التشبيه و زاد في الغلو و التجريد سمي ذلك استعارة ثم كناية، و لا بأس في إيراد نموذج في الاستعارة، و يسميها الشنقيطي كما قد أسلفنا : بالأسلوب من الأساليب العربية، و لم يزد على هذا القول .

---

[248] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج2، ص: 316 .

[249] عبد العزيز عتيق– علم البيان، دار النهضة العربية، درط، بيروت، 1985، ص: 71 و 72 .

[250] أبو الفداء إسماعيل بن كثير– تفسير القرآن العظيم ج4، دار طيبة، ط 02، الرياض، 1999، ص: 260 .

[251] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج8، ص: 298 .

[252] أبو عبد الله محمد القرطبي– الجامع لأحكام القرآن ج19، دار إحياء التراث العربي،ط 02، بيروت، 1985، ص: 88 .

– **الاستعارة** : في قوله تعالى ﴿**كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[الحج:4] . فيقول الشنقيطي بشأنها : "ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى { فاهدوهم إلى صِراط الجحيم } [الصافات : 23] وقوله تعالى { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النار} [القصص : 41] الآية لأن الإمام هو من يقتدى به في هديه وإرشاده .

وإطلاق الهدى في الضلال كما ذكرنا أسلوب عربي معروف وكلام البلاغيين في مثل ذلك، بأن فيه استعارة عنادية ، وتقسيمهم العنادية إلى تهكمية وتمليحية"[253] .

فالاستعارة تعد نمطاً بيانياً و هي " مجاز علاقته التشبيه، أو تشبيه حذف أحد طرفيه: المشبه أو المشبه به، فإذا حذف المشبه به، فهي : مكنية.. و إذا صرح بالمشبه به فهي تصريحية أو تخييلية"[254]، و ما تكلم عنه الشنقيطي و هو وارد في القرآن في تفسيره للآية أعلاه، هو استعارة مكنية فحذف المشبه به و هو الإمام و رمز له بأحد لوازمه و هو الهداية، و أورد آية أخرى بعدها تحمل نفس النوع من الاستعارة، و لكن في الآية الأخيرة { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النار} يظهر لنا أن نوع الاستعارة تبدل، إذ صرح هنا بالمشبه به فكانت إذاً استعارة تصريحية، إذ صار للمعنى وجود من جهتي الاستعارة و تفسير المعنى عند البغوي: "{أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ} اتبعه {فَأَنَّهُ} يعني الشيطان، {يُضِلُّهُ} أي: يضل من تولاه، {وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}"[255]، و قد كان هذا في الاستعارة، فماذا عن الكناية؟

الكناية : في قوله تعالى ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[الحجر:133] . فيقول الشنقيطي في هذا الخصوص : " أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين. وخفض الجناح **كناية** عن لين الجانب والتواضع ، ومنه قول الشاعر :

وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه أجدلا

و بين هذا المعنى في مواضع أخر . كقوله في الشعراء : { واخفض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتبعك مِنَ المؤمنين } [الشعراء:215] ، وكقوله : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فاعف عَنْهُمْ واستغفر لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر } [آل عمران:159] إلى غير ذلك من الآيات"[256] .

[253] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج5، ص: 13 .

[254] محمد سعيد اسبر و بلال جنيدي– الشامل في علوم اللغة العربية، ص: 89 .

[255] أبو محمد الحسين البغوي– معالم التنزيل ج5، دار طيبة، ط 04، الرياض، 1997، ص: 366 .

[256] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 133 .

تعد الكناية باعتبارها آلية من آليات البلاغة "من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول . و ما من شك في أن الكناية أبلغ من الإفصاح و التعريض أوقع في النفس من التصريح ... فالمبالغة التي تولدها الكناية و تضفي بها على المعنى حسناً و بهاءً هي في الإثبات دون المثبت، أو في إعطاء الحقيقة مصحوبة بدليلها، و عرض القضية و في طيها برهانها"[257]، فالمعنى الذي جاءت من أجله الكناية لابد و أنه ذو شأن عظيم، فكيف يخصص هذه الكناية لأمر هو في الحقيقة أمر إلهي لا جدال حوله، و هو إصدار الله أمره أن يستسهل الرسول و يلين في معاملته مع التابعين له، بلفظ: اخفض جناحك، المقصد من هذا أن الله يرعى المؤمنين الذين يتبعون أوامره بهدي رسوله الكريم، و يحثهم بواسطة معاملة الرسول الطيبة لهم، أن يستزيدوا من عمل الخيرات التي ترضي الله و تدخلهم الجنة، و هناك آلية أخرى لها حضور قوي في القرآن الكريم و قد انتبه الشنقيطي لوجودها و هي الالتفات البلاغي، فمن خلال الشنقيطي يمكن أن نلاحظ ذلك في النموذج التالي:

- **الالتفات** : في قوله تعالى ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**﴾[طه:53] .

و قد يتفق البلاغيون في كون الالتفات "لون من ألوان الصياغة يقتضي مخالفة الأصل مخالفة معنوية سواء كانت هذه المخالفة بعد ذكر الأصل ثم الانتقال عنه أو تجاوز الأصل مباشرة إلى غيره. و لكن الالتفات بهذا المفهوم الواسع يصعب على الدارسين حصره و الإلمام بكل مسائله. و خروجاً من هذا حصره الجمهور في تغير أساليب الخطاب الثلاثة فقط بعضها إلى بعض بعد ذكر أحدها ثم الانتقال عنه إلى غيره"[258].

في سياق الانتقال من الغيبة إلى التكلم في موضوع إنبات الأرض بالخير ، ورد الالتفات بنفس الموضوع في آيات أخرى ، يقول الشنقيطي : "ونظيره في القرآن قوله تعالى في « الأنعام » : { وَهُوَ الذي أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً } [الأنعام : 99] الآية ، وقوله في « فاطر » { أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا } [فاطر : 27] ، وقوله في « النمل » : { أَمَّنْ خَلَقَ السماوات والأرض وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السمآء مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ } [النمل : 60] الآية .

[257] عبد العزيز عتيق– علم البيان، ص: 223 .

[258] خديجة محمد أحمد البناني– الالتفات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1413-1414 هـ، ص: 34 .

و هذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النبات يدل على تعظيم شأن إنبات النبات لأنه لو لم ينزل الماء ولم ينبت شيئاً ليهلك الناس جوعاً وعطشاً . فهو يدل على عظمته جل وعلا ، وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا "[259].

فالالتفات ساهم في بيان الآية الكريمة وفق الآيات الأخرى التي لها نفس سياق الالتفات، ذلك لأن تبدل الوجهة في الخطاب على حين غرة يدفع على الانتباه، و السبيل كثيرة التعرجات تترك الماضي فيها يركز عليها، فأمر التفكر في خلق الكون و الإنسان هو أمر يأخذ العقل بالشرود في التفكير، غير أن الالتفات أحياناً يحدّ من هذا الشرود بأن يبقى الإنسان أمام عظمة الله حاضراً بعقله و ضميره الحي نابضاً بحيوية التدبر .

إن القضايا البلاغية في تفسير الشنقيطي كثيرة جدا و لا يسع المجال لإيرادها كلها، فاكتفينا بهذا القدر، فقد أوردنا التشبيه في بعض أنواعه، و أوردنا الاستعارة، و الكناية، و بعض مناحي الالتفات، حتى نبين الدور البلاغي في حيثيات التفسير، غير أن هناك اطرادات و تكرارات لوحدات معينة، فبأي طريقة يمكن أن نحصر تلك السمات؟ من هنا لزاما أن نلج إلى المنهج الأسلوبي، و سمينا الطريقة المتبعة، بالسياق الأسلوبي .

4- **السياق الأسلوبي .**

مما ورد من السياق الأسلوبي مفهوم السمة ، إذ بدت واضحة في تقاسيم التفسير ، و قياسها "يهدف إلى تمييز السمات اللغوية فيه و ذلك بإظهار معدلات تكرارها و نسب هذا التكرار ، و لهذه الطريقة في التحليل أهمية خاصة في تشخيص الاستخدام اللغوي"[260] عند المفسر .

- **السمات الأسلوبية :**

تكلم المفسر عن نسبة ورود بعض السمات ، و التي لها أهمية في قراءة المعنى المنجر عنها، و لا بأس في أن نورد بعضا منها على سبيل التمثيل :

- من الظواهر التي لاحظها المفسر في القرآن ، اقتران الحروف المقطعة بما يدل على الكتاب ، و في الغالب باسم الإشارة .

---

[259] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج4، ص: 297 .

[260] نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب ج1، ص: 105 .

و ذلك في تفسيره للآية الأولى من سورة هود : ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ هود[1] ، و يستجلب هذا النص سياقات قرآنية أخرى كلها على شاكلة المعنى الأول من مثل ما نجد في سورة البقرة ﴿الم﴾[1] ، و أتبع بقوله : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[2] . و في آل عمران ﴿الم﴾[1] ، متبوعا بقوله : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم (2) نزل عليك الكتاب بالحق﴾[2-3] ، و في سورة الأعراف ﴿المص﴾[1] ، ثم يقول : ﴿كتاب أنزل إليك﴾[2] ، و في سورة يونس : ﴿الر﴾ [1] ، يليه قوله : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [1] ، و في سورة يوسف ﴿الر﴾ [1] و قال : ﴿تلك آيات الكتاب المبين (1) إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ [2]، و في سورة الرعد: ﴿الر﴾ ثم يقول : ﴿تلك آيات الكتاب و الذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ [1] ، و في سورة إبراهيم : ﴿الر﴾، يتبع بقوله : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [1] ، و في سورة الحجر : ﴿الر﴾، يقول بعدها : ﴿تلك آيات الكتاب و قرآن مبين﴾ [1] ، و في سورة طه : ﴿طه﴾ [1]، ثم قال : ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ [2]، و في سورة الشعراء : ﴿طسم﴾ [1]، ثم قال : ﴿تلك آيات الكتاب المبين (2) لعلك باخع نفسك﴾ [3]، و في سورة النمل : ﴿طس﴾، متبوعا بـ ﴿تلك آيات القرآن و كتاب مبين﴾ [1]، و في سورة القصص : ﴿طسم﴾ [1]، ﴿تلك آيات الكتاب المبين (2) نتلوا عليك من نبأ موسى و فرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾ [2-3]، و في سورة الروم : ﴿الم﴾ [1] ، يليه قوله : ﴿غلبت الروم (2) في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [2-3] ، و في سورة لقمان: ﴿الم (1) تلك آيات الكتاب الحكيم(2)﴾، و في سورة السجدة : ﴿الم﴾ [1]، يليه : ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [2] ، و في سورة يس : ﴿يس﴾ [1] ، ثم يقول : ﴿و القرآن الحكيم﴾ [2] ، و في سورة ص : ﴿ص﴾، ثم قال : ﴿و القرآن ذي الذكر﴾ [1] ، و قال في سورة غافر : ﴿حم﴾ [1] ، ثم قال : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [2] ، و في سورة فصلت : ﴿حم﴾ [1] ، ثم يقول : ﴿تنزيل من الرحمان الرحيم (2) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ [2-3] ، و في سورة الشورى : ﴿حم (1) عسق (2)﴾ [1-2] ، يليه قوله : ﴿كذلك يوحى إليك و إلى الذين من قبلك﴾ [3] ، و في سورة الزخرف : ﴿حم﴾ [1] ، ثم قال : ﴿و الكتاب المبين﴾ [2] ، و في سورة الدخان : ﴿حم﴾ [1] ، يتبعه بـ : ﴿و الكتاب المبين (2) إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [2-3] ، و في سورة الجاثية : ﴿حم﴾ [1] ، يقول بعدها : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (2) إن في السموات و الأرض لآيات للمؤمنين﴾ [2-3] ، و في سورة

الأحقاف : ﴿حم﴾ [1]، ثم يقول : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (2) و ما خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق﴾ [2-3] ، و في سورة ق : ﴿ق﴾ و يقول بعدها ﴿و القرآن المجيد﴾ [1] .

هذه بإسهاب نسبة الورود التي تعلق فيها ذكر الحروف المقطعة بالكتاب ، و عددها (26) ، و قد اختلف العلماء في بيان معنى هذه الحروف المقطعة ، و لا بأس في تبني مقولة ابن قيم الجوزية فيها، حيث يقول : "تأمل سرا : ألم كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدئ بها أولا ، و هي أول المخارج من أقصى الصدر و اللام من وسط مخارج الحروف، و هي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، و الميم آخر الحروف و مخرجها من الفم ... و كل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق و نهايته و توسطه، فمشتملة على تخليق العالم و غايته و على التوسط بين البداية و النهاية من التشريع والأوامر .

فتأمل ذلك في سورة البقرة و آل عمران و تنزيل السجدة و سورة الروم . و تأمل اقتران الطاء بالسين و الهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها ، و هي الجهر و الشدة و الاستعلاء و الإطباق ، و السين مهموس رخو مستفل صفيري منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين و الهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . و تأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك ق و السورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن و ذكر الخلق و تكرير القول و مراجعته مرارا و القرب من ابن آدم و تلقي الملكين قول العبد و ذكر الرقيب و ذكر السائق و القرين و الإلقاء في جهنم و التقديم بالوعيد و ذكر المتقين و ذكر القلب و القرون و التنقيب في البلاد و ذكر القيل مرتين و تشقق الأرض و إلقاء الرواسي فيها و بسوق النخل و الرزق و ذكر القوم و حقوق الوعيد ...

و سر آخر و هو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة و الجهر و العلو و الانفتاح .

و إذا أردت زيادة إيضاح هذا فتأمل ما اشتملت عليه سورة ص من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه و سلم و قولهم :﴿أجعل الألهة إلها واحدا﴾ [ص:5] إلى آخر كلامهم ، ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصم الملأ الأعلى في العلم و

هو الدرجات و الكفارات ، ثم مخاصمة إبليس و اعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانيا في شأن بنيه و حلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم . فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهذه السورة غير ص و بسورة غير ق غير حرفها . و هذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، و الله أعلم "[261] ، و يقول الشنقيطي فيها : "قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : هِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ... وَقِيلَ : هِيَ أَسْمَاءٌ لِلسُّوَرِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهَا... وَقِيلَ : هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ... وَقِيلَ : هِيَ حُرُوفٌ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ جَلَّ وَعَلَا ... أَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي يَدُلُّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ عَلَى رُجْحَانِهِ فَهُوَ : أَنَّ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ ذُكِرَتْ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا بَيَانًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ بِهَا ، وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَرِّدِ ، وَجَمْعٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ ، وَقُطْرُبٍ ، وَنَصَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ"[262] .

كان هذا في الحروف المقطعة و التي أسالت الكثير من الحبر في تأويل معناها، و لكننا في إيرادها هنا لا نريد أن نخوض في تفسير و تبيين بعض ما يظهر منها من معان، و لكن من أجل أن هذه الحروف تكرر ورودها من الناحية الأسلوبية، و قراءتنا محصورة في قراءة نسبة ورودها فقط، لذلك فإن ما يمكن أن يقال أن هذه الحروف في ورودها الشبه متواتر في طوال السور يحيلنا على معنى عظيم بالنسبة لنا و هو : إن كنا قد فهمنا بعضاً من القرآن فإننا لم نفهم البعض الآخر و هو الأكثر بدليل وقوفنا عاجزين أمام تلك الحروف المقطعة، التي تعتبر آيات، و إن حاولنا التفقه في أمرها كثيراً أو قليلاً . هذا و التكرار ورد أيضاً في جهات متعددة من القرآن الكريم، و لنأخذ مثلاً، دلالة التركيب الإضافي:

– تكرار التركيب الإضافي : في قوله تعالى ﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾[الواقعة:8-9] . و قد ورد مثل هذا التركيب الإضافي في آيات أخرى من مثل : "{ وَأَصْحَابُ اليمين مَآ أَصْحَابُ اليمين فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ } [الواقعة : 27 – 28] الآيات ، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال كما أوضحه تعالى : بقوله { وَأَصْحَابُ الشمال مَآ أَصْحَابُ الشمال فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ } [الواقعة : 41 – 42]"[263].

[261] ابن قيم الجوزية – بدائع الفوائد، المكتبة العصرية ، ط 01 ، لبنان ، 2008، ص: 189 ، 190 .

[262] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج5، ص: 5 و 6 .

[263] السابق ج7، ص: 452 .

و غرض التركيب الإضافي هنا تأكيد الجزاء بشأن كل فريق من الناس، فأكدت الجنة بالنسبة للمؤمنين، و أكدت النار بالنسبة للكفار، و التأكيد هنا يخرج إلى تعظيم ماهو موجود في كل من الجنة أو النار، و لو لم تكن الجنة بالعظمة التي تتصور فقط مما قد أتى ذكره في القرآن الكريم و الآيات في ذلك كثيرة جدا، ما أكد القرآن لفظ أصحابها، و لو لم تكن النار بالعظمة و الهول المذكور في نصوص القرآن، ما أعاد القرآن ذكر أصحابها و لكن الذكر هنا عند أصحاب النار بالوعيد، و عند أصحاب الجنة بالبشرى و إن كان التكرار باعتباره تكراراً في جوهره واحداً .

إن التوجه الأسلوبي في هذا الإطار خدم المعنى كثيرا، ففي تكرار الحروف المقطعة دليل على بيان الإعجاز القرآني، و تكرار التركيب الإضافي و الجملي يهدف إلى التأكيد، و تكرار إيراد المثل لما للمثل من دور في إثبات المعاني في الذهن، و فيما يلي أنواع الأشكال التي جاء فيها القرآن، ممثلة في القراءات القرآنية .

5- سياق القراءات القرآنية :

كان بالإمكان أن ندرج هذا العنصر بالمستوى الصوتي، لوجود علاقة مركزية بينهما، و هي الاختلافات الصوتية ما بين القراءات، و لأن هذا المستوى الصوتي ليس وحده الذي بإمكانه أن يحتوي جانب القراءات القرآنية، فإننا آثرنا أن يقوم عنصر القراءات مستوًى قائما بذاته، مع أننا أجحفنا في حقه، إذ القراءات القرآنية يمكن أن يخصص لها دراسات و دراسات. فالقراءات القرآنية مهمة جدا في كيفية تحديد المعاني بدقة، لأن القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النّبي صلى الله عليه وسلم بقراءة النص القرآني بها قصدًا للتيسير، والتي جاءت وفقًا للهجة من اللهجات العربية القديمة، و قد استعملها الشنقيطي باعتبارها آليات، فماذا يمكن أن نجد في مستوًى كهذا؟

- في قوله تعالى : ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ** ﴾[المائدة:53/52] .

يقول الشنقيطي : "قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا} فِيهِ ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ سَبْعِيَّاتٍ :

الْأُولَى: يَقُولُ بِلَا وَاوٍ مَعَ الرَّفْعِ، وَبِهَا قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ .
الثَّانِيَةُ: وَيَقُولُ بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ مَعَ رَفْعِ الْفِعْلِ أَيْضًا، وَبِهَا قَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ .
الثَّالِثَةُ: بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ، وَنَصْبِ «يَقُولَ» عَطْفًا عَلَى (أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) وَبِهَا قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو"[264] .

القصد هنا أن هذه القراءات الثلاث تعد من القراءات السبع، الأولى يحذف فيها الواو أي نزع العطف الذي يربط الجملة بما يسبقها، فتصبح كل جملة مستقلة ونصا بحد ذاته . أما الثانية التي تثبت واو العطف فترتبط ما بين الجملة السابقة بالجملة اللاحقة بعلاقة المقارنة بين الذين في قلوبهم مرض و بين الذين آمنوا، في مقارنة أحوال كل منهم، و الثالثة عطفها على فعل سبقها و هو (أن يأتي بالفتح) أي الله هو الذي يأتي بالفتح . فحركات الإعراب و الأدوات، باعتبارها محرك القراءات القرآنية، تساهم بشكل فعال في بيان المقاصد من النص برجحان البعض على الآخر، سواء بمعطيات النص أو بمعطيات السياق، لذلك ترجح القراءة الثانية مع صحة القراءات الأخرى . و لنر النموذج التالي:

- و في قوله تعالى : ﴿ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾[الكهف:17] .

يقول الشنقيطي : "فِيهِ ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ سَبْعِيَّاتٍ :
قَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ الشَّامِيُّ «تَزْوَرُّ» بِإِسْكَانِ الزَّايِ وَإِسْقَاطِ الْأَلِفِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، عَلَى وَزْنِ تَحْمَرُّ، وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مِنَ الِازْوِرَارِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ؛ كَقَوْلِ عَنْتَرَةَ الْمُتَقَدِّمِ :
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا .... الْبَيْتَ
وَقَرَأَهُ الْكُوفِيُّونَ وَهُمْ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِالزَّايِ الْمُخَفَّفَةِ بَعْدَهَا أَلِفٌ، وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ فَأَصْلُهُ «تَتَزَاوَرُ» فَحُذِفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ فِي الْخُلَاصَةِ :
وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتُدِي قَدْ يُقْتَصَرْ .. فِيهِ عَلَى تَا كَتَبَيَّنُ الْعِبَرْ

وَقَرَأَهُ نَافِعٌ الْمَدَنِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ الْمَكِّيُّ وَأَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ : «تَزَّاوَرُ» بِتَشْدِيدِ الزَّايِ بَعْدَهَا أَلِفٌ، وَأَصْلُهُ «تَتَزَاوَرُ» أُدْغِمَتْ فِيهِ التَّاءُ فِي الزَّايِ، وَعَلَى هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ (أَعْنِي قِرَاءَةَ حَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ، وَقِرَاءَةَ إِدْغَامِهَا فِي الزَّايِ) فَهُوَ مِنَ التَّزَاوُرِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ أَيْضًا"[265] .

[264] السابق ج2، ص: 77 .
[265] السابق ج4، ص: 29 و 30 .

هذه القراءات الثلاث على بعض التباين في بعض مناحيها لا تختلف كثيراً ، و الاختلاف الظاهر فيها هو اختلاف في بنية كلمة (تزاور) فمن ناحية قُرأت (تَزْوَرّ) و من ناحية أخرى قرأت (تتزاور) مع حذف إحدى التاءين في القراءة فتصبح تزاور ثم قرأت (تّزاور)، و معنى كل منها لا يخرج في مجمله عن معنى الميل، لذلك إن قرأ القرآن بأي منها فالقراءة صحيحة، و نزيد توضيحاً بالنموذج التالي:

و في قوله تعالى : ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[النمل:66] .

فيقول الشنقيطي فيها : " وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ : بَلِ ادَّارَكَ فِيهِ ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ ، اثْنَتَانِ مِنْهَا فَقَطْ سَبْعِيَّتَانِ ، فَقَدْ قَرَأَهُ عَامَّةُ السَّبْعَةِ غَيْرَ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو : بَلِ ادَّارَكَ بِكَسْرِ اللَّامِ مِنْ بَلِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ بَعْدَهَا أَلِفٌ، وَالْأَلِفُ الَّتِي قَبْلَ الدَّالِ هَمْزَةُ وَصْلٍ ، وَأَصْلُهُ : تَدَارَكَ بِوَزْنِ : تَفَاعَلَ، وَقَدْ قَدَّمْنَا وَجْهَ الْإِدْغَامِ ، وَاسْتِجْلَابِ هَمْزَةِ الْوَصْلِ فِي تَفَاعَلَ وَتَفَعَّلَ وَأَمْثِلَةَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ ، وَبَعْضَ شَوَاهِدِهِ الْعَرَبِيَّةِ فِي سُورَةِ «طه» ، فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [الأعراف:117] وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو : بَلْ أَدْرَكَ بِسُكُونِ اللَّامِ مِنْ بَلْ ، وَهَمْزَةِ قَطْعٍ مَفْتُوحَةٍ مَعَ سُكُونِ الدَّالِ عَلَى وَزْنِ : أَفْعَلَ .

وَالْمَعْنَى عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ : بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ ، أَيْ : تَدَارَكَ بِمَعْنَى تَكَامَلَ ؛ كَقَوْلِهِ : حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا [الأعراف:38]

وَعَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو : بَلْ أَدْرَكَ . قَالَ الْبَغَوِيُّ : أَيْ بَلَغَ وَلَحِقَ ، كَمَا يُقَالُ : أَدْرَكَ عِلْمِي إِذَا لَحِقَهُ وَبَلَغَهُ "[266] .

فقد وردت بصيغة (بَلِ ادَّارَكَ) و بصيغة (بَلْ أَدْرَكَ) و هي من القراءات السبعية، فضلها الشنقيطي على ما سواها لعلوقها بتأدية المعنى بصورة أوضح من غيرها من القراءات غير السبعية، و لهذا كان الشنقيطي ضابطاً لمعظم ما ذهب إليه في تفسيره من الناحية اللغوية .

هذا باختصار شديد نموذج الإطار البنيوي، الذي استعمله الشنقيطي في تفسيره أضوء البيان، و الذي مررنا خلاله بمراحل مثل مستوى السياق الإفرادي بأصنافه : السياق الصوتي و السياق الصرفي و السياق المعجمي، و مستوى السياق التركيبي: و الذي تم التطرق فيه إلى السياق الصوتي المركب، و إلى السياق النحوي، و بعد ذلك ولجنا السياق البلاغي في الاستعمالات التي تخص التشبيه، و الاستعارة، و الكناية، و باب الالتفات، ثم إلى السياقات الأسلوبية المختلفة، و من ثم إلى سياق القراءات القرآنية . و حاولنا خلال كل هذا أن نوجز الآليات البنيوية، بيانا لوظائفها من خلال الشواهد المستفيضة التي أعقبناها بها .

---

[266] السابق ج6، ص: 260 .

غير أن هذا التناول لا يكفي لوحده، فقد استعمل الشنقيطي آليات أخرى تدخل في أبواب أخرى، فكان لزاما علينا، أن نضيف فصلا آخر عنوناه بـ : (السياق الدلالي) ، و هو ما سيأتي الحديث عنه في الفصل الموالي .

الفصل الثاني

(آليات السياق الدلالية)

- توطئة
- *آليات السياق الدلالية :*

– سياق الاشتراك

– سياق التضاد

– سياق المعرب

– سياق التقابل الدلالي

– سياق التضمن

– سياق اللزوم أو الاقتضاء

– السياق الإحالي

– سياق الإجمال و التفصيل

– سياق تخصيص العموم

– سياق الترجيح

– سياق التناسب

1- توطئة :

في الحقيقة عندما نتناول السياقات الدلالية ، فإننا لا نقصد أن نتناول ما يسمى بالمجاز المنافي للحقائق على الإطلاق في القول ، مع أن الدراسة تسعى إلى تصنيف ما وجد من كل أنواع الآليات، سواء كانت دلالية أو غيرها ، فالدارس للآليات البلاغية في نماذجها قد يلحظ وجود تلك الآليات في كلام الله سبحانه و تعالى ، و لكن السؤال الذي يطرح نفسه و لا يعنينا جوابه في هذا البحث هو: هل يقصد الله من حيث المعنى و التدليل ذلك المعنى الحرفي الموجود في النص المقدس ؟ أم يقصد غيره من المعاني ؟ و نجد الشنقيطي يقول في كتابه (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز):

" أما بعد : فإننا لما رأينا جل أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن ، و لم ينتبهوا ، لأن هذا المنزل للتعبد و الإعجاز كله حقائق و ليس فيه مجاز ، و أن القول فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال و الجلال ، و أن نفي ما ثبت في كتاب أو سنة لا شك في أنه محال "[267] ، غير أن بحثنا لا يعنيه أن يناقش هذا الأمر من وجود المجاز أو من عدمه في القرآن ، و لكن يهمه في المقام الأول الآليات التي ارتضاها المفسر في بيانه لمعاني القرآن، و يكفي أن نقول أن المجاز الذي يقصده الشنقيطي هو المجاز المنافي للحقائق الواقعية ، و ليس المجاز المقابل لحرفية اللغة، لأن في تفسيره ما يدل على استعماله للمجاز في إطاره البلاغي و اللغوي ، إذا نحن مع المجاز الذي يثبت الحقائق و ليس مع المجاز الذي ينفي الحقائق، و الشنقيطي نفسه لا ينفي، بل يطلق جملة :(و هذا أسلوب من أساليب العربية)، عندما يواجه نوعا من أنواع البيان البلاغي، و نجد أن للسياق الدلالي أنواع كثيرة من الآليات، و لا بأس أن نورد بعض ما رصدته الملاحظة فيما يلي .

2- آليات السياق الدلالية :

قبل الشروع في مسألة الوقوف على الآليات التي استعملها الشنقيطي في بيانه لدلالات القرآن، لابد أن نعرف علم الدلالة باعتباره الرافد المنهجي لهذه المقاربة . فعلم الدلالة " يعرفه بعضهم بأنه (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى)."[268]

[267] محمد الأمين الشنقيطي– ملحق أضواء البيان (كتاب منع جواز المجاز في المنزل للتعبد و الإعجاز)، ص: 185 .

[268] أحمد مختار عمر– علم الدلالة، عالم الكتب، ط 06، القاهرة، 2006، ص: 11 .

و لكن عندما نحاول أن نصنف سياقات القول في ماهو دلالي، فإننا نجد كّما كبيرا من هذه السياقات مندرجة في فحوى الخطاب، ذلك لأن "فهم النص و إنتاجه يعني الإحاطة بالمحتوى الدلالي الذي يستدعي معرفة بالبنية المفهومية و اللسانية لموضوع النص و الوقوف على ماجريات مقامه، و كل ذلك إدراكاً منا لصعوبة اعتبار النص وعاءا للمعنى دون مراعاة للمقاييس و المعايير المقامية و المعرفية المحددة لمحموله الإخباري"[269]، و لذلك لابد من الرجوع إلى التوجيهات القرآنية و التي تعرف بمعالمها المعاني و المقاصد، عن طريق إجراء المفسر جملة من المفاهيم، تساعد في استقصاء المنشود من ثنايا الخطاب، و عن طريق "التعامل أولا مع ما هو واضح، ثم يتدرج نحو الأشكال الثانوية أو الهامشية أو التي لا تظهر طبيعتها و هويتها بوضوح، ثم يبدأ التفكير أولا في الكليات ثم ينتقل بعدها إلى الجزئيات، يبدأ في الأصول ثم في الفروع. و هكذا"[270]، غير أن البحث في الدلالة ليس بالأمر الهين، لأن المعنى منفلت من إمكان التحديد، لا يدرك جوهره إلا عرضا و دليله التعدد لدى المتلقين، ذلك أن مراجعة الكلام تتم "بناء على علاقات متينة بين البنيات اللسانية و البنيات المنطقية الثاوية في الكلام، لأن الكلام ذاته هو الرحم التي تتخلق فيه اللغة وفق كفايات لسانية أوضحتها لسانيات شومسكي من قبل، و طفقت العلوم المعرفية تهتدي إلى القوانين التي تتحكم فيها"[271] . لذلك فهو يطرح صعوبات جمة في استكناه بعضه، في أن "تحديد دلالة اللفظ في النص بالنسبة للقرآن الكريم لا تكفي و لو وضعت إليها العناصر السياقية التي اشتمل عليها ذلك النص، و لهذا يتطلب البحث في ضبط معنى اللفظ في نص ما أن يعرض على نص آخر أو مجموعة من النصوص الدينية أي الكتاب و السنة"[272]، و نحن نرى أن أول من تفطن إلى قضية الحمل على المعنى فيقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وسترى ذلك إن شاء الله تعالى . فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالة. وأشباه هذا كثير"[273] ، فـ"حضور المستوى الدلالي و تداعيه في أي تركيب لغوي لا يرّد و لا يدحض، و لا يمكن لنا أن نستدل بالعربية كلها، و هي غير منتهية في جملها، حتى نثبت ما ندعيه من الأهمية الدلالية التي لا يفسر المستوى النحوي بدونها، حتى لو تعلق الأمر بفارق لهجي بين قبيلتين فإن لكل أداء دواعيه الدلالية"[274]، و الذي يمكن أن يحصل ، هو أن نتفق في حديثنا عن المعنى بطريقة علمية،

---

[269] الأثر مجلة جامعية محكمة– نحو مقاربة في وصف دلالة النص، د.لبوخ بوجملين، عدد 08، جامعة ورقلة، 2009 .

[270] عبد الله العشي– زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة و النشر، درط، الجزائر،2005، ص: 07 .

[271] أحمد يوسف– سيميائيات التواصل و فعالية الحوار، مختبر السيميائيات و تحليل الخطاب، ط 01، وهران، 2004، ص: 58 .

[272] أحمد عرابي– أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2010، ص: 206 .

[273] أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه– الكتاب ج1، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب،درط، مصر، 1975، ص: 24 .

[274] عبد الجليل مرتاض– في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 02، الجزائر، 2007، ص: 128 .

بواسطة المفاهيم و الآليات و من هذا المنحى كانت مقاربتنا تسعى إلى إماطة اللثام، عن ما أراد خطاب التفسير أن يبلغه من آليات .

و بما أن البنيوية أو البنيوية التوليدية (شومسكي) لا تكفي لتحقيق المبتغى المأمول من النص، لذلك "جاء عمل كاتز و فودور ... و كان هدفهما إدماج المكون الدلالي.. و ذلك بقصد تفسير الذات المتكلمة من عملية بث و فهم جمل جديدة ..

و تتكون النظرية الدلالية، عند كاتز و فودور، من قسمين: المعجم و قواعد الإسقاط .

1-المعجم: و وظيفته أن يربط كل وحدة معجمية (عناصر الوصف البنيوي) بمجموعة متناهية من الفروع تناسب دلالات هذه الوحدة،

2-قواعد الإسقاط: و دورها احتساب دلالة (أو دلالات) الجملة (أو الجمل) على أساس الأخبار التي يمدنا بها المعجم و الوصف البنيوي للجمل"[275].

لذلك فإن المحمول المنهجي لهذه المقاربة لا يخرج في بعض أطره عن قواعد كاتز و فودور، و لنبدأ من سياق الاشتراك اللفظي:

- **سياق الاشتراك** :

الاشتراك هو اشتراك اللفظ الواحد، في أكثر من معنى، ف"إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقا تاما فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي تقع فيه"[276] أي هو "اتفاق في اللفظ مشافهة، أو كتابة، أو في كليهما معاً، فيحصل التطابق، وهو أكثر ما ينجم نتيجة الاقتراض من اللغات، أو التطور الصوتي... فكلمة (السُّور) ذات أصل عربي وهي (الحائط) ودخيلة من الفارسية وتدل على (الضيافة) بتقديم الطعام ... فكلمة (جون) التي تطلق في العربية على الأبيض والأسود، أصلها في اللغات الفارسية والعبرية والسريانية على مطلق اللون سواء أكان أبيض أم أسود، فحين نقلت إلى العربية استعملت بمعنى اللون الأبيض وبمعنى اللون الأسود، ومثلها (جلل) التي أخذت من العبرية فصارت إلى عظيم وحقير كما استعملت في

---

275 الميلود عثماني– الشعرية التوليدية، شركة النشر و التوزيع المدارس، ط 01، المغرب، 2000، ص: 75 و 76 .

276 ستيفن أولمان– دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب،مصر، 1975، ص: 60 .

أصلها"[277] . و على هذا الأساس فقد "ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تعالج ظاهرة المشترك اللفظي و هو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى .

أ-فمنه ما اتجه إلى دراسته في القرآن الكريم .

ب-و منه ما اتجه إلى دراسته في الحديث النبوي الشريف .

ج-و منه ما اتجه إلى دراسته في اللغة العربية ككل"[278]

و يعتبر كتاب المبرد (ت285 هـ) المسمى (كتاب ما اتفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد) من بواكير الكتب التي عالجت قضية المشترك اللفظي في القرآن، و لذلك فهو من الآليات الدلالية، التي استنبطها النقاد القدامى و أثارها الغربيون في بحوثهم المعاصرة .

-في قوله تعالى : ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[البقرة:228] .

يقول الشنقيطي : "وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْقُرُوءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، هَلْ هُوَ الْأَطْهَارُ أَوِ الْحَيْضَاتُ ؟ وَسَبَبُ الْخِلَافِ **اشْتِرَاكُ** الْقُرْءِ بَيْنَ الطُّهْرِ وَالْحَيْضِ كَمَا ذَكَرْنَا ... أَمَّا الَّذِينَ قَالُوا الْقُرُوءُ الْحَيْضَاتُ ، فَاحْتَجُّوا بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ} [الطلاق:4] قَالُوا : فَتَرْتِيبُ الْعِدَّةِ بِالْأَشْهُرِ عَلَى عَدَمِ الْحَيْضِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْعِدَّةِ بِالْحَيْضِ ، وَالْأَشْهُرُ بَدَلٌ مِنَ الْحَيْضَاتِ عِنْدَ عَدَمِهَا ، وَاسْتَدَلُّوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ : {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} ... وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا : الْقُرُوءُ الْأَطْهَارُ ، فَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق:1] قَالُوا : عِدَّتُهُنَّ الْمَأْمُورُ بِطَلَاقِهِنَّ لَهَا ، الطُّهْرُ لَا الْحَيْضُ كَمَا هُوَ صَرِيحُ الْآيَةِ ، وَيَزِيدُهُ إِيضَاحًا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ : «فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ» قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ ، بِأَنَّ الطُّهْرَ هُوَ الْعِدَّةُ"[279] .

فالمعنى الذي خرج به الشنقيطي نتيجة مقابلته بين المعاني التي اشتركت في لفظ قروء هو أنها خرجت إلى معنى الطهر و الذي يعني العدة، بدلالة سياق القرآن و الحديث النبوي، و قد اختلف أهل العلم -بحسب البغوي- "في القروء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس و به قال الحسن ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي أ واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمستحاضة (دعي الصلاة أيام أقرائك) وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها. وذهب جماعة إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة

---

277 مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية- الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض . هند عكرمة، عدد1،سوريا،2006 .

278 أحمد مختار عمر- علم الدلالة، ص: 147 .

279 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج1، ص: 132 و 133 .

والزهري و به قال ربيعة ومالك والشافعي ... فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لأنه يحبس الدم ويجمعه"[280]، و كذلك من جهة أخرى فـ"إن في تعدد المعنى بالنسبةللمبنى الصرفي الواحد دليلاً قوياً على جدوى مراعاة السياق و ما يحمله من قرائن لفظية أو معنوية أو حالية للوقوف على الدلالة الدقيقة، فإذا كان الفعل (تسمع) عند إطلاقه يحتمل أن يكون للمخاطب المذكر (أنتَ) و للغائب المؤنث (هي)، فإنه يتحدد و يختص بأحدهما في السياق[281] لذلك فالراجح هو ما ذهب إليه العلماء .

-و في قوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾[التين:8] .

يقول الشنقيطي : "وأحكم الحاكمين قيل أفعل تفضيل من الحكم أي : أعدل الحاكمين ، كما في قوله تعالى : {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف:49] .

وقيل : من الحكمة ، أي : في الصنع والإتقان والخلق ، فيكون اللفظ **مشتركا** ، ولا يبعد أن يكون من المعنيين معا ، وإن كان هو في الحكم أظهر ؛ لأن الحكيم من الحكمة يجمع على الحكماء . فعلى القول بالأمرين : يكون من استعمال المشترك في معنييه معا ، وهو هنا لا تعارض بل هما متلازمان ؛ لأن الحكيم لا بد أن يعدل ، والعادل لا بد أن يكون حكيما يضع الأمور في مواضعها .

وقد بين تعالى هذا المعنى في عدة مواطن كقوله تعالى : {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص:28] ، الجواب : لا ، وكقوله : {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية:21] ، ففي قوله ساء ما يحكمون بيان لعدم عدالتهم في الحكم وبعده عن الحكمة "[282] .

فهنا نلاحظ أيضا أن السياق القرآني فرض الاشتراك في لفظ أحكم، فهي تارة صيغة تفضيل من الحكم، و هي تارة أخرى من الحكمة أي الصنع و الإتقان و الخلق، و الشنقيطي لا يستبعد المعنيين معاً ففهمنا لأي منهما جائز و مشروع .

و نلاحظ كذلك بأن الشنقيطي لم يستمد المشترك في معناه العام، و إنما استمده من لغة الاصطلاح الإلهي، فقد بين لنا المشترك في السياق القرآني، سياقا آخر هو سياق المتشابه، إذ أن بنية اللفظ المفرد في تعدده على المعنى سياقيا، أثر على معنى الآية باعتبارها نصا دالا .

و مراعاة دلالة البنية اللفظية من حيث أبعاد الاشتراك يطرح عديد الانشغالات بشأن القاعدة اللغوية الأولى التي هي الكلمات و دورها في التدليل سياقياً، و هذه الانشغالات مبررة كونها تقيس الأمر بمقياس من الأجدر بحمل المعنى هل هو اللفظ أم العلاقة ؟ لذلك فإن توليد المعنى من النصوص عنصر

---

280 أبو محمد الحسين البغوي- معالم التنزيل ج1، ص: 266 و 267 .

281 سليمان بن علي- التفسير النحوي للقرآن الكريم عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2007-2008، ص: 106 .

282 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص : 146 .

تساهم فيه قيم كثيرة تتعلق بالعلاقات أيضاً، في إثباتها للأطر الصحيحة في سياق اللفظ، و التي ليست تتعلق بالبنية التركيبية فقط و إنما أمرها يتعلق بالبنية الإفرادية و محورها العمودي . فالتفكير على أساس موقعية المشترك اللفظي باعتبار مساهمته في بناء نص متعدد دلالياً يجعلنانسارع إلى إلقاء مزيداً من الضوء على خامات اللغة التي تباشر عملها بمجرد انتظام العلاقات .

فتتولد لدينا نصوص تشارك في بلورة المعاني المقصودة في بنية لفظية واحدة، ذلك أن النص المولد يختلف "النص الظاهر بالإمكانات التعبيرية و قواعد بنائها (الاستراتيجيات التعبيرية) لكل منها، و الأول هو نظرياً لانهائي أما الثاني فهو محدود . إن النص المولد هو سيرورة توليد لانهائية . هو تبديل و تنويع للعناصر الخلافية الموجودة قبل المعنى"[283]، و هناك سياق آخر يتصل بدلالة اللفظ، و هو سياق التضاد فماذا بشأنه؟

- **سياق التضاد :**

التضاد أيضا يعد من آليات الدلالة، و هو إطلاق اللفظ على المعنى و نقيضه، و "لا نعني بالأضداد ما يعنيه علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقا و يتضادان معنى، كالقصير في مقابل الطويل و الجميل في مقابل القبيح، و إنما نعني بها مفهومها القديم و هو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين"[284]، وقد تباينت آراء اللغويين بين مثبت للتضاد ومنكر، وجامع لأسبابه وألفاظه ومفنِّد، و قد بحث النقاد العرب التضاد من أوجه عديدة، من جهة اللفظ و أفاضوا الحديث حوله، و من جهة التضاد في بنية العبارة و أسهبوا في القول فيه، و الشنقيطي يبتعد عن هذا النمط كثيرا، و ما حصلنا عليه هو شاهد واحد، يدرجه الشنقيطي في السياق القرآني .

-في قوله تعالى : ﴿**مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[النحل:28].

يقول الشنقيطي : " لَفْظَةُ : «**بَلَى**» لَا تَأْتِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا لِأَحَدِ مَعْنَيَيْنِ ، لَا ثَالِثَ لَهُمَا :

الْأَوَّلُ : أَنْ تَأْتِيَ **لِإِبْطَالِ نَفْيٍ سَابِقٍ** فِي الْكَلَامِ ، فَهِيَ نَقِيضَةُ «لَا» ؛ لِأَنَّ «لَا» لِنَفْيِ الْإِثْبَاتِ ، وَ «بَلَى» لِنَفْيِ النَّفْيِ ؛ كَقَوْلِهِ هُنَا : { مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ } ، فَهَذَا النَّفْيُ نَفَتْهُ لَفْظَةُ «بَلَى» ، أَيْ : كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ السُّوءَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ، وَكَقَوْلِهِ : {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} [التغابن:7] ، وَكَقَوْلِهِ : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [سبأ:3]...

الثَّانِي : أَنْ تَكُونَ **جَوَابًا لِاسْتِفْهَامٍ** مُقْتَرِنٍ بِنَفْيٍ خَاصَّةً ؛ كَقَوْلِهِ : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف:172] ، وَقَوْلِهِ : { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى}

[283] حسين خمري- نظرية النص، ص: 245 .

[284] أحمد مختار عمر- علم الدلالة، ص: 191 .

[يس:81]، وقوله : {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى} [غافر:50] ، وهذا أيضًا كثير في القرآن وفي كلام العرب"[285] .

فالتضاد عند الشنقيطي، و إن لم يرد كثيراً إلا في مستويات لغوية ضيقة، يساهم في بناء الفهم بصورة منطقية أكثر، لأن الأمور عادة لا تفهم إلا بأضدادها، و أول قاعدة لسانية و سيميولوجية هي قاعدة الاختلاف (أو ما يسمى بالقيم الخلافية)[286]، فمثلاً معرفتنا للضوء الأخضر في إشارات المرور باعتباره دالا على أن المرور مسموح لا يتعين لنا فهمه إلا كونه مختلفاً من حيث اللون عن اللون البرتقالي أو اللون الأحمر، و هكذا في كل الأنظمة التواصلية الأخرى .

لكن الأمر هنا يتصل بلغة التواصل البشري لأن المخالفة فيها مظهر من مظاهر استخدام القيم الخلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة .. و انظر إلى الجملة الآتية:

نحن العربُ نكرم الضيف و نغيث الملهوف .

نحن العربَ نكرم الضيف و نغيث الملهوف .

فالعرب في الجملة الأولى خبر و ما بعده مستأنف و العرب في الجملة الثانية مختص و ما بعده خبر. و لو اتحد المعنى لاتحد المبنى فأصبحت الحركة واحدة و لكن إرادة المخالفة بينهما كانت قرينة معنوية"[287]، ذلك أن "تحليل مبنى الجملة في اللغة العربية يبدأ بالمعنى النحوي الوظيفي فيوضح العلاقة بين مبنى الكلمة، و معناها النحوي، ثم ينتقل التحليل إلى المعنى المعجمي للكلمة في اللغة، و ذلك في إطار نظرية السياق، للوصول إلى المعنى الدلالي، فإذا طرأ تعارض لجأ النحاة إلى الحمل على المعنى"[288] ، فورود (بلى) في الآية القرآنية أعلاه أسهم في نشوء التضاد على السياق اللغوي، فتارة كان المعنى النحوي : إبطال نفي سابق بدليل الآية نفسها و آيات أخرى لها نفس السياق آزرت الجانب الدلالي للآية، و تارة هي جواب لاستفهام بنفي بدليل الآية نفسها أيضاً و آيات أخرى عضدت هذا المعنى المذهوب إليه .

و هناك سياق آخر مهم على مستوى القاعدي للدلالات، و هو جانب يتصل بألفاظ اللغة، بما يسمى في علم الدلالة بالمعرب، فماذا عن هذا الجانب؟

- **سياق المعرب** :

المعرب هو اللفظ العربي كتابة، و الأجنبي صوتا، إذ هو لفظ عُرِّب من اللغة الأجنبية، مثل لفظ تلفزيون، و كابل ..الخ، و هو ما يدخل في باب الاقتراض اللغوي في اللسانيات، و علاقته بالدلالة في

[285] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص : 177 .

[286] تمام حسان– اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 200 .

[287] المرجع نفسه، ص: 200 .

[288] خالد إسماعيل حسان– في المعنى النحوي و المعنى الدلالي، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2009، ص: 126 .

أنه سد فجوة حدثت، جراء وجود شيء لم يوجد في السابق، مثل لفظ جورب، فقد كانت العرب تسم ما دون الحذاء بالخف، يقولون : عاد بخفي حنين، و لما ظهر الجورب من بلاد فارس، و اسمه بالفارسية كورب، استعاره العرب . و هناك الكثير من الألفاظ حالها يشبه ما ذكرنا، و "هناك أنماط مختلفة لميكانيكية الاقتراض اللغوي، و الأنماط الأكثر أهمية هي:

1-اقتباس الكلمة من اللغة المانحة مع تعديلات تتوافق مع الأنظمة الفونولجية و الإملائية و الصرفية للغة المتلقية...

2-الاقتراض بالترجمة أو الـ calque ...

3-التهجين حيث تعيد اللغة المتلقية إنتاج مفهوم معجم للغة المانحة بضم عنصر محلي إلى آخر أجنبي.."[289]، و لكن ما كان قد وجد في القرآن الكريم من صنف هذه الألفاظ له خصائصه يبينها الشنقيطي من خلال سياق القرآن الكريم و يوردها مفصلة، على نحو المثال التالي :

- في قوله تعالى : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[التوبة:81] .

يقول الشنقيطي : "وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : جَهَنَّمُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَالْأَصْلُ كِهِنَّامُ » وَهُوَ بِلِسَانِهِمُ «النَّارُ» ، فَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ وَأَبْدَلُوا الْكَافَ جِيمًا "[290] .

فكلمة جهنم أصلها فارسي و هو جهنام و عربت أي أدخلت في الاستعمال العربي، و قد وردت 72 مرة في القرآن الكريم، و هذه الكلمة وجدت قبل نزول القرآن، مما يدل على أن العرب استعاروا للغتهم أبنية لفظية معينة لحاجتهم للتعبير بها، و يدل أيضاً على أن العرب كانت لديهم قابلية المثاقفة اللغوية رغم ما يوجد لديهم من ذخيرة لغوية كبيرة تسد ذلك النقص، و ما أَصَل لهذه الكلمة أكثر هو القرآن الكريم الذي أورد هذه اللفظة و أورد ما يشاكلها مثل كلمة: النار و السعير و الجحيم..الخ، حتى يتنوع المعنى بحسب مقتضيات الأسيقة المختلفة، هذا و هناك من ينفي وجود ترادف في اللغة مثل أبو هلال العسكري الذي يقول في الفرق بين السعير والجحيم والحريق والنار: "أن السعير هو النار الملتهبة الحراقة أعني أنها تسمى حريقا في حال إحراقها للإحراق يقال في العود نار وفي الحجر نار ولا يقال فيه سعير، والحريق النار الملتهبة شيئا وإهلاكها له، ولهذا يقال وقع الحريق في موضع كذا ولا يقال وقع السعير فلا يقتضي قولك السعير ما يقتضيه الحريق ولهذا يقال فلان مسعر حرب كأنه يشعلها ويلهبها ولا يقال محرق، والجحيم نار على نار وجمر على جمر، و جاحمة شدة تلهبه و جاحم الحرب أشد موضع فيها ويقال لعين الأسد جحمة لشدة توقدها"[291]، إذاً إذا أخذنا بهذا الرأي فإن الدلالة تختلف حتى على مستوى الكلمات المعجمية، و يصبح من غير اليسير أن نشرح بعضها لهذه الضرورة .

---

289 فلوريان كولماس– اللغة و الاقتصاد، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، درط، الكويت، 2000، ص: 332 .

290 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج2، ص : 311 .

291 أبو هلال العسكري– الفروق اللغوية ج1، ص: 278

- **التقابل الدلالي** :

إن الدلالة لا تقع دون إعمال الذهن في مقتضيات الكلام، و في حيثيات السياق، و ذلك حتى تجتمع للمؤول علاقات من شأنها صنع الفهم لديه، و"التأويل التقابلي إجراء قرائي في تمثل المعاني، و إدراك علاقات فيما بينها، بما يسمح بأحسن فهم. و يتم العمل به بين بنيتين نصيتين متماثلتين أو متخالفتين دلاليا، و هو أوسع و أشمل من التضاد و المقابلة و الترادف المعروفة في مجال البلاغة.

من التقابل ما هو ظاهر في البناء اللفظي، و منه المعنوي الذي تبنيه المشاركة التأويلية. و بما أنه من العناصر الظاهرة أو الخفية التي تقوم عليها الظواهر الكونية و النصية، فإن استحضاره و العمل بمستوياته يعد مطلبا ملحا، إذ هو أداة تمكن من إدراك الأشياء اعتمادا على مقابلاتها الشبيهة أو النقيضة أو الموازية أو الخلافية"[292]، و من أهميته يقول فيه الزركشي : "و اعلم أن في تقابل المعاني بابا عظيما يحتاج إلى فضل تأمل"[293]، و لما كان هكذا الأمر، استلزم الأمر أن نحدد الوجهة في مدونة الشنقيطي، بمصطلحين هما: الموافقة و المخالفة، و المقصود بالأول موافقة المعاني أو الألفاظ لمعاني و ألفاظ تشابهها، و تناسبها، و نقول هنا بأن تفسير الشنقيطي ينبني على هذا المقياس في غالبه الأعم، لأنه يفسر القرآن بالقرآن، و المقصود بالثاني مفهوم المخالفة الذي يعرف بدليل الخطاب، فلا تعرف القضية إلا بما يخالفها في الإيراد، و المفهومان يدخلان في إطار عموم المفهوم، من قواعد أصول الفقه، و لا بأس بالأخذ به، و للشنقيطي صولات و جولات في هذا الشأن .

الموافقة :

و هو مقابلة الكلام أو اللفظ لما يدل عليه من معنى ، كدلالة القلم على ما يوضع بين الأصابع ليكتب به ، و يفسر الشنقيطي الآية ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾، بسياق ﴿من الفجر﴾ بأن "العرب تسمي ضوء الصبح خيطا ، و ظلام الليل المختلط به خيطا، و منه قول أبي دؤاد الإيادي :

فلما أضاءت لنا سدفة و لاح من الصبح خيط أنارا

و قول الآخر :

[292] محمد بازي– التأويلية العربية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص: 221 و 222 .

[293] بدر الدين الزركشي– البرهان في علوم القرآن ج3، تح:مصطفى عبدالقادر، دار الفكر،درط،بيروت،1988، ص: 519،

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق و الخيط الأسود جنح الليل مكتوم "294 .

الآية ﴿و حفظناها من كل شيطان رجيم﴾ [الحجر:17] يقول الشنقيطي :" فيكن مدلول هذه الآية بدلالة المطابقة {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ} [الحجر : 17] أي وحرسناها أي السماء من كل عات متمرد .

ولا مفهوم مخالفة لقوله {رَّجِيمٍ} وقوله {مَّارِدٍ} [الصافات : 7] لأن مثل ذلك من الصفات الكاشفة فكل شيطان يوصف بأنه رجيم وبأنه مارد وإن كان بعضهم أقوى تمرداً من بعض وما حرسه الله جل وعلا من كل عات متمرد لا شك أنه لا يصل إليه عات متمرد كائناً من كان {ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك:4]"295 ، و المطابقة جزء من التقابل الدلالي .

-و في قوله : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[الحجر:6] .

يقول الشنقيطي : "قَدْ يُقَالُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : كَيْفَ يُقِرُّونَ بِأَنَّهُ أُنْزِلَ إِلَيْهِ الذِّكْرُ وَيَنْسُبُونَهُ لِلْجُنُونِ مَعَ ذَلِكَ ؟وَالْجَوَابُ أَنَّ قَوْلَهُمْ :(يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) يَعْنُونَ فِي زَعْمِهِ تَهَكُّمًا مِنْهُمْ ، وَيُوَضِّحُ هَذَا الْمَعْنَى وُرُودُ مِثْلِهِ مِنَ الْكُفَّارِ مُتَهَكِّمِينَ بِالرُّسُلِ – عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ– فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى قَالَ : {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} [الشعراء:27]"296 .

يمكن أن نسّم هذا بسياق المطابقة في المعنى أي أن هناك معنى يوافق معنى آخر موافقة كبيرة، فالمعنى الأول للآية الأولى : أن الكفار يتهمون النبي محمد بأنه مجنون، يماثل تقريباً المعنى الثاني الآية الثانية و التي معناها: أن الكفار يخاطبون المؤمنين بأن رسولهم الذي أرسل إليهم لمجنون.

أين الاختلاف ؟ الاختلاف يظهر فقط في كون أن الخطاب في مرحلته الأولى موجه إلى الرسول محمد مباشرة، في حين أن الخطاب في الآية الثانية موجه للذين يتبعون محمداً .

فالمعنى الكلي المستنتج : أن الكفار حاولوا بناء إستراتيجية نفسية في بادئ الأمر بأن يزعزعوا إيمان محمد محاولين دفعه للانهيار النفسي و الجنون، و لكنهم يأسوا من ذلك بعد أن صدّهم محمد بإيمانه القوي المعزز من لدن الله عز و جل و وقوفه المستمر في وجوههم . لذلك اتجهوا صوب من اتبعه من المؤمنين كي يزرعوا الفتنة و البلبلة بمحاولة اتهام النبي الأكرم، الذين هم يتبعونه باعتباره قدوتهم العظيمة، بالجنون . و لكن هيهات فإن كل المحاولات باءت بالفشل .

294 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج1، ص: 114 .
295 المرجع نفسه ج3، ص : 91 .
296 المرجع نفسه ج3، ص : 80 .

-و في قوله تعالى أيضا : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:110] . يقول الشنقيطي فيها : "وَهَذَا الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ بَشَرٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ جَاءَ مِثْلُهُ عَنِ الرُّسُلِ غَيْرِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الْآيَةَ [إبراهيم :11] ، فَكَوْنُ الرُّسُلِ مِثْلَ الْبَشَرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَصْلَ الْجَمِيعِ وَعُنْصُرَهُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنَّهُمْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ جَمِيعُ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ لَا يُنَافِي تَفْضِيلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ بِمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَاصْطِفَائِهِ وَتَفْضِيلِهِ كَمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ"297 .

فكلمة بشر معناها من حيث اللغة: بشين معجمة محركة في الأصل: الإنسان لظهور بشرته وهي ظاهر الجلد من الشعر، بخلاف سائر الحيوانات لأنها مستترة الجلد بالشعر والصوف والوبر.

وسمي به صلى الله عليه وسلم لأنه أعظم البشر وأجلهم كما سمي بالناس من تسمية الخاص باسم العام قال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم) نبه تعالى بذلك على أن الناس متساوون في البشرية غير متفاضلين في الإنسانية، وإنما يتفاضلون بما يتخصصون به من المعارف الجليلة، ولذا قال بعده (يوحى إلي) تنبيها على الجهة التي حصل بها الفضل عليهم، أي أني تميزت عليكم وخصصت من بينكم بالوحي والرسالة"298، لذلك ينبغي أن يكون المبعوث إلى البشر من البشر أنفسهم "فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك و مخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته، وقال تعالى (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه و فواه على مقاومته كالأنبياء والرسل"299
.

لذلك جاءت أغلب الآيات متوافقة في معنى أن الرسول ماهو إلا بشر مثل جميع البشر، و الدليل ما أورده الشنقيطي من الآيات القرآنية التي تساند و تعضد هذه الفكرة بصورة جلية .

-و في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الفرقان:6] .

يقول الشنقيطي :" قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ ، انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وَمَا ذَكَرَهُ وَاضِحٌ .

---

297 السابق ج4، ص : 142 .

298 محمد بن يوسف الصالحي الشامي– سبل الهدى و الرشاد ج1، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1993، ص: 440 .

299 أبو الفضل عياض اليحصبي– الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج2، دار الفكر، درط، بيروت، 1988، ص: 95 .

وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال:38] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} الْآيَةَ [طه:82] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ"[300] .

و نفس ما قد قلناه قبل قليل ينسحب أيضاً على ما سنقوله في كون الله غفور رحيم، لأن القرآن لا يعارض بعضه بعضاً، إنما جاء باعتباره بنية دلالية منتظمة، يقوم بعضه ببعض، كما ينوب الجزء منه عن الكل، و الكل عن الجزء .

و هذا الانتظام العجيب لا يضاهيه أي نظام آخر، فلفظ العموم في الآية الأولى يبدأ في التمفصل في الآية الثانية و في الآية الثالثة، إذ أن هنا نوعا من الاشتراط جاء بصيغة الجملة الشرطية في الآية الثانية على نحو: المغفرة كائنة و حاصلة في حال الانتهاء من الكفر مستقبلاً ، هذا أولاً و ثانياً في الآية الثالثة : جاء التأكيد مزدوجاً في الأدوات (إن،ل)، و أعيد التأكيد بالصيغة الصرفية، و الجملة لم تكن في الاستقبال و إنما في المضي و كأن المغفرة قد حصلت فعلا .

و لكن في الجملة الثانية الاشتراط حاصل بالانتهاء، و لكن في الجملة على ما فيها من الاشتراط و لكن للتأكيد فيها ظروف و شروط يمكن أن نحصرها بين قوسين (لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)، فالأمر هنا مشروط بالتوبة أولاً ، و الإيمان ثانياً ، و العمل الصالح ثالثاً .

هذا في الاتفاق، و هو كثير جدا، و يرجع هذا إلى طبيعة تفسير الشنقيطي بالذات، لأنه تفسير يبحث في السياقات المتشاكلة، و لكن ماذا عن التقابل المخالف ؟

المخالفة :

مفهوم المخالفة المقصود به إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت عنه، أي هو الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم المذكور في المنطوق عما عداه. وسمي مفهوم مخالفة، لأن الحكم الذي يثبت للمسكوت نقيض للحكم المنطوق به مختلف عنه، و "أما مفهوم المخالفة فهو على أقسام:

منها: مفهوم الصفة وهو أن يقترن بعام صفة حاضرا كقوله صلى الله عليه وسلم: (في الغنم في سائمتها الزكاة) .. ومنها: مفهوم الشرط نحو {وإِنْ كُنَّ أُولات حَمْلٍ} [الطلاق: 6] وهو أقوى من الصفة .. منها: مفهوم الغاية نحو قوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ} [البقرة: 230] أقوى من الشرط .. ومنها: مفهوم العد الخاص كثمانين جلدة .. ومنها: مفهوم اللقب وهو تخصيص اسم بحكم .. ومنها: أن لا يكون خرج مخرج الغالب .. ومنها: أن لا يخرج جوابا لسؤال"[301]، و لذلك فهو يدخل في إطار البيان و الدلالة، و على هذا الأساس، ارتكز عليه المناط لبحث المعاني من

[300] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج6، ص : 177 .

[301] ابن اللحام علاء الدين البعلي– القواعد والفوائد الأصولية، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 1999، ص: 367 إلى 373 .

الآيات، عن طريق الاستدلال بما هو مخالف في التوجيهات القرآنية المختلفة، و بما أن علماء الأصول قد استخرجوه من خلال استقرائهم للنصوص الدينية فهو مناسب، ليأخذ دوره في نصوص التفسير، و على الاتفاق في نصوص أخرى على سبيل التوسيع .

– في قوله أيضا : ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[الأعراف:13] .

فيقول الشنقيطي في شأنها : "وَيُفْهَمُ مِنْ مَفْهُومِ **الْمُخَالَفَةِ** فِي الْآيَةِ : أَنَّ الْمُتَوَاضِعَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا يَرْفَعُهُ اللَّهُ .

وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى إِلَى مَكَانَةِ الْمُتَوَاضِعِينَ لَهُ عِنْدَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان:63] ، وَقَوْلِهِ : {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص:83] وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»"[302] .

فمفهوم المخالفة دلّ، بالتأويل استناداً على نصوص قرآنية مغايرة للنص أعلاه، على أن المتواضع يرفعه الله درجات، إذاً ، هل المعنى المستنتج موجود في ظاهر الآية أم غير موجود؟ في الحقيقة هذا المعنى غير موجود في البنية اللغوية الظاهرة للعيان، و لكن من حيث المنطق السيميائي يمكن أن نستنتج هكذا معنى بوجود العلاقات، و قد ربط الشنقيطي معنى الآية بالمعاني التي تخالفها من حيث القضية الدلالية، و أوعز لنا بما هو مقصود و راجح من القضيتين، لأن هناك خاصية مهمة جدا "للعلامات اللغوية نابعة من خاصيتها السيمانطيقية، و هي قدرتها على التحول على مستوى المدلول لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يعرف بالتحول الدلالي في أنماط المجاز المختلفة. و هذا التحول الدلالي لا يحدث في العلامة اللغوية في حال إفرادها، و لكنه يتحقق من خلال التركيب الذي يكسب العلامة دلالة لا تكون لها في حالة إفرادها. و هذا التحول الدلالي أيضاً هو الذي ينقل النص اللغوي من وظيفة الإنباء الاجتماعية و يجعله يحقق وظائف أخرى"[303] ، فهذا التطرق المحوري، لبيان معنى الآية بغير ظاهرها، من قبل الشنقيطي يعد بحد ذاته محاولة سيميائية ناجحة أفردت تناولاً يتسم بالجدية في قراءة النص و إخراج معانيه .

- **سياق التضمن :**

[302] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج2، ص : 195 .

[303] نصر حامد أبو زيد– إشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 08، المغرب، 2008، ص:86 و 87 .

بإمكاننا أن نورد أقدم تعريف للتضمين، و ذلك عند ابن هشام و هو: "قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، و يسمى ذلك تضمينا"[304]، و لكن أدق تعريف هو ما أورده الأستاذ الزعبلاوي و هو: "هو إشراب لفظ معنى آخر و إعطاؤه حكمه، فإذا كان اللفظ فعلاً، تصرف في اللزوم و التعدي تصرف الفعل الذي أشرب معناه، فيكون الفعل لازماً، فيتعدى بالتضمين، أو يكون متعديا فيلزم، أو يستمر لازما، فيعدل به عن حرفه إلى حرف آخر"[305]، و هو من الآليات الدلالية التي يمكن عدها من الدلالات الوضعية اللفظية، و الدلالة الوضعية اللفظية تنقسم إلى دلالة مطابقة، و دلالة تضّمن، و دلالة التزام، أما الدلالة العقلية و الطبيعية فهي من اهتمامات علم المنطق و السيميائيات، و التضمن آلية مهمة لاستقصاء كنه العبارة، و به يحصل الفهم، لأن المعاني يندرج بعضها في بعض، كتضمن الحيوان في الإنسان، و كتضمن الصفحات في الكتاب..الخ، فالتضمن بخاصية الاندراج فيه يتصف بالعلمية، لأن من فاعلية العلم الاندراج و الاحتواء و المقارنة، و مادام الأمر هكذا ، فإن الخوض فيه يعد أمرا مشروعاً ، بشرط الاتفاق ما بين الإجراء و المجرى عليه، و الشنقيطي يستعمله في تفسيره .

- في قوله تعالى : ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾[العاديات:8].

يقول الشنقيطي : "وَفِي مَعْنَى هَذَا وَجْهَانِ : الْأَوَّلُ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ أَيْ بِسَبَبِ حُبِّهِ الْخَيْرَ لَشَدِيدٌ بَخِيلٌ ، شَدِيدُ الْبُخْلِ .

كَمَا قِيلَ :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

أَيْ : شَدِيدُ الْبُخْلِ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ حُبِّ الْمَالِ .قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ .

وَقَالَ : كِلَاهُمَا صَحِيحٌ ،وَالْوَاقِعُ أَنَّ الثَّانِي يَتَضَمَّنُ الْأَوَّلَ .

وَيَشْهَدُ لِلْوَجْهِ الثَّانِي ، قَوْلُهُ تَعَالَى :وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا .

وَقُلْنَا : إِنَّ الثَّانِيَ يَتَضَمَّنُ الْأَوَّلَ ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا سَيَحْمِلُهُ حُبُّهُ عَلَى الْبُخْلِ"[306].

أي أنه مادام محبا للمال بشدة فبالضرورة يمكن أن يكون بخيلاً ، لأن من علامات البخيل حبه للمال و هذا وجه معروف، لذلك ضّمن الشنقيطي البخل في محبة المال الشديدة، للاعتبار المذكور، و بدليل الآية التي أرفقها في سياق حب المال الشديد، و يعد هذا تضمينا متفرعا يفهم من الكفاية اللغوية لدى القارئ، هذا الذي "يستمد شرعيته الإبلاغية من الدعم المعجمي التراكمي و حركيته التوليدية التي تسمح بإنتاج عدد لا حصر له من البنى الدلالية . إذ إن القيمة الدلالية للمداخل المعجمية، بوصفها

[304] جمال الدين ابن هشام الأنصاري- مغني اللبيب، دار الفكر، ط 05، بيروت، 1979، ص: 897 .

[305] صلاح الدين الزعبلاوي- مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للنشر و التوزيع، ط 01، دمشق، 1984، ص: 191 .

[306] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص : 189 .

وحدات البناء التأسيسي للخطاب، تأخذ مسارها الإبلاغي وفق النمط التأليفي الذي يستمد أصوله من النظام القواعدي للسان ما"[307]، فمن السديد الإشارة إلى قيمة هذا النمط الانتقالي من معنى ظاهر إلى معنى آخر غير ظاهر، على شيوعه في البلاغات العربية، لإماطة اللثام عن أصالة التأسيسات العربية في مقابل المحاولات التنظيرية الغربية .

لذلك فإن الكلام إنما ينبغي أن يكون على مقتضى الحال المناسب لمواقف الكلام، حتى يحصل منه المراد الذي يريده السامع، ذلك أن "الخطيب لا يكون بليغاً محققاً للغاية الفنية إلا إذا تفنن في أسلوبه، مراعياً أحوال المخاطبين يوجز طلباً للتخفيف، و يطنب عند إرادة الفهم، و يكني إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، و يصرح و يكشف معانيه إذا استدعى المقام التصريح و التوضيح"[308]،ذلك لأن المعنى يُنتج "ليُتَلقّى و يتشكل من جديد في أفهام مختلفة، بناء على وسيط نصي، و هو عبارة عن مادة مؤلفة بعناية، و اختيارات موجهة من طرف العاني . و يظل هذا النسيج، عبر آلياته التدليلية المتباينة المرجع المشترك إنتاجاً و تلقياً، إنه المنطلق المتجدد نحو إعادة بناء المعنى و تجليته و صقله ثانية"[309] ، و هناك مثال آخر يوضح التضمين .

-أيضا في قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(6)وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾[الماعون:7/6]. يقول الشنقيطي: "وَقَدْ امْتَدَحَ الشَّاعِرُ الْقَوْمَ بِعَدَمِ مَنْعِهِمُ الْمَاعُونَ بِقَوْلِهِ :

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ...مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ حَمَلَ الْمَاعُونَ هُنَا عَلَى الزَّكَاةِ ، وَلَكِنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ :قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، **يَتَضَمَّنُ** إِخْرَاجَهُمُ الزَّكَاةَ ضِمْنَ إِسْلَامِهِمْ فَيَكُونُ الْبَاقِي امْتِدَادَ حَالِهِمْ فِي خُصُوصِ الْمَاعُونِ"[310] .

فقد حمل الشنقيطي الماعون على معنى الزكاة تضميناً، و ذلك إن حال المانع في الإسلام، أما إذا كان في حال غير حال الإسلام فالحمل على المعنى يكون على صورته اللفظية الحرفية "و الغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين، و ذلك أقوى من إعطاء معنى"[311] على حد ما يقول الزمخشري و الكلام للسيوطي .

هكذا نلاحظ أن خطاب تفسير الشنقيطي قد حفل بأنماط من قبيل دلالة التضمن، غير أن التضمن هنا ليس على العموم، و لكن هو تضمن خاص في السياق القرآني، حتى خرج التضمن من اللفظ المفرد إلى السياق النصي الجملي، مثل إيراده للشاهد، من أن من أحب المال تضمن ذلك حبه للبخل، و هكذا .

---

[307] أحمد حساني– المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1993، ص: 124 .

[308] محمد رمضان الجربي– ابن قتيبة و مقاييسه البلاغية و الأدبية و النقدية، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2010، ص: 102 .

[309] محمد بازي– التأويلية العربية، ص: 137 .

[310] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص : 230 .

[311] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي– الأشباه و النظائر في النحو ج1، دائرة المعارف العثمانية، ط 02، حيدر آباد، 1360 هـ، ص: 101 .

- **سياق اللزوم أو الاقتضاء :**

الاقتضاء أو الاستلزام يعد أيضا من الدلالات اللفظية الوضعية، و هو دلالة اللفظ على معنى خارج يتوقف عليه صدقه أو صحته عقلا أو شرعا أو لغة، فهناك من يعتبر الاقتضاء و الاستلزام بمعنى واحد، و هناك من يفرق بينهما سياقيا، يقول أبو البقاء الكفوي في الكليات : " الاقتضاء : هو أضعف من الإيجاب ، لأن الحكم إذا كان ثابتا بالاقتضاء لا يقال يوجب ، بل يقال يقتضي والإيجاب يستعمل فيما إذا كان الحكم ثابتا بالعبارة أو بالإشارة أو بالدلالة فيقال : النصر يوجب ذلك ؛ وأما الاستلزام فهو عبارة عن امتناع الانفكاك فيمتنع فيه وجود الملزوم بدون اللازم ، بخلاف الاقتضاء ، فإنه يمكن وجود المقتضى بدون مقتضاه"[312]، غير أن الاستعمالات العادية لا توجب الفرق، و لا مشاحة في الاصطلاح كما يقال، مع أن الدقة مطلوبة في غالب الأحيان، "و يمكن أن يعرف كما سيأتي: س1 يستلزم س2 إذا كان في كل المواقف الممكنة التي يصدق فيها س1 يصدق كذلك س2. و على سبيل المثال: إذا قلنا: قام محمد من فراشه الساعة العاشرة فإن هذا يستلزم: كان محمد في فراشه قبل العاشرة مباشرة"[313]، و لابأس في إيراد بعض النماذج الآتية:

- في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال:2] .

يقول الشنقيطي : " فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ التَّصْرِيحُ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ ، وَقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ : {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة:124] ، وَقَوْلِهِ : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} الْآيَةَ [الفتح:4] ، وَقَوْلِهِ : {وَيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} الْآيَةَ [المدثر:31] ، وَقَوْلِهِ : {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} الْآيَةَ [محمد:17] .

وَتَدُلُّ هَذِهِ الْآيَاتُ **بِدَلَالَةِ الِالْتِزَامِ** عَلَى أَنَّهُ يَنْقُصُ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يَزِيدُ يَنْقُصُ ، وَجَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ الصَّحِيحَةِ كَقَوْلِهِ : «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ» ، وَنَحْوُ ذَلِكَ"[314] .

يعد الاقتضاء عنصر مهم جدا للالمام بحيثيات الخطاب المتداخلة، و قد فهمنا مما أورده الشنقيطي بحسب فهمه للآية القرآنية، بأن الإيمان قد ينقص أيضاً مستشهداً بالحديث النبوي في ذلك، وقد تم هذا الفهم بدلالة الالتزام، و الفقهاء يقولون في "الاقتضاء: من اقتضى الاستلزام Requirement

---

[312] أبو البقاء الكفوي– الكليات، ص: 159 .

[313] أحمد مختار عمر– علم الدلالة، ص: 221 .

[314] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج2، ص : 229 .

الاقتضاء النص: أمر لا يمكن العمل بالنص إلا بشرط تقدمه عليه"[315]، و بالتالي فإن الاقتضاء يشكل لوناً له أهميته في الطروحات النقدية سواء منها الطروحات القديمة، أو المقاربات الجديدة في صلتها بالنقد المعاصر الذي استجاب لحاجة التفاعل مع غيره من المناهج الأخرى غير العربية، و تكمن الأهمية القصوى في اعتباره إجراءً و جسراً ينقل اللغة من معنى معين إلى معنى آخر مغاير تماماً للظاهر، لذلك فإهماله عن طريق الدراسة النقدية لا يجوز و إلا كانت الدراسة منقوصة من هذا العنصر المهم في المدونة .

و لنلاحظ هذا أيضاً في المثال الآتي:

-و في قوله : ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[النصر:2] .

يقول الشنقيطي فيها : "وَقَدْ يُؤْخَذُ بِدَلَالَةِ الْإِيمَاءِ : الْوَعْدُ بِفُتُوحَاتٍ شَامِلَةٍ لِمَنَاطِقَ شَاسِعَةٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج:27] ؛ لِأَنَّ الْإِتْيَانَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَدُلُّ عَلَى الْإِتْيَانِ إِلَى الْحَجِّ مِنْ بَعِيدٍ وَالْإِتْيَانُ إِلَى الْحَجِّ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَبِالتَّالِي يَدُلُّ عَلَى مَجِيءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَهُوَ مَحَلُّ الِاسْتِدْلَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ"[316] .

فالإيماء يعد نوعاً من أنواع الاقتضاء، غير أنه أبلغ في الدلالة بما يسمح لنا باستذكار البعد السيميائي الذي يماثل ما ذهب إليه الشنقيطي في حديثه عن هذه الآية الكريمة، و لكن هذا المذهب مضبوط بالقرائن التي تؤكد وجهة التناول من حيث صدقيتها، لأن الأعراف و الإلف في اجتماع تواصلي معين قد تحدث ارتقاءات في خصائص التواصل، ذلك "أنَّ عادة المتكلم في الخطاب، واطراد كلامه، وإلف المخاطب لسماعه منه تقتضي عدم إرادة غير الظاهر، لاسيما والمتكلم متصف بالبيان، وإرادة النصح والإرشاد، وقد تواترت النصوص في الدلالة على معنى معين كالعلو مثلا، ثم أردفت بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين، ثم يزعم دعاة التأويل أن الظاهر غير مراد، متأولين ظاهر النص على معنى ليس هو مدلوله، ولا يشهد له السياق"[317].

كان هذا في الدلالات اللغوية الوضعية، و قد استعمل الشنقيطي أطرافا من أنواعها، مثل الاقتضاء و التضمن و لأنه يستعمل في الغالب الأعم المطابقة –في بحثه عن تناسب الآي و السور

---

[315] محمد قلعجي– معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط 02، بيروت، 1988، ص: 82 و 83 .

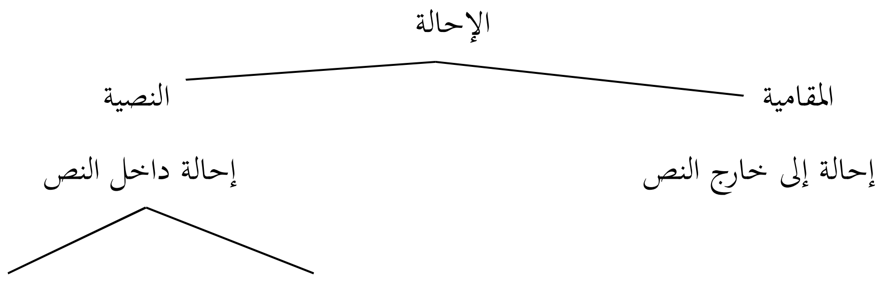
[316] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص : 244 .

[317] سعد بن مقبل العنزي– دلالة السياق عند الأصوليين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1427-1428، ص: 392 .

و تماثلها سياقيا- لم نتعرض إليها كثيرا، حيث كان دورها كبيرا جدا في تقريب المعاني للمفسر أولا، و القارئ العادي ثانيا، و مادام قد تعرض لهذا المقام، فلابد أنه تناول السياقات الإحالية، فماذا عنها ؟

- **السياق الإحالي** :

السياق الإحالي أو هي (بيان الحال المصاحب للتركيب) عند النحاة، أو هي (إحالة تذكرة أو إحالة محاكاة أو مفاضلة أو إضراب أو إضافة حينما يتصل الأمر بالتواريخ و القصص) عند البلاغيين، و يعتبرها البعض بمثابة الإفراط في المبالغة، آخذين في اعتبارهم معناها اللغوي : (حال يحول أي زال يزول) . و لكن ما نقصده هنا الإحالة بمعناها الاصطلاحي في البحوث الدلالية أو النصية، و التي هي من (أحال الكلام أي أرجعه في اللغة)، و هذا المعنى يتفق إذا كانت الإحالة لها أبعاد متعددة مع الإحالة القبلية أو ما يسمى في الدرس السياقي (سباق)، و مع الإحالة البعدية (سباق)، و للعلم فإن هذا له أبلغ الأثر في بيان اللاحق بالسابق، و بيان السابق باللاحق، فـ"المرجع الإحالي في الخطاب اللغوي لا يتبدى –في الحقيقة- إلا عبر نواة مركزية بها يتمظهر شكله، و يبنى تركيبه إلا أنه عبر تلك النواة أو جملة أنوية متعددة تتشكل مراجع إحالية أخرى، بها يخرج الخطاب إلى رسم حقول دلالية متباينة"[318]، و الإحالة من منظور اللسانيات النصية لها أبعاد أخرى مهمة، بحيث أن تلك العناصر المحيلة مثل الأدوات (الضمائر و أسماء الإشارة و أدوات المقارنة، "وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية و الإحالة النصية. و تتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية، و إحالة بعدية ...



[318] عبد الجليل منقور – النص و التأويل، ديون المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 2010، ص: 161 .

(إلى لاحق) (إلى سابق)

بعدية قبلية

كقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، و إذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق، أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة. و الاستعمال وحده هو الذي يحدد نوع إحالتها"[319]، و هذا مما هو موجود بكثرة في تفسير الشنقيطي، فهو يفسر الآيات من سياق الآيات السابقة أو اللاحقة .

إحالة قبلية (سباق) :

و هو "اصطلاحا :هو الكلام الذي يبين معنى ما بعده. و هذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

عن يسيع الحضرمي[320] –رحمه الله– قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فقال رجل: (يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله :﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[النساء:141]، و هم يقاتلوننا فيظهرون و يقتلون.) قال له علي: ادنه، ادنه، ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[النساء:141] يوم القيامة، فبين علي أن محل إشكال السائل محدد باليوم الآخر بدلالة السباق"[321]، هذا المثال على بساطته يوحي بدرجة الفهم الممتاز عند علي بن أبي طالب، الذي نبه الرجل إلى ضرورة أخذ الحسبان مما قد ورد قبل الجملة القرآنية فهو لم يذكر الآية كاملة، و لو ذكرها كاملة لتنبه إلى أن المعنى إنما يتصل بيوم القيامة .

و النموذج التالي يوضح ذلك عند الشنقيطي:

-في قوله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا**﴾[الإسراء:28] .

يقول الشنقيطي : " الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : عَنْهُمُ [الإسراء:28] ، رَاجِعٌ إِلَى الْمَذْكُورِينَ **قَبْلَهُ** فِي قَوْلِهِ : {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ الْآيَةَ} [الإسراء:26] . وَمَعْنَى الْآيَةِ : إِنْ تُعْرِضْ عَنْ

[319] محمد خطابي– لسانيات النص، ص: 17 .

[320] هو يسيع بن معدان الحضرمي، وثقه النسائي، وقال ابن المديني :معروف، وذكره ابن حبان في الثقات(الثقات558/5 و تهذيب التهذيب 438/4).

[321] تهاني بنت سالم بن أحمد– أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2007، ص: 71 و 72 .

هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فَلَمْ تُعْطِهِمْ شَيْئًا لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ ، وَإِعْرَاضُكَ الْمَذْكُورُ { ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا } [الإسراء:28] ، أَيْ رِزْقٍ حَلَالٍ ؛ كَالْفَيْءِ يَرْزُقُكَهُ اللَّهُ فَتُعْطِيهِمْ مِنْهُ { فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا } ، أَيْ لَيِّنًا لَطِيفًا طَيِّبًا ، كَالدُّعَاءِ لَهُمْ بِالْغِنَى وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَوَعْدِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ إِذَا يَسَّرَ مِنْ فَضْلِهِ رِزْقًا أَنَّكَ تُعْطِيهِمْ مِنْهُ"[322].

و لا تكون الإحالة القبلية إلا بعهد قد تحقق بين المتكلم و المستمع في ثنايا الخطاب بينهما، حتى ليعرف المستمع، من خلال علامة معينة، عين المقصود من السابق . لأنه من الممكن أن لا يفهم السامع مما يقصد إذا لم تكن لديه الكفاءة المعرفية المشتركة بينه و بين المتكلم، و في هذا حادثة في ما يحكى أن أبا العلاء المعري: كان في بعض الأيام حاضراً في مجلس الشريف المرتضى وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي، ويزعم أنه أشعر الشعراء، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام، وكان المرتضى يبغض المتنبي، ويتعصب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبي، فتنقصه المرتضى، وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل .

و الأمثلة و الشواهد كثيرة، للتدليل على المعرفة الضمنية بين المتخاطبين، و هذا الشاهد و إن كان يصب في الإحالة المقامية فهو يبرز الدور البارز لفهم المقام . كان هذا في الإحالة القبلية، و قد أفاد الشنقيطي من هذه الآلية كثيرا، فماذا عن الإحالة البعدية ؟

إحالة بعدية (لحاق) :

هو في الاصطلاح: "الكلام الذي يبين معنى ما قبله . و يتضح هذا بأمثلة كثيرة، منها: عن قتادة[323] في قوله : ﴿ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة:116] متى يكون ذلك ؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول: ﴿**هذا يوم ينفع الصادقين**

[322] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 331 .

[323] هو :أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضرير الأكمه، قدوة المفسرين والمحدثين،مات سنة 117هـ(ينظر سير أعلام النبلاء269/5).

صِدْقُهُمْ﴾[المائدة:119] فقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة:119] لحقت الآية المسؤول عنها، ففسرت وقت الحدث بأنه يوم القيامة"[324].

-في قوله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[المطففين:1] .

يقول الشنقيطي : "التَّطْفِيفُ : التَّنقِيصُ مِنَ الطَّفِيفِ ، وَهُوَ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ . وَقَدْ فَسَّرَهُ مَا بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}[المطففين3/2]"[325].

فالآية الأولى لم توضح معنى التطفيف بقدر ما كان معناها الوعيد، لذلك فقد فسرت بما يقع بعدها من الآيات، فمن هم المطففون ؟ تجيب الآية التي جاءت بعدها بأنهم الذين إذا كالوا الكيل أو وزنوا شيئاً يبخسون و ينقصون منه .

لقد تظافرت الإحالتان القبلية و البعدية، لنسج المعنى المستخرج من بنية الخطاب القرآني في ذاته، لأن المفسر ترك العنان لمعاني القرآن المندرجة في الآيات قبلية كانت، أو بعدية حتى يخلص المعنى من شوائب الخارج، و لذلك ظهرت القيمة الحقيقية للدلالة، جراء التقابلات البنيوية الحاصلة في نص واحد، و خطاب واحد .

- **سياق الإجمال و التفصيل:**

الإجمال من أجمل، أي جعله جملة أو كمية واحدة، وهو ضد التفصيل، و للإجمال أو العموم أسباب منها الاشتراك اللفظي، و اشتهار المجاز و كثرة استعماله، و الإطلاق أو التعميم في موضع لا يمكن العمل فيه بالمعنى الظاهر من اللفظ لافتقاره إلى التحديد، و لذلك فإن الإجمال يقع بسبب الفهم، و يحتاج إلى تفصيل، لخفاء بعضه، لأن علماء الأصول وضعوا المجمل في المرتبة الثالثة، في النصوص خفية الدلالة على النحو التالي: (1- الخفي، 2. المشكل، 3. المجمل، 4. المتشابه)، و الشنقيطي يورد بعضا منها في السياق التالي :

-في قوله تعالى :﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[الحج:30] .

فيقول الشنقيطي في توضيحه لهذا الإجمال مفصلا إياه من خلال القرآن : "لم يبين هنا هذا الذي يتلى عليهم المستثنى من حلية الأنعام ، ولكنه بينه بقوله في سورة الأنعام : {قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ

324 تهاني بنت سالم بن أحمد- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي، ص: 72 .
325 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص: 42 .

الله به} [الأنعام:145] وهذا الذي ذكرنا هو الصواب ، أما ما قاله جماعات من أهل التفسير من أن الآية التي بينت الإجمال في قوله تعالى هنا : {إلاَّ ما يتلى عَلَيْكُم} أنها قوله تعالى في المائدة : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُم الميتة والدمَ ولَحْمُ الخنزير وَمآ أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ والمنخنقة والموقوذة} [المائدة:3] الآية فهو غلط ، لأن المائدة من آخر ما نزل من القرآن وآية الحج هذه نازلة قبل نزول المائدة بكثير ، فلا يصح أن يحال البيان عليها في قوله : {إلاَّ ما يتلى عَلَيْكُم} بل المبين لذلك الإجمال آية الأنعام التي ذكرنا لأنها نازلة بمكة ، فيصح أن تكون مبينة لآية الحج المذكورة كما نبه عليه غير واحد"[326] .

قد يجيء القول على الإطلاق مجملاً لا تفصيل فيه فيُحتاج لفهمه إلى تفريع معانيه و تفصيل مقاصده و ذلك حتى يحصل الاستيعاب لدى المتلقي، ذلك أن "من السمات غير اللغوية التي تلحظ مع الخطاب الدال على العموم، هو إطلاق النسق التركيبي، و عدم تقييده بالحال و السؤال، إذ هذه التقييدات أو حيثيات التخاطب هي التي تتقدم، فوق النص، لتخصص دلالته أو تقيدها أو تحصرها أو تلونها بلون دلالي آني أو ظرفي... و ما إلى ذلك من التأويلات المستندة على مراعاة مقتضى حال التخاطب و هيئة المخاطبين"[327]، فالقرآن جاء بما هو مجمل كما جاء بتفصيل هذا المجمل أيضاً، و هناك من المجمل ما فصل بالحديث النبوي الشريف. فالمجمل هو الأصل و المفصل هو الفرع و الفائدة المتوخاة من هذا التنظيم الذي قام به الأصوليون من الناحية العلمية هي التصنيف ليسهل على الدارس لأنماط القواعد الفقهية الولوج بيسر و رحابة إلى الغاية المنشودة.

فالشنقيطي في حديثه عن هذه الآية المجملة يريد أن يفك هذا الإجمال بالتفصيلات التي تساهم في بيان الآية و بالتالي يتضح معناها، و هذا يكون بالدليل و القرائن، في الحديث الشريف أو من خلال ما ثبت عند السلف من العلماء، موضحا بأن هذه الآية إنما تفصيلها في الآية 145 من سورة الأنعام، على العكس مما قد ذهب إليه البعض من أن تفصيلها في الآية 03 من سورة المائدة، بدليل –حسب الشنقيطي– أن المائدة هي من آخر ما نزل من القرآن، لذلك فآية الأنعام كانت قبلها فصح الاستشهاد بها تفصيلاً .

–في قوله تعالى : ﴿**وإِنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:4] .

---

[326] السابق ج5، ص : 430 .

[327] عبد الجليل منقور– النص و التأويل، ص: 194 .

و هذا الإجمال يوضح بقول الشنقيطي : " وقد أرشدت عائشة رضي الله عنها إلى ما يبين هذا الإجمال حينما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم الذي امتدح به فقالت « كان خلقه القرآن » ، تعني والله تعالى أعلم : أنه صلى الله عليه وسلم يأتمر بأمره وينتهي بنواهيه ، كما في قوله تعالى : {وَمَآ آتَاكُمُ الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتهوا} [الحشر : 7] . وكما في قوله تعالى : {إِنَّ هذا القرآن يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء : 9]"[328] .

و هنا يبين الإجمال بزوج النبي عائشة رضي الله عنها في حديثها عن النبي محمد صلى الله عليه و سلم بأن القرآن كان خلقه، و يبين بالآية 07 من سورة الحشر في كون النبي القدوة المثلى التي ينبغي على كل مسلم أن يتبعها حتى يسلك الطريق الأقوم .

هذا باختصار منحى الإجمال و التفصيل في تفسير الشنقيطي، و قد فصل الشنقيطي القول فيه، مستعينا بالآيات التي لها نفس العبارة، و قد انتصر لبعض معانيها، جراء قيامه بمقابلة النص المجمل بسياقه من الآيات التي حملت نفس اللفظ أو المعنى، و هو ما يدعو للتخصيص ، و هو ما سنتناوله تاليًا :

- **تخصيص العموم** :

تخصيص العموم هو أن يكون الحكم عاما فيخصص، و التخصيص يكون بالقرآن أو بالسنة، و تخصيص العموم رغم انتمائه إلى دائرة الأصول الفقهية، إلا أن له دورا مهما في بيان المعنى المخصوص بالقصد،"ومن هذه الجملة تخصيص العام بغرض المتكلم، فإن من الناس من يقول يختص الكلام بما يعلم من غرض المتكلم لأنه يظهر بكلامه غرضه، فيجب بناء كلامه في العموم والخصوص والحقيقة والمجاز على ما يعلم من غرضه، ويجعل ذلك الغرض كالمذكور. وعلى هذا قالوا: الكلام المذكور للمدح والذم والثناء والاستثناء لا يكون له عموم، لأنا نعلم أنه لم يكن غرض المتكلم به العموم"[329]، فقد صاحبه مقصد من المقاصد خرج به إلى التخصيص، و الشنقيطي يستعمل هذا المفهوم في بعض الآيات التي أحتيج بيانها خصوصا، سواء من القرآن أو السنة، فماهي شواهده الدالة على ذلك ؟

-و في سياق قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ**﴾[الممتحنة:1] .

يقول الشنقيطي : الْعَدُوُّ الْمُرَادُ هُنَا فَقَدْ عَمَّ وَخَصَّ فِي وَصْفِهِ فَوَصَفَهُ أَوَّلًا بِقَوْلِهِ : وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ، وَخَصَّ بِوَصْفِهِ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ ، وَالْوَصْفُ بِالْكُفْرِ يَشْمَلُ الْجَمِيعَ فَيَكُونُ ذِكْرُهُمَا مَعًا لِلتَّأْكِيدِ وَالِاهْتِمَامِ بِالْخَاصِّ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ} [البقرة:98]

[328] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج8، ص : 205 .

[329] أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي– أصول السرخسي ج1، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 1993، ص: 273 .

فَفِي ذِكْرِ الْخَاصِّ هُنَا هُوَ وَصْفُ الْعَدُوِّ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ لِلتَّهْيِيجِ عَلَى مَنْ أَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ كَقَوْلِهِ : { وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} [البقرة:191]"[330] .

فالعموم هنا هو (الكفر) أي هؤلاء الذين نهيتكم أن لا تتخذوهم أولياء و أصدقاء توادوهم و تداهينونهم هم كفار و قد كان هذا لفظ عموم، و تخصيصه وقع في نفس الآية في (يخرجون الرسول) أي من خصائص أفعالهم إخراج الرسول و هذا فعل مشين يدل على الكفر و العصيان .

و لابد بعد أن جبنا بعض ما تعلق بالإجمال و التفصيل و العموم و الخصوص، أن نلج باباً آخر له صلة بهذا و ذا، و هو سياق الترجيح الدلالي، و هو عنصر مهم جدا .

- **سياق الترجيح :**

يعد الترجيح آلية جد مهمة، في بيان معنى على حساب معنى آخر، و لكنه يتم بشروط متعددة، أهمها وجود القرينة التي تصرف المعنى إلى وجهة معينة، و بالإمكان أن تكون هناك قواعد معينة من مهامها ترجيح دلالة على دلالة أخرى، مثل القواعد التالية:

"-القاعدة الأولى: النظر إلى المعنى الكلي..

-القاعدة الثانية: الحيطة و الحذر من الألفاظ المشتركة..

-القاعدة الثالثة: إدراك خصائص الحقيقة و المجاز إدراكاً واعياً..

-القاعدة الرابعة: الاطلاع على الأسس المعرفية التي تؤطر عملية التأويل.."[331]

و قد استعمل الشنقيطي آليات كثيرة داعمة للقرائن، أهمها ما ذكرناه آنفا من قيامه بإجراء المقابلة ما بين الآيات، و الإحالة، ثم ما ذكرناه سابقا في الباب الأول في توظيفه للآليات اللغوية و البلاغية و الأسلوبية، و ذلك حتى تتبدى له وجهة الترجيح، في أي المعاني أحق من غيرها ترجيحاً، و لنر كيف تم هذا في ما يلي:

– في قوله تعالى : ﴿**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾[القلم:52/51] .

يقول الشنقيطي : "فِيهِ عَوْدُ آخِرِ السُّورَةِ عَلَى أَوَّلِهَا . وَأَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا سَمِعُوا الذِّكْرَ شَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَرْمُونَهُ بِالْجُنُونِ . وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ : بِأَنَّ هَذَا الَّذِي سَمِعُوهُ لَيْس

[330] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج8، ص : 70 .

[331] عبد الجليل منقور– النص و التأويل، ص: 197 .

به ذي ان الْمَجْنُونِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، وفيه **تَرْجِيحُ** الْقَوْلِ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، إِنَّمَا هِيَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ"[332] .

إن الترجيح بالسياق من أهم و أقوى الجوانب التي طبقها الشنقيطي في استقرائه للنصوص القرآنية، غير أن الترجيح له مقوماته إذا اتصل الأمر بما له علاقة بقراءة النص القرآني، ف"لقد قسم أهل العلم الخلاف الواقع بين المفسرين إلى قسمين:

اختلاف تنوع، و اختلاف تضاد، فخلاف التضاد يطلق على القولين المتنافيين في معنى الآية.

أما اختلاف التنوع فيدخل فيه الأقوال المتغايرة التي تحتملها الآية...

فاختلاف التنوع لا ترجيح فيه، أما اختلاف التضاد فلابد من المصير إلى الترجيح، و لقد استعان المفسرون بأدوات كثيرة للترجيح، منها دلالة السياق القرآني"[333] .

فإن المراد ترجيحاً بالآية في أول السورة ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[القلم:2]، إنما هو ما ورد في نفس السورة في الآية 52 ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، فالنعمة هنا هي الذكر الحكيم .

و كنا قد رأينا أن الشنقيطي انتصر للمعاني بحسب ما دعا إليه السياق، و سياقه دائماً كما قد أسلفنا القول هو سياق يكاد يكون بنيوياً ، فرجح نزولا عند مقتضيات البنية القرآنية، و من ما يتعلق بالتفصيل أيضا هو تفصيل العموم ، فماذا يقول الشنقيطي في فحواه ؟

نلاحظ أن تخصيص العموم من الآليات التي يندر أن تغيب عن ذهن المفسرين، و علماء الأصول، لحاجة الخطاب القرآني إلى بيان بعض ثناياه بما هو خاص من حيث الأحكام، و قد بيّن الشنقيطي البعض منها في الشواهد التي قدمناها من تفسيره، و التي بينت أن الشنقيطي دائما يتكأ في بيان الخصوص من العام، على رؤيته للسياق القرآني من جهة، و في علاقته مع الحديث النبوي من جهة أخرى، و لذلك حدث المعنى وفق هذا التعالق، و مادام الشنقيطي يفسر سياقيا القرآن بالقرآن، فلابد أن يراعي قانون التناسب، فماذا عن التناسب ؟

- **سياق التناسب .**

التناسب من المفاهيم المهمة، التي استقطبت الدرس القرآني، و لا يخفى على المطلع على تفسير الشنقيطي في أنه يأخذ بالتناسب بصورة كلية، و هناك من وضع كتبا بموضوع التناسب، مثل كتاب البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، فالتناسب إذا هو مراعاة الانسجام في ما بين الآيات القرآنية، سواء من حيث المضمون أو من حيث الشكل، حتى يتحدد المعنى وفق هذه المعادلة، و لربما بحث المؤصلون في لسانيات النص هذه الظاهرة، فعادت بهم المفاهيم الغربية من مثل الترابط و الاتساق

---

[332] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج8، ص : 211 .

[333] أحمد لافي فلاح المطيري– دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، ص: 143 .

و الانسجام، إلى مفهوم التناسب في القرآن من خلال مفسريه، و من أمثال من بحثوا الظاهرة الخطابي محمد في كتابه لسانيات النص.

و التناسب في الحقيقة –من الناحية المفهومية– يرجع إلى أكثر من ذلك بكثير، فقد أشار إليه نقاد الشعر في القديم، و من أمثال من أسسوا لهذا المفهوم حازم القرطاجني الذي نظر للمعاني من حيث التركيب و الموضوع " و يقسمها بصفة عامة إلى أربعة أقسام من حيث التماثل و التشابه و الاقتراب أو التضاد و التعارض: البنيان، و المبالغة، و المناسبة، و المشاكلة التي يكون سببها من الخفاء .. ويرى أن من المستحسن في الصور و المعاني أن تتقابل و تتفاوت حتى تبرز جوانب الحسن فيها"[334]، و نجد أن السجلماسي قد و ضح جهات المناسبة إلى أربع:

"–إيراد الملائم : أن يأتي بالشيء و شبيهه، مثل : الشمس و القمر، و السرج و اللجام، و السيف و الفرند...

–إيراد النقيض : أن يأتي بالأضداد، مثل الليل و النهار و الصبح و المساء، و الحياة و الموت...

–الانجرار : أن يأتي بالشيء و ما يستعمل فيه، مثل : القوس و السهم، و الفرس و اللجام، القلم و الدواة"[335]، فسياق التناسب يعد من الآليات المهمة الحاضرة بقوة في تفسير الشنقيطي، و قد راعى الشنقيطي هذا الجانب المهم في تفسيره، و نجده :

–في قوله تعالى : ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**(119)﴾[طه] .

يقول الشنقيطي : "الظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْبَدِيعِ الْمَعْنَوِيِّ فِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ، هُوَ مَا يُسَمَّى «مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ»، وَيُسَمَّى «**التَّنَاسُبَ** وَالِائْتِلَافَ. وَالتَّوْفِيقَ، وَالتَّلْفِيقَ» . فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْبَدِيعِ الْمَعْنَوِيِّ . وَضَابِطُهُ : أَنَّهُ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ ... وَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا نَاسَبَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} بَيْنَ نَفْيِ الْجُوعِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْحَرَارَةِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَالْأَلَمِ الْبَاطِنِيِّ الْوِجْدَانِيِّ وَبَيْنَ نَفْيِ الْعُرْيِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْأَلَمِ الظَّاهِرِيِّ مِنْ أَذَى الْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَهِيَ مُنَاسَبَةٌ لَا بِالتَّضَادِّ . كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى نَاسَبَ فِي قَوْلِهِ {وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} بَيْنَ نَفْيِ الظَّمَأِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْأَلَمِ الْبَاطِنِيِّ الْوِجْدَانِيِّ الَّذِي يُسَبِّبُهُ الظَّمَأُ وَبَيْنَ نَفْيِ الضُّحَى الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْأَلَمِ الظَّاهِرِيِّ الَّذِي يُسَبِّبُهُ حَرُّ الشَّمْسِ وَنَحْوُهُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ"[336] .

---

[334] محمد زغلول سلام– تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، درط، مصر، دتر، ص: 197 .

[335] محمد خطابي– لسانيات النص، ص: 135 .

[336] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج4، ص : 369 .

هذا النص القرآني محتو على ثلاثة أنواع من التناسب:

النوع الأول: بين الآية {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} و الآية {وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} هذا التناسب على نحو إيراد الملائم ، فالجوع يلائم الظمأ، كما ورد التناسب في الفواصل من ناحية الصيغة الصرفية .

النوع الثاني: في الآية {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} فهذا من إيراد النقيض فالجوع يكون داخل الإنسان و العري خارجه .

النوع الثالث: في الآية {وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} يمكن أن يكون من ظواهر الانجرار ، لأن حر الشمس يؤدي بالضرورة إلى العطش .

-و في قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا(1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[النازعات:2/1] .

يقول الشنقيطي : "وَهَذَا يَتَنَاسَبُ كُلَّ الْمُنَاسَبَةِ مَعَ آخِرِ السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا إِذْ جَاءَ فِيهَا : إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ [النبأ:40] ، وَنَظَرُ الْمَرْءِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ يَبْدَأُ مِنْ حَالَةِ النَّزْعِ حِينَمَا يَثْقُلُ اللِّسَانُ عَنِ النُّطْقِ فِي حَالَةِ الْحَشْرَجَةِ ، حِينَ لَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ لِمَا سَيَؤُولُ إِلَيْهِ ، فَيَنْظُرُ حِينَئِذٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَهَذَا عِنْدَ نَزْعِ الرُّوحِ أَوْ نَشْطِهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ"[337] .

و هذا تناسب من نوع آخر ، فبداية سورة النازعات تتناسب مع آخر سورة قبلها و هي النبأ، و هو في الحقيقة تناسب معنوي عندما يقدم الإنسان إلى الآخرة (حالة الموت) و نظره إلى أعماله هل تنجيه أم لا من العذاب القريب و هو حالة النزع الأخير، فوقع الانسجام ما بين السورتين القرآنيتين، فإن الآية تقوم "مقام الجملة التي تحتوي مفردات في نسق متآلف فهي تسمى أيضاً الجملة القرآنية، و هي بناء أحكمت لبناته و اتسقت أدق تنسيق لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تدنو عن موضعها، أو لا تعيش مع أخواتها، و هي تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها، لتلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه المهم و الأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، و لكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة"[338].

إن أبلغ ما يفسر به القرآن، هو القرآن نفسه، و قد أفادت آلية التناسب في بيان الانسجام الحاصل ما بين المعنى الرئيسي و المعاني التي تطوف به. غير أن هذا مما قلناه من آليات نصية و دلالية لا يفي لوحده في الإحاطة بما للقرآن من معاني و مقاصد، و لابد من وجود آليات تداولية أو غير لغوية، لإيفاء البيان بعض حقوقه، فماهي هذه الآليات التداولية ؟

---

337 المرجع نفسه ج9، ص : 13 .

338 اللغة العربية– النسق القرآني في ضوء نظرية التلقي، فازية تيقرشة، عدد 06، المجلس الأعلى للغة العربية، 2011 .

الفصل الثالث

(آليات السياق التداولية و غير- اللغوية)

- توطئة
- آليات السياق التداولية و غير اللغوية :
  - سياق الافتراض
  - سياق الإضمار
  - سياق الفعل الكلامي
  - سياق الحجاج
  - سياق الاستشهاد بغير القرآن
- معرفة علوم القرآن (سياق الموقف)
  - أسباب النزول
  - معرفة المكي و المدني
  - السياق المذهبي
  - سياق الإعجاز

1- توطئة :

ليست الآليات التي تتعلق بالبنية و الدلالة وحدها المهيمنة على تفسير الشنقيطي ، و لكن توجد آليات أخرى غير لغوية و منها الآليات التداولية التي أسهمت في تشكيل خطابه بشكل أو بآخر ، إذ تهيمن هذه المرتكزات إذا ما أخذ المعنى وجهة تفوق الخطية في الاستناد على السياق الخارجي في تحديد معالمه ، و هذا له أبلغ الأثر ، في كون المعنى لا يكمن في بنية اللغة وحدها و إنما في الموجهات القرائنية لسياق القول كذلك، و قد اهتم العلماء اهتماما بالغا بهذا الجانب ، سواء منهم الغربيون أو العلماء العرب خصوصا منهم الأصوليون و المناطقة و اللغويون، "و لقد دفعت نظرية الخطاب الباحثين إلى إعادة التفكير في العلاقة بين المعنى و البنية الاجتماعية، من خلال التركيز على السلطة من داخل نظام المعنى و ليس من خارجه، فنظم المعنى نفسها تعتبر سلطة، و هي لا تظهر بسهولة كنظم، مثل بنية اللغة بل من خلال ممارسات ذات دلالة، إنها ليست ببساطة المعاني المرتبطة بالممارسات الاجتماعية"[339]، ثم إن الاهتمام "بالأنساق المنطقية ذات البعد الطبيعي أدى إلى حدوث تشابكات بين عدة نظريات متباينة المنطلقات و التوجهات، من مثل علم النفس، و الفلسفة و اللسانيات، و غيرها من الفروع المعرفية التي رامت دراسة (عملية الخطاب) في مختلف أبعادها. و تبعاً لهذا أصبح بالإمكان القول إن التواصل، و مختلف العمليات التناظرية أضحت تشكل في الوقت الراهن القاسم المشترك بين علوم و مباحث متعددة و متباينة"[340]، و كانت مناحي دراسات هؤلاء تصب في الاتجاه التداولي باعتباره إستراتيجية فعالة تحقق الكفاءة المطلوبة في مستويات الخطاب، و الاتجاه التداولي يعدّ لحد الآن موضوعاً يبحث عن الاكتمال تعوزه المقاربات التجريبية التي تمحص مفاهيمه و إجراءاته، لذلك يمكن أن نلمس درجات متعددة من التداولية و بالإمكان أن ندرجها كالآتي:

"1-تداولية من الدرجة الأولى : يعكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، فهم يدرسون الأقوال و الصيغ التي تتجلى مرجعيتها و دلالتها في سياق الحديث.. و تتناول نظريات الحديث ...

---

339 الممارسات اللغوية- تحليل الخطاب و التداولية، شنان قويدر، عدد 02، جامعة تيزي وزو، 2011 .

340 العياشي أدراوي- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، ط 01، الرباط، 2011، 73 و 74 .

2-تداولية من الدرجة الثانية: و هي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط فيه القول بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الجانبية للقول، و هي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي..أما النظريات التي تتناول هذا النمط بالدراسة فهي نظرية قوانين الخطاب و أحكام أو مسلمات المحادثة –حسب التسمية- و ما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق و الأقوا ل المضمرة و الحجاج ...

3-تداولية من الدرجة الثالثة: و تتمثل في الدراسات التي تدخل ضمن نظريات الأفعال الكلامية، التي تنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية"[341].

و خطاب التفسير الذي بين أيدينا لا يخلو من هذا الذي نتحدث عنه، و لكن الإشكالية مطروحة في الخطاب القرآني من حيث أنه مكتف بنفسه فهو خطاب أوحد، على العكس من الخطابات الأخرى التي و إن تميزت بخصائص معينة فهي لا تضاهي الخطاب القرآني في توجيهاته المتعددة سواء في المفهومات أو المنطوقات التي تكون على أوجه من القائلين بها على قاعدة من تعدد الأصوات، إذ "تمس إشكالية التعدد الصوتي هوية الذات المتحدثة، و المتكلم، و المتلفظ، و هي أطراف تتحدد في:

1-المنتج الطبيعي أو الحقيقي للملفوظ (الشخص المتحدث أو الكاتب).

2-الأنا (الذات المتحدثة) التي تأخذ موقع المتلفظ.

3المسؤول عن الألفاظ الكلامية، إذ كل تلفظ يحقق فعلاً كلامياً مميزاً و إذا أخذت هذه الأطراف على أنها أوضاع، فإن هذه الأخيرة تتحقق في التواصل الكلامي غالباً، فإذا قلت لأحد: إني راحل إلى بلاد غريبة. فإني و في الوقت نفسه أكون: منتج التلفظ، و أكون الشخص الذي يتصادف مع الذات المتحدثة، و المسؤول عن إثبات القول.

---

[341] عمر بلخير– تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر، 2003، ص: 12 و 13 .

القول

منتج التلفظ — الذات المتلفظة — المسؤول عن الأقوال الملفوظة"[342]

و خطاب التفسير هذا يتضمن الكثير من القضايا التداولية مثل العلاقة الجدلية بين الإنشاء و الخبر ما يسمى بالفعل الكلامي في تطرقه لآيات خبرية في الظاهر و لكنها إنشائية في جانب آخر ، و القضية التي تتعلق بالحجاج أو الاحتجاج و الاستشهاد حسب المصطلح الذي يستعمله الشنقيطي ، و بعض مما يتعلق بالافتراضات المسبقة ، و بعض مما يتعلق بالأقوال المضمرة أو الإضمارات .. إضافة إلى استعماله لعلوم القرآن، ما يمكن أن يصطلح عليه بسياق الموقف، و آثرنا منها أسباب النزول و معرفة المكي و المدني، هذا زيادة لسياقين آخرين و هما سياق الإعجاز، و السياق المذهبي . هذه كلها قضايا تناولها الشنقيطي و بيان هذا من الناحية التطبيقية فيما يلي :

2- آليات السياق التداولية و غير اللغوية :

استعمل الشنقيطي آليات كثيرة غير التي تحدثنا عنها في الباب الأول، آليات تداولية من جهة و آليات غير لغوية من جهة أخرى، لأن المدونة القرآنية لا تحتاج إلى المقاربات النصية فقط، و لكن تحتاج ما هو متوفر من علوم و معارف في السياق الخارجي، و هذه الآليات كثيرة كثرة لا تحصى على الصورة المتكاملة، لعلوقها بميادين متفرعة و متشعبة، فقد استعمل الشنقيطي آليات تتصل بالإستراتيجية التداولية، و منها الافتراضات المسبقة، و الأقوال المضمرة، و الأفعال الكلامية، و ما يتصل بالحجاج، و الاستشهاد بغير القرآن فضلا عن مقاربته القرآن بالقرآن، و استعمل ما يقع في دائرة علوم القرآن أو ما يمكن أن نسميه في بعض مناحيه بسياق الموقف، من مثل معرفة أسباب النزول و معرفة المكي و المدني، ثم ما يمكن أن يتوصل من مظاهر الإعجاز، و معرفة مظاهر الإعجاز التي هي ركن من أركان علوم القرآن، إضافة إلى ما يتعلق بالسياق المذهبي، و إن ما يمكن التنويه به أن المعاني و المقاصد التي يضطلع بها القرآن ليست بأي حال من الأحوال تشبه حال ما عرف من الشعر و النثر العربيين من معاني و مقاصد من مثل الإفادة و الصدق و الإمتاع و إن تشاكلت في بعض جوانبها مع أهداف القرآن، ذلك

---

[342] الخطاب– التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، حمو الحاج ذهبية، عدد 04، جامعة تيزي وزو، 2009 .

أن النقاد العرب القدامى قد اهتموا "بعناصر العمل الفني كالموهبة و الطبع و التكلف، و لقد استأثرت قضية اللفظ و المعنى بجهود القدامى و عنايتهم كابن قتيبة و عبد القاهر الجرجاني حيث ارتكزت على ثلاث قواعد من عمود الشعر العربي القديم: شرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ و استقامته و مشاكلة اللفظ للمعنى أي بسط المراد بإجلاء اللفظ بالروادف الموضحة و تبيان المعاني بالبلاغة"[343]، فماذا يمكن أن نجد في استعمالات الشنقيطي من آليات تداولية ؟

- **سياق الافتراض** :

ينتمي الافتراض المسبق إلى الجهاز المفاهيمي للإستراتيجية التداولية، و هو يحدد على أساس معطيات لغوية، و"يرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل و الإبلاغ، ففي التعليميات Didactique تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه و البناء عليه. أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت التواصل السيئ فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي"[344]، يعرفه ديكرو كما يلي: "هو العنصر الدلالي الخاص بالقول بالإمكان تحويله إلى استفهام، هل (أ) ؟ و إلى نفي لا (أ)"[345]، مثال ذلك:

"أ-انقطع زيد عن التدخين .

تحويله إلى الاستفهام يعطينا ما يلي:

ب-هل انقطع زيد عن التدخين ؟

ثم نفيه:

ج- لم ينقطع زيد عن التدخين .

هذه التحويلات تظهر لنا شيئاً ضمنياً و جامعاً بين الأقوال الثلاثة، و هو:

---

[343] وتيكي كميلة- بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة مقاربة تداولية، دار قرطبة، ط 01، الجزائر، 2004، ص: 116 .

[344] مجلة الآداب و اللغات- الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي- عدد6- جامعة الأغواط-2007 .

[345] Oswald Ducrot- Dire et ne pas dire, Hermann, éd 01, Paris, 1972, P:81.

د–كان زيد يدخن ."[346]

فمن هذا المنطلق وجدنا الشنقيطي يستعمل إجراء هذا المفهوم في بعض الحيثيات، و هذه شواهد تؤكد ما ذهب إليه الشنقيطي :

– في قوله تعالى : ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾[طه:120] . فالافتراض المسبق في هذه الحالة أن الشيطان قد أخرج صاغرا من الجنة ، فكيف وسوس لآدم و حواء و هما في الجنة ؟

فيقول الشنقيطي :"الْمُفَسِّرُونَ يَذْكُرُونَ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ الْحَيَّةِ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ فِيهَا فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِهَا لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ . وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ . وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ لَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ ، لِإِمْكَانِ أَنْ يَقِفَ إِبْلِيسُ خَارِجَ الْجَنَّةِ قَرِيبًا مِنْ طَرَفِهَا بِحَيْثُ يَسْمَعُ آدَمُ كَلَامَهُ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِمْكَانِ أَنْ يُدْخِلَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لِامْتِحَانِ آدَمَ وَزَوْجِهِ ، لَا لِكَرَامَةِ إِبْلِيسَ . فَلَا مُحَالَ عَقْلًا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَالْقُرْآنُ قَدْ جَاءَ بِأَنَّ إِبْلِيسَ كَلَّمَ آدَمَ ، وَحَلَفَ لَهُ حَتَّى غَرَّهُ وَزَوْجَهُ بِذَلِكَ .

وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ أَضَافَ الشَّجَرَةَ إِلَى الْخُلْدِ وَهُوَ الْخُلُودُ . لِأَنَّ مَنْ أَكَلَ مِنْهَا يَكُونُ فِي زَعْمِهِ الْكَاذِبِ خَالِدًا لَا يَمُوتُ ، وَلَا يَزُولُ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ لَهُ فِي زَعْمِهِ مُلْكٌ لَا يَبْلَى أَيْ : لَا يَفْنَى ، وَلَا يَنْقَطِعُ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ قَوْلَهُ هُنَا وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى يَدُلُّ لِمَعْنَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ﴾ [الأعراف:20] بِكَسْرِ اللَّامِ .وَقَوْلُهُ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:20] ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي «طه» : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه:120]"[347] .

إن الإشكال الحاصل هنا، عندما نرتب الأحداث السردية تاريخيا على وجه الحقيقة:

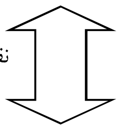
1–خلق الله آدم .

2–أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، إلا إبليس أبى و استكبر.

[346] عمر بلخير– تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 114 .

[347] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج4، ص: 370 و 371 .

3-عقاب الله لإبليس بأن **أخرجه من الجنة** و أنزله إلى الأرض.



4-إبليس يريد أن يوسوس لآدم و حواء و **هما في الجنة**.

5-وسوس لهما و أنزلهما الله إلى الأرض .

فالقضية هنا كيف وسوس لهما و هما في الجنة؟ يقودنا هذا السؤال إلى باب الافتراضات و يكون الافتراض بناء على مصادر ليست في القرآن و لا توجد في أحاديث النبي و إنما توجد هذه المصادر في الإسرائيليات من كون إبليس قد دخل و هو في جوف حية، و هناك من يستشهد بقول النبي (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) و هكذا، فالكيفية التي وسوس بها الشيطان لآدم و حواء تدر افتراضات كثيرة، و كل العلم عند الله عز و جل .

- و في قوله تعالى : ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[الإخلاص:3] .

يقول الشنقيطي : "وَقَدْ يُقَالُ : مِنْ جَانِبِ الْمَعْقُولِيَّةِ لَوِ **افْتُرِضَ** عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ : قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ [43 \ 81] .

فَنَقُولُ عَلَى هَذَا **الِافْتِرَاضِ** : لَوْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَمَا مَبْدَأُ وُجُودِ هَذَا الْوَلَدِ وَمَا مَصِيرُهُ ؟ فَإِنْ كَانَ حَادِثًا فَمَتَى حُدُوثُهُ ؟ وَإِنْ كَانَ قَدِيمًا تَعَدَّدَ الْقِدَمُ ، وَهَذَا مَمْنُوعٌ .

ثُمَّ إِنْ كَانَ بَاقِيًا تَعَدَّدَ الْبَقَاءُ ، وَإِنْ كَانَ مُنْتَهِيًا فَمَتَى انْتِهَاؤُهُ ؟

وَإِذَا كَانَ مَآلُهُ إِلَى الِانْتِهَاءِ فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى إِيجَادِهِ مَعَ عَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، فَانْتَفَى اتِّخَاذُ الْوَلَدِ عَقْلًا وَنَقْلًا ، كَمَا انْتَفَتِ الْوِلَادَةُ كَذَلِكَ عَقْلًا وَنَقْلًا .

وَقَدْ أَوْرَدَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ سُؤَالًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَهُوَ **لِمَاذَا قَدَّمَ نَفْيَ الْوَلَدِ عَلَى نَفْيِ الْوِلَادَةِ** ؟ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمُشَاهَدِ أَنْ يُولَدَ ثُمَّ يَلِدَ ؟

وَأَجَابَ بِأَنَّهُ مِنْ تَقْدِيمِ الْأَهَمِّ لِأَنَّهُ رَدٌّ عَلَى النَّصَارَى فِي قَوْلِهِمْ : عِيسَى ابْنُ اللَّهِ ، وَعَلَى الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ : عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَعَلَى قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْلُودٌ لِأَحَدٍ ، فَكَانَتْ دَعْوَاهُمُ الْوَلَدَ فِرْيَةً عُظْمَى"[348] .

[348] السابق ج9، ص: 254 .

إن الداعي الأساس لافتراض الشنقيطي هو أن يثبت وحدانية الله بالأدلة المنطقية، بطرح الأسئلة حول ماهية الولد الموجود على سبيل الافتراض، كما تؤكد النصوص القرآنية استحالة هذا الأمر فتجمعت الأدلة العقلية و النقلية لتفنيد فكرة أن يكون الله قد ُولد أو َولد .. و لكن لماذا قدمت مسألة كونه قد َولد –على الافتراض– على مسألة كونه قد ُولد لضرورة التسلسل المنطقي.

في هذا يجيب الشنقيطي أنه هنا بدأ بما هو أهم و هو الرد على الذين يقولون بأن المسيح ابن الله ثم إلى المهم و هو كونه لم يولد، و في هذا نلمح مراعاة للسياقات المختلفة .

هذا كله في إطار ما يسمى بالافتراض، و قد كانت هناك الكثير من الشواهد التي أدرجناها حتى تبرز مكامن آلية الافتراض بصورة أوضح، مع أنه يوجد الكثير غير ذلك، و قد بين لنا الافتراض هنا معلومات إضافية، إن في مستوى الآية نفسها، أو في علاقة الآية بغيرها من الآيات، أو في علاقتها بالأحداث التاريخية، و إذا كان هذا في مستوى الافتراضات المسبقة، فماذا عن الأقوال المضمرة ؟

- **سياق الإضمار :**

فإن كان الافتراض المسبق يحدد على أساس معطيات لغوية من السياق الكلامي بالأساس، فإن الأقوال المضمرة ترتبط بوضعية الخطاب و مقامه و ملابساته، و هي تفتح المجال لتنوع الأقوال في سياق الخطاب المقامي، فتكثر المسائل المتعلقة بالقضية الواحدة، و كل مسألة تختلف عن الأخرى لتناولها جانباً فرضته مقولات طرحها السياق الخارجي، و منه فإن "قانون الإخبارية و قانون الشمول يخضعان كلية لقانون الإفادة، و هذه القوانين تتحرك وفق النسق التالي:

يجب إعطاء الخبر بأقصى ما يتضمنه من معلومات و لكن أن يقع ذلك في حد الإفادة، مع تجنب إعطاء كل شيء، لأنه قد يؤدي إلى إحداث أضرار لا حاجة للمتخاطبين بها، و بهذا نتفادى الوقوع في متاهات الحشو الذي يضر بالإفادة"[349] .

فماذا يمكن أن نجد في خطاب الشنقيطي من أقوال نتجت بفعل استقراء الظاهرة ؟

- في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾[الحجر:16] .

---

[349] Catherine Kerbrat Orecchioni- L'implicite, Armand Colin, Paris, 1986, P:220 .

فيقول الشنقيطي : "وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْبُرُوجِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : **الْبُرُوجُ : الْكَوَاكِبُ** ، وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ . وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ : **أَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ** ، وَقِيلَ : **هِيَ قُصُورٌ فِي السَّمَاءِ عَلَيْهَا الْحَرَسُ** . وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ عَطِيَّةُ ، وَقِيلَ : **هِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ** ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَأَسْمَاءُ هَذِهِ **الْبُرُوجِ الْحَمَلُ وَالثَّوْرُ وَالْجَوْزَاءُ وَالسَّرَطَانُ وَالْأَسَدُ وَالسُّنْبُلَةُ وَالْمِيزَانُ وَالْعَقْرَبُ وَالْقَوْسُ وَالْجَدْيُ وَالدَّلْوُ وَالْحُوتُ** .

قَالَ مُقَيِّدُهُ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - : أُطْلِقَ تَعَالَى فِي ((سُورَةِ النِّسَاءِ)) الْبُرُوجَ عَلَى الْقُصُورِ الْحَصِينَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:78] وَمَرْجِعُ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ . لِأَنَّ **أَصْلَ الْبُرُوجِ فِي اللُّغَةِ الظُّهُورُ** ، وَمِنْهُ تَبَرُّجُ الْمَرْأَةِ بِإِظْهَارِ زِينَتِهَا فَالْكَوَاكِبُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْقُصُورُ ظَاهِرَةٌ ، وَمَنَازِلُ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ كَالْقُصُورِ ، بِجَامِعِ أَنَّ الْكُلَّ مَحَلٌّ يَنْزِلُ فِيهِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى"[350] .

فقد اُختلف في معنى كلمة البروج و قد تعددت التأويلات حولها بمعطيات السياق الخطابي العام فمنهم من يقول أنها الكواكب و منهم من يقول أنها قصور في السماء و منهم من يقول أنها منازل الشمس و القمر و لابن عباس الحديث المفصل للبروج، و الشنقيطي يفسرها باللغة فيصبح معناها الظهور مع الاحتفاظ بإمكانية ما قد قيل في التأويلات، و إدراجها في الأقوال المضمرة و الممكنة.

- و في قوله تعالى : ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾[النازعات:1] .

يقول الشنقيطي : "أَمَّا الْمُرَادُ بِ « النَّازِعَاتِ غَرْقًا» هُنَا ، فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ إِلَى **حَوَالَيْ عَشَرَةِ أَقْوَالٍ** مِنْهَا : أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ تَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ ، وَالنُّجُومُ تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، وَالْأَقْوَاسُ تَنْزِعُ السِّهَامَ ، وَالْغُزَاةُ يَنْزِعُونَ عَلَى الْأَقْوَاسِ ، وَالْغُزَاةُ يَنْزِعُونَ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ لِلْقِتَالِ ، وَالْوُحُوشُ تَنْزِعُ إِلَى الطَّلَا ، أَيِ : الْحَيَوَانُ الْوَحْشِيُّ"[351] .

أبان استعمال الأقوال المضمرة وجهات تأويلية مختلفة، و قد ضمن الشنقيطي كلامه في هذا الأقوال التي اختلف فيها ما بين المفسرين و العلماء حول قضية بعينها، و لذلك اشتمل خطابه بالتنوع و الشمولية، هذا كان في الإضمار القولي، فماذا عن الأفعال الكلامية ؟

- **سياق الفعل الكلامي :**

إن كل سيرورة تواصلية "تستدعي تحديداً متبدلاً و مستمرا لتصرفات المشاركين حضورياً، و أن للتحليل هدف مهم... يكمن في محاصرة الطريقة التي يتفاعل وفقها المتعاملون الاجتماعيون بعضهم

---

350 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 82 .

351 المرجع نفسه ج9، ص: 12 .

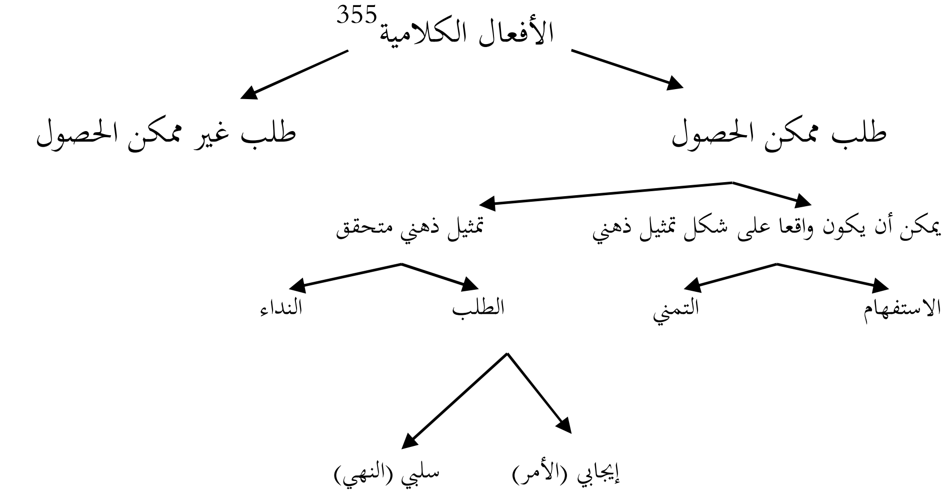
على بعض، انطلاقا من استخدامهم اللغة"[352]، فإن الفعل الكلامي فيه أداة إجرائية فعالة في تقسيم الظاهرة الإنشائية، و تمييزها عن الخبرية، إذ أنه هو المنجز بواسطة الكلام، و قد "تلعب الأفعال الكلامية دور تحويل معتقدات المتخاطبين من جهة، و استمرارية الخطاب بين أطرافه من جهة أخرى، إن أقوال المتكلم تنبني على ما قاله المخاطب، فلا توجد هناك أقوال قوالب، كل قول يخضع لمضمون القول السابق و للافتراضات و التأويلات التي يحتويها"[353]، و أكثر ما يوجد الفعل الكلامي في الإنشاءات غير الطلبية، مثل ألفاظ العقود و المعاهدات بما هو إيقاع للفظ، في علاقة تناظرية بما يسمى اتجاهات المطابقة ما بين القول و العالم أو لعكس، غير أن الفعل الكلامي لا يجيء إنشائيا خالصاً، و لكنه قد يجيء عن طريق الإخبار . و لذلك فإن "المنهج الإجرائي العام لتفكير الأصوليين في ظاهرة (الأفعال الكلامية) ينهض على دعامة الاعتداد بتقسيم الخطابات في الكلام العربي إلى خبر و إنشاء كما تصورها البلاغيون و المناطقة و النحاة، و لكن دارسين محللين للنص القرآني بعمق –من طراز الرازي و الشاطبي و القرافي و غيرهم– لم تكن لترضيهم أدبيات الدرس البلاغي و النحوي فعمدوا –وعبر منهج استقرائي تحليلي– مكنهم من استنباط أغراض و إفادات و قواعد تشريعية من الخطاب القرآني، هي في الأخير مناط مقصد الشارع، و يبدو أن الأصوليين، من هذه الجهة التداولية، قد استأثروا بالبحث فيما فرط فيه كثير من النحاة، و ذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام و أوجه استعمالاته و إدراك مقاصده و أغراضه، و ما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة"[354]، و يمكن أن نمثل للفعل الكلامي بالخطاطة التالية:

---

[352] Catherine Kerbrat Orecchioni- Les interactions verbales, T1, Armand Colin, éd 3, Paris, 1990, P:17 .

[353] عمر بلخير– تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 193 .

[354] مجلة الآداب و اللغات– تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مسعود صحراوي– عدد07– جامعة الأغواط–2011 .



هذا و "يجب على المتحدث **Enonciateur** أن يصل إلى أن يعّرف المرسل إليه **Destinataire** بنيّته بإنجاز فعل معين. و هذا هو الذي يبيّنه أثناء حديثه، حيث لا يعتبر الحديث كليا حديثاً، إلا إذا اُمتثل باعتباره معّبراً عن نية من هذا النوع بالنسبة للمرسل إليه... و يقودنا هذا المعنى إلى عمق الجهاز التداولي **Dispositif pragmatique** إلى انعكاسية الحديث **Réflexivité de l'énonciation** ، بمعنى أن فعل الكلام أو الإنجاز ينعكس في الحديث"[356]، و تكثر أفعال الممارسة في بصورة محسوسة في الخطاب القرآني، و الشنقيطي يستخرجها على شكل ماهو واقع في الأمر أو الوعظ أو الإنذار، إذ أنه "ينجز فعل ممارسة عند إصدار حكم مناسب أو غير مناسب، حول تصرف أو حول تبرير، حيث يرتبط في الأمر مثلاً على ما يجب أن يكون أكثر من تقدير ظرف معين ... و تستلزم هذه الأفعال أن الآخر مضطر لإنجاز الفعل"[357] و قد اقترح سيرل بعد تقسيمات أوستين[358] خمسة أصناف للفعل الكلامي و هي: التقريريات، و الوعديات، و الأمريات، و الإيقاعيات و البوحيات[359].

و هو ما يورد بكثرة في تفسير الشنقيطي، فلنلاحظ مستوى ورود الفعل الكلامي في تفسيره :

– **خبر أريد به الإنشاء** في قوله تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ**

---

[355] Ahmed Moutaouakil- Réflexions sur la théorie de le signification, Thèse, Faculté des lettres, rabat, 1982, P: 178 .

[356] Dominique Maingueneau- Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990, P: 113 .

[357] J.Austin- Quand dire c'est faire, trad: Gives-Lane, éd du Seuil, Paris, 1970, P: 161 .

[358] هناك خمسة أصناف للتلفظ بحسب تقسيم أوستين: أفعال الحكم **verdictifs**، أفعال الممارسة **exercitifs**، أفعال الوعد **promissifs**، أفعال السلوك **comportatifs**، أفعال العرض **expositifs** .

[359] J.Searle- Sens et expression, trad: Joëlle Proust, Minuit, Paris, 1982, P: 51-70 .

الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:22] .

يقول الشنقيطي في هذا الموضع: "وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر ، والمراد بها الإنشاء ، وهذا النهي البليد ، والزجر العظيم مولاة أعداء الله ، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى و أوكد ، من إيراده الإنشاء ، كما هو معلوم في محله ، ومعنى قوله {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } : أي يحبون ويوالون أعداء الله ورسوله.

و ما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن مولاة أعداء الله جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ والذين مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العداوة و البغضآء أَبَداً حتى تُؤْمِنُوا بالله وَحْدَهُ } [الممتحنة : 4] . وقوله تعالى : { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح : 29] وقوله تعالى : { فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين } [المائدة : 54] . وقوله تعالى : { وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً } [التوبة : 123] الآية . وقوله تعالى : { يا أيها النبي جَاهِدِ الكفار والمنافقين و اغلظ عَلَيْهِمْ } [التوبة:73]"[360].

– **الفعل المتضمن في القول** : على ما يفهم من صيغة التعجب، في قوله تعالى :**﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**[مريم:38] .

و سياقها في القرآن وارد على ما يذكر الشنقيطي ، يقول : "بينه في مواضع أخر . كقوله في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة : { وَلَوْ ترى إِذِ المجرمون نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فارجعنا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ } [السجدة : 12] ، وقوله تعالى : { لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هذا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ } [ق : 22] ، وكقوله في غفلتهم في الدنيا وعدم إبصارهم وسمعهم : { اقترب لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } [الأنبياء : 1] ، وقوله : { يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحياة الدنيا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ } [الروم : 7] ، وقوله : { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } [البقرة : 18] ، وقوله : مَثَلُ الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع } [هود : 24]"[361] .

---

[360] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج7، ص: 486 .

[361] المرجع نفسه ج4، ص: 198 .

إن الفعل المتضمن في القول إنما يظهر في الآيات السياقية التي أدرجها الشنقيطي، و بها بان المراد من صيغة التعجب أن الأمر يتعلق هنا للوعيد و التهديد، و ليس للمدح .

- **الأمر في فعل الوعيد** : في قوله تعالى ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾ [النحل:55] .

يقول الشنقيطي : صيغة الأمر في قوله { فَتَمَتَّعُواْ } للتهديد . وقد تقرر في « فن المعاني ، في مبحث الإنشاء » ، وفي « فن الأصول ، في مبحث الأمر » : أن من المعاني التي تأتي لها صيغة افعل التهديد . كقوله هنا : { فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } وتشهد لهذا المعنى آيات أخر . كقوله . { قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النار } [الزمر:8]، وقوله : { قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النار } [إبراهيم:30]، وقوله : { ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأمل فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [الحجر:3] ، وقوله { فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حتى يُلاَقُواْ يَوْمَهُمُ الذي يُوعَدُونَ } [الزخرف:83] وقوله : { كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ } [المرسلات:46] ، وقوله : { فَذَرْهُمْ حتى يُلاَقُواْ يَوْمَهُمُ الذي فِيهِ يُصْعَقُونَ } [الطور:45] ، إلى غير ذلك من الآيات "[362] ، فصيغة أسمع بهم و أبصر يعد تعجب يراد به المدح في الأقوال العادية ، و لكن هنا خرج إلى الذم بدليل سياق الآية و الآيات الأخرى التي في نفس السياق ، فالفعل المتضمن في هذا القول هو الذم .

كان هذا الذي سقناه نماذج من الأفعال الكلامية الواردة في تفسير الشنقيطي، و فائدتها أنها أحدثت أفعالا لها قوة إنجازية كبيرة، مثل فعل التهديد، و مثل فعل الذم ..الخ، و هذا الفعل المنجز حادث من مراعاة المقتضى في آيات أخرى لها نفس الوجهة المقصدية، و لذلك أثر هذا على المعاني في أنها خرجت إلى التحقق، و هذا هو الدور الحقيقي للغة، كان هذا في مستوى الأفعال الكلامية فماذا بشأن الحجاج ؟ و هل له دور في عضد المقولات ؟ هذا ما سنعرفه في ما يأتي من كلام .

- **سياق الحجاج :**

يعد الحجاج أو المحاجة آلية مهمة تبنتها أغلب بحوث تحليل الخطاب المعاصرة، و تكمن أهميتها في انطباقها السهل و اليسير على جل المدونات التي يعنيها الدرس التداولي بالتحليل، و لذلك فإن الحجاج يراعى من قبل "منظورات ثلاثة كبرى: منطقي و لغوي و محادثي، و "إن هدف نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تقدم لهم"[363]، هذا و

---

[362] السابق ج3، ص: 191 .

[363] P.Charaudeau et d.maingueneau- Dictionnaire d'analyse du discours,Seuil,1 éd,paris,2002,p:66

"تبين الميزة القصدية للحجاج و كذلك الاستدعاء الضمني للإجابة التي تؤسس الحجة أن العلاقة الحجاجية هي بطريقة معينة قريبة من علاقة الاستلزام Implication "[364]، و هذه المنظورات هي:

"المنظور المنطقي: يرى اعتماد منطق خاص باللغات الطبيعية. و تجسد هذا التمشي نظريتان أساساً : اللسانيات النفسية المعرفية و علم الدلالة المنطقي..

المنظور اللغوي: إنه منظور يتبلور في أبحاث أوزفالد ديكرو عن الحجاج في اللغة. و بخلاف المنظور السابق فإن البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، و لكنها لغوية بالأساس..

المنظور المحادثي: إذا كانت البنية المنطقية للتفكير في منشأ اللغة، فإن الخطاب و التبادلات اللغوية هي مصبها"[365]، و البلاغيون يعرفون المذهب الكلامي –الذي هو في الاعتبار ما يقابل الحجاج- بقولهم: هو "إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، و هو أن تكون بعد تسليم المقدمات مُستلزِمةً للمطلوب"[366] ، و هدف هذا تغيير اعتقاد المخاطب بتلك الآليات، إذ أن "هذا السياق التخاطبي الحواري الذي تشير إليه بعض التعريفات يرسخ المذهب الكلامي في بعده الخطابي المحاجي"[367]، لذلك فالحجاج موجود في هذا الخطاب التفسيري، عبر هذه النماذج:

- في سياق قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[الملك:10].

هذه حجة على الكفار بألسنتهم ، و يورد الشنقيطي حججا أخرى من القرآن تحسب عليهم، و هي كالتالي : "{خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ} [البقرة:7] .
وقال : {إِنَّا جَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف:57] .
وقد بين هذا الذي ذكره رحمة الله تعالى علينا وعليه عدة نصوص صريحة في ذلك ، منها أصل خلقتهم الكاملة في قوله تعالى {إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان:2] .
و في آخر سورة الملك هذه قوله {قُلْ هُوَ الذي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والأبصار والأفئدة قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } [الملك : 23] . و لكنهم سمعوا وعصوا ، كما في قوله : {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ

---

[364] Jacques Moeschler- Argumentation et conversation, Hatier-Grédif, Genève, 1985, P: 53 .
[365] صابر الحباشة- التداولية و الحجاج، صفحات للدراسات و النشر، ط1، سورية، 2008، ص: 17 إلى 19.
[366] سعد الدين التفتازاني- مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح للقزويني، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط 01، بيروت، 2003، ص: 411 .
[367] شكري المبخوت- الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، وكلية الآداب منوبة، ط 01، تونس، 2006، ص: 177 و 178 .

العجل بِكُفْرِهِمْ} [البقرة:93] . و هذا ، وإن كان في بني إسرائيل ، إلا أنه قال لهذه الأمة : {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} [الأنفال:21] ، وقال تعالى عنهم : {قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هذا } [الأنفال:31] .

وقوله عنهم : {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرآن والغوا فِيهِ} [فصلت : 26] وقد بين تعالى سبب عدم استفادتهم بما يسمعون في قوله تعالى :{وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ الله تتلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتخذها هُزُواً } الجاثية : 7 – 9] . و قوله : {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِ آيَاتُنَا ولى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا }[لقمان:7]. فقولهم هنا : { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ } أي سماع تعقل وتفهم"[368] .

إن قوة الحجة تأتي في قيمة التذكير الذي يورث الحسرة و الندم في منطوقات الآيات و مفهوماتها، لأن الأوان قد فات حتى يصحح الإنسان ما بدر منه، ثم أنه قد وصل إلى نهاية المطاف، و ثالثاً أنه يرى الذين يدخلون الجنة فيزداد حسرة و ندماً حيث لا ينفع الندم .

- **التدرج بالحجة** : في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾[التين:5] .

فالوارد في هذه الآية يعد أقوى إذا ما قورن بآيات بالسياق نفسه ، و الشنقيطي يقول في هذا المضمون : " كما في قوله تعالى : { وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخلق} [يس : 68] . و ذكر الشيخ رحمه الله تعالى **علينا**[369] وعليه هذا القول ، وساق معه قوله : {الله الذي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً} [الروم : 54] ، وساق آية التين هذه {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : 5] ، وقال : على أحد التفسيرين ، وقوله : {وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمر لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً} [الحج : 5] ، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس رواه ابن جرير"[370] .

أول حجة هي أن الله خلق الإنسان و خلقه من ضعف، ثم تتدرج الحجة إلى أن يرد الإنسان إلى أسفل سافلين (لها عديد المقاصد)، و يظهر المعنى الجلي المحسوس الذي يفهم من قبل الإنسان في تذكير الإنسان بالكبر في السن إلى أرذل العمر (في حاله يحدث النسيان) و هذه حجة بالغة للإنسان الذي يعتبر من مشاهد كهذه .

إن الحجاج من طريق مثل طريق التفسير، لأبين و أوضح لطبيعة المدونة التي هي اعتبارا خطابا دينيا يستوجب الإقناع، و قد بين توظيف الحجاج، في أن الآي القرآني يعضد بعضه بعضاً و يشهد لبعضه البعض، بالحجة و البرهان سواء ما وقع باللغة أو ما وقع بالعلاقة المنطقية، و الحجاج في تفسير الشنقيطي كثير جدا، لا يمكن أن نحصره في بعض الأسطر، و لكنه يتطلب بحوثاً كثيرة، و لأن

---

[368] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج8، ص: 194 .

[369] المرجع نفسه ج9، ص:143 . الكلام للشيخ عطية سالم أحد تلامذة الشنقيطي ، و الذي أتم عمله في هذا التفسير .

[370] المرجع نفسه ج9، ص: 143 .

الاستشهاد و الاحتجاج خرج إلى سياقات غير قرآنية، جعلنا هذا ندرج عنصراً بالسياق المستشهد به غير القرآني، فماذا يمكن أن نجد فيه ؟

- **سياق الاستشهاد بغير القرآن :**

إضافة إلى ما قد قلناه في الحجاج، فإن موضوع الاحتجاج باب متسع جدا، و لذلك عقدنا عنصراً خاصاً بالاستشهاد بغير القرآن، و ما نقصده هنا هو الحديث النبوي، و أقوال العلماء، و من الكلام المنظوم، و الشعر، و ذلك حتى نستوفي بصورة نسبية المقولات، التي عضدت كلام الشنقيطي من قريب أو من بعيد، و نبدأ بما هو موجود في تفسير الشنقيطي من حديث شريف :

- **الاستشهاد بالحديث** : في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[النحل:89] . يقول الشنقيطي على هذا الاعتبار : "وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ علي » قال: فقلت يا رسول الله ، أأقرأ عليك وعليك نزل؟! قال : « نعم . أني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت « سورة النساء » حتى أتيت إلى هذه الآية : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهِيداً } [النساء : 41] فقال : « حسبك الآن » فإذا عيناه تذرفان"[371] .

- أيضا في قوله تعالى : ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:36] . يقول الشنقيطي : " و في الحديث : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث »"[372] .

كان استشهاده بالحديث النبوي كثيراً و في سياقه من القول، لأنه كما هو معلوم فإن الحديث الشريف جاء ليبسط معاني القرآن في الأساس، لذلك فقد تناسب القولان في المعنى و القصد، و زيادة على هذا فالسياقات الحديثية تتظافر لتفصيل مجمل، أو لتخصيص عام، في الخطاب القرآني، و ماذا الآن بشأن الاستشهاد بكلام العلماء ؟

---

[371] السابق ج3، ص: 225 .

[372] المرجع نفسه ج3، ص: 381 .

- **الاستشهاد بكلام العلماء** : في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[الأعراف:54] . يقول الشنقيطي : " هُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ"[373] .

- في قوله تعالى أيضا : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:59] . فيقول الشنقيطي : "وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمُ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَالْمُزَنِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ : إِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمْدًا تَكَاسُلًا وَتَهَاوُنًا مَعَ إِقْرَارِهِ بِوُجُوبِهَا الْمُقْلَالِ لَا يَكْفُرُ بِلْ يُعَزَّرُ وَيُحْبَسُ حَتَّى يُصَلِّيَ"[374] .

- في قوله تعالى أيضا : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:14] . يقول الشنقيطي في سياقها : " أَمَّا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ : وَلَا أَكْرَهُ لِلرَّجُلِ لُبْسَ اللُّؤْلُؤِ ، إِلَّا لِأَنَّهُ مِنْ زِيِّ النِّسَاءِ ، فَلَيْسَ مُخَالِفًا لِمَا ذَكَرْنَا ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي النَّهْيِ عَنْهُ نَصٌّ مَخْصُوصٌ بِهِ شَيْءٌ"[375] .

- و في قوله تعالى أيضا : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾[البقرة:173] . فيقول الشنقيطي: "وَأَمَّا مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا لَا يَعِيشُ إِلَّا فِي الْمَاءِ فَمَيْتَتُهُ حَلَالٌ ، وَالطَّافِي مِنْهُ وَغَيْرُهُ سَوَاءٌ ، وَأَمَّا مَا يَعِيشُ فِي الْبَرِّ مِنْ حَيَوَانِ الْبَحْرِ فَمَيْتَتُهُ عِنْدَهُ حَرَامٌ ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَكَاتِهِ إِلَّا مَا لَا دَمَ فِيهِ ، كَالسَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أُبِيحَ عِنْدَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ "[376] .

يدل استشهاده بكلام العلماء و الأئمة أنه يأخذ الفقه عن الأئمة الأربعة، كما يستشهد بمن رأى فيهم حسن المنطق و سعة البيان، و لا يتحيز لأحد دون الآخر إلا بمقياس العلم . و هذا يدل على أن مثل هذه الأخلاق العلمية ينبغي أن تكون عند جميع العلماء لأنها بالفعل الصفات الراجحة التي تميز علم العالم بالأصالة و النفاذ .

هذه نماذج أوردناها للتدليل بها على ما ورد من استشهادات العلماء، و لكن يستعين الشنقيطي أيضاً بكلام الشعراء و صانعي المنظومات في تفسيره :

- **الاستشهاد بالشعر و المنظوم :**

[373] المرجع نفسه ج2، ص: 213 .
[374] المرجع نفسه ج4، ص: 226 .
[375] المرجع نفسه ج3، ص: 161 .
[376] المرجع نفسه ج1، ص: 95 .

عندما نقول أن مفسر القرآن يستشهد بالشعر ليس المراد بهذه العبارة أن نجعل القرآن و الشعر بنيتين دلاليتين متناظرتين من حيث الدرجة و القيمة، و لكن المقصود بذلك أن الشعر قد يحل بعض إشكالات المعنى المتعلقة ببنية اللفظ أو المعنى، مع أن هناك –في عهد البعثة– من كان لا يقيم حداً فاصلاً بينهما و ذلك حين اُتّهم الرسول بأنه شاعر فواقعة كهذه "لا يمكن إلا أن تدل على أنهم لم يميزوا بين القرآن و بين الشعر"[377]، فكل تناولنا مقرون بوجود ظاهرة الشعر في خطاب الشنقيطي الموجه لتفسير القرآن، لذلك سنمثل لهذه الظاهرة ببعض النماذج:

– و في سياق قوله تعالى : ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[الحج:27] .

يقول الشنقيطي : "الأذان في اللغة : الإعلام : ومنه قوله تعالى {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الناس يَوْمَ الحج الأكبر } [التوبة : 3] وقول الحرث بن حلزة :

آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاوٍ يمل منه الثواء

والحج في اللغة : القصد ، وكثرة الاختلاف ، والتردد : تقول العرب : حج بنو فلان فلاناً : إذا قصدوه ، وأطالوا الاختلاف إليه ، والتردد عليه . ومنه قول المخبل السعدي :

ألم تعلمي يا أم أسعد أنما ... تخاطأني ريب المنون لأكبرا

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة ... يحجون سب الزبرقان المزعفرا ...

والفج : الطريق ، وجمعه : فجاج : ومنه قوله تعالى {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } [الأنبياء : 31] والعميق : البعيد ، ومنه قول الشاعر :

إذا الخيل جاءت من فجاجٍ عميقةٍ ... يمد بها في السير أشعث شاحب"[378] .

إن الشواهد الشعرية التي استشهد بها الشنقيطي تدل على اطلاعه و استيعابه على أفانين الشعر و خاصة القديمة منها كيف لا و الشعر هو المخزن الذي لا ينضب من الألفاظ و المعاني، يحافظ على اللغة من الضياع، و يساهم في تطوير اللغة و استحداثها، و قد فسر العلماء القرآن بما للشعر من أدوات في الدلالة لفظاً أو معنًى و للبيهقي حديث للرسول في هذا المعنى يقول: "عن عكرمة عن ابن عباس قال إذا قرأ أحدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فانه ديوان العرب هذا هو الصحيح موقوف (وقد أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا أحمد بن موسى الحمار ثنا الحسن ابن علي ثنا يحيى بن آدم أنبأ إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر حكمة وإذا

---

377 مصطفى الجوزو– نظريات الشعر عند العرب ج1، دار الطليعة، ط 02، بيروت، 1988، ص: 75 .

378 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج5، ص: 42 .

التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه من الشعر فانه عربي"[379]، و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحب من الشعر جيده، و كانت له أنماط "لتوجيهاته شعراء الإسلام عندما كان يجيد هؤلاء الشعراء في قولهم و يحسنون في منطقهم، يجد ذلك صداه عند الرسول –صلى الله عليه و سلم– و يعبر لهم عن استحسانه بأساليب مختلفة، فحين أنشده النابغة الجعدي قوله:

و لا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه إن يكدرا

و لا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

و دعا له بالخير بعد أن استجد قوله، فقال له: أجدت، لا يفضض الله فاك. و يقال أنه عاش مائة و ثلاثين سنة لم تفضض له سن"[380].

– و كذلك يستشهد بالمنظوم في سياق قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:7].

فيقول الشنقيطي مستشهدا بمراقي السعود : " وَأَشَارَ فِي «مَرَاقِي السُّعُودِ» إِلَى حَدِّ التَّأْوِيلِ، وَبَيَانِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ بِقَوْلِهِ مُعَرِّفًا لِلتَّأْوِيلِ : [الرَّجَزِ]

حَمْلٌ لِظَاهِرٍ عَلَى الْمَرْجُوحِ ... وَاقْسِمْهُ لِلْفَاسِدِ وَالصَّحِيحِ

صَحِيحُهُ وَهُوَ الْقَرِيبُ مَا حُمِلْ ... مَعَ قُوَّةِ الدَّلِيلِ عِنْدَ الْمُسْتَدِلّْ

وَغَيْرُهُ الْفَاسِدُ وَالْبَعِيدُ ... وَمَا خَلَا فَلَعِبًا يُفِيدُ

إِلَى أَنْ قَالَ : [الرَّجَزِ]

فَجَعْلُ مِسْكِينٍ بِمَعْنَى الْمُدِّ ... عَلَيْهِ لَائِحُ سِمَاتِ الْبُعْدِ

كَحَمْلِ مَرْأَةٍ عَلَى الصَّغِيرَةْ ... وَمَا يُنَافِي الْحُرَّةَ الْكَبِيرَةْ

وَحَمْلُ مَا وَرَدَ فِي الصِّيَامِ ... عَلَى الْقَضَاءِ مَعَ الِالْتِزَامِ

وَالتَّأْوِيلُ فِي اصْطِلَاحِ خَلِيلِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَالِكِيِّ الْخَاصِّ بِهِ فِي «مُخْتَصَرِهِ» ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ اخْتِلَافِ شُرُوحِ «الْمُدَوَّنَةِ» فِي الْمُرَادِ عِنْدَ مَالِكٍ –رَحِمَهُ اللَّهُ– وَأَشَارَ لَهُ فِي «الْمَرَاقِي» بِقَوْلِهِ : [الرَّجَزِ]

وَالْخُلْفُ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ صَيَّرْ ... إِيَّاهُ تَأْوِيلًا لَدَى الْمُخْتَصَرْ"[381].

يقول ابن القيم في التأويل مفرقا بينه و بين الفقه " وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِقْهِ وَالتَّأْوِيلِ أَنَّ الْفِقْهَ هُوَ فَهْمُ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَالتَّأْوِيلُ إدْرَاكُ الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَؤُولُ إلَيْهَا الْمَعْنَى الَّتِي هِيَ أَخِيَّتُهُ وَأَصْلُهُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ فَقِهَ فِي الدِّينِ عَرَفَ التَّأْوِيلَ ، فَمَعْرِفَةُ التَّأْوِيلِ يَخْتَصُّ بِهِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ تَأْوِيلَ التَّحْرِيفِ وَتَبْدِيلَ الْمَعْنَى ؛ فَإِنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ بُطْلَانَهُ وَاَللَّهُ يَعْلَمُ بُطْلَانَهُ"[382]، و هو على العموم ما يتناسب مع قول الشنقيطي في إيراده لمنظوم مراقي السعود حول التأويل و قواعده .

---

379 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي– السنن الكبرى ج10، دار الفكر، ط 02، بيروت ، 1411هـ، ص: 241 .

380 سامي مكي العاني– الإسلام و الشعر، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996، ص: 44 .

381 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج1، ص: 209 و 210 .

382 ابن قيم الجوزية– إعلام الموقعين عن رب العالمين ج1، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1968، ص: 332 .

الاستشهاد بالشعر و منظومات المعرفة كثير في خطاب الشنقيطي، فالرسول صلوات الله عليه يقول (إن من الشعر حكما و إن من البيان سحرا)، فمعرفة عبارات القرآن تحتاج إلى معرفة كلام العرب و ألفاظها، و يحتاج فيه إلى الاطلاع على شعر القبائل التي وسمت لغتها بالفصاحة، لذلك نلاحظ أن الشنقيطي يستشهد بالشعر فيورد سياقات متتالية في نفس القضية، حتى يقع الفهم بها، و نلاحظه كذلك يستشهد بالمنظومات الفقهية، و النحوية و ما أورده كثير مختلف.

هذا و قد تناول الشنقيطي قضايا أخرى تتصل بعلوم القرآن و تعتبر سياقا موقفياً، من مثل أسباب النزول، و معرفة المكي و المدني، و الإعجاز القرآني، و علوم القرآن كثيرة جدا غير أننا اخترنا بعضها في بحثنا لعلاقته بالمطالب المتاحة، فماذا يمكن أن يوجد في هذه السياقات ؟

3- **معرفة علوم القرآن** (سياق الموقف) :

و من الجوانب غير اللغوية – فضلا على ما أسلفنا من ما يتعلق بالتداولية – جانب معرفة علوم القرآن، أو إن صح القول بسياقات الموقف ، و هي كثيرة ، و كان اختيارنا لأسباب النزول و معرفة المكي و المدني مبنيا على أسس منهجية ، و ذلك لعلوق هذه المحاور بالسياق الخارجي بصورة كبيرة ، إذ أن نزول القرآن كان لأسباب و في أماكن جغرافية و اجتماعية محددة لا تتشابه كلياً في نواحيها الثقافية و الفكرية، و تناولنا يستقريء آليات الشنقيطي في ربط أسباب النزول و معرفة المكي و المدني و سياق الإعجاز بالمعنى المنجر من المقارنة التي عقدها الشنقيطي بالآيات التي لها نفس السياق، سواء كان هذا السياق شكليا أو مضمونيا ، و هذا مدعاة لحضور جملة من المقاربات المهمة في التحليل .

- **أسباب النزول** :

تكمن أهمية أسباب النزول في أن علم المعاني والبيان مداره على مقتضيات الأحوال، و أن الجهل بأسباب النزول موقع في الإشكالات الكثيرة المؤدية إلى عدم فهم المقصود بمعنى الآية أو السورة، فإيضاح سياق الآية يكون ب"إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا

عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار"[383]، و يعد العلم بسبب النزول مانعا من تعميم الحكم بمفهوم الآية، إلا بما هو مناسب بين وقائع سبب النزول و ما بين المسألة الفقهية، في الشروط المتكافئة، و لذلك نلاحظ أن الشنقيطي يرتكز عليه في التحليل، و نورد الشواهد التالية للتدليل :

– في سياق قوله تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[النحل:83].

و يقول الشنقيطي في هذا الشأن :" وروي عن مجاهد : أن سبب نزول هذه الآية الكريمة : أن أعرابياً أتى النَّبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً} [النحل : 80] فقال الأعرابي : نعم! قال : { وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الأنعام بُيُوتاً} [النحل : 80] الآية . قال الأعرابي : نعم! ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابي : نعم! حتى بلغ {كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل : 81] فولى الأعرابي . فأنزل الله: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} [النحل : 83]"[384].

لقد عرّفنا التفسير بواسطة أسباب النزول، بأن نزول هذه الآية كان من أجل فئة الأعراب الذين يتنكرون للمبادئ المشروعة و لا يحفظون عهداً و لا وعدا، لذلك وصفهم النبي بأنهم أشد كفراً و نفاقاً، و ابن خلدون يعتبر أن العرب (الأعراب) لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة ورئيسهم محتاج إليهم غالباً للعصبية التي بها المدافعة .

–و في سياق قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** ﴾[النساء:15] .

يقول الشنقيطي : " **فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي** الْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِيَّةِ اللَّذَيْنِ زَنَيَا وَهُمَا مُحْصَنَانِ وَرَجَمَهُمَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَمُّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلْمُعْرِضِ عَمَّا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ رَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ ، دَلِيلٌ قُرْآنِيٌّ وَاضِحٌ عَلَى بَقَاءِ حُكْمِ الرَّجْمِ ، وَيُوَضِّحُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَهُنَّ السَّبِيلَ بِالْحَدِّ ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ : « خُذُوا عَنِّي ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» الْحَدِيثَ"[385] .

---

383 أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري– أسباب نزول الآيات، مؤسسة الحلبي وشركاه، درط،القاهرة، 1968، ص: 04 .

384 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 220 و 221 .

385 السابق ج1، ص: 240 .

بحسب ابن كثير فقد "كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة، حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت؛ ولهذا قال: {واللاتي يأتين الفاحشة} يعني: الزنا {من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا} فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك.

قال ابن عباس: كان الحكم كذلك، حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد، أو الرجم

وكذا روي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وعطاء الخراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك: أنها منسوخة. وهو أمر متفق عليه"[386] و هو المقصود بالقول.

كان ما أوردناه من نماذج متعلقا بأسباب النزول، و كيف أن أسباب النزول كانت بمثابة السياق الموقفي، الذي ساعد على تقريب صورة كيفية نشوء الحكم من البداية من النص القرآني، و بالتالي ربطه بمقتضيات الأحكام التي تجيء من بعده، و هذا أفاد منه الشنقيطي أيما إفادة، فاستعمله و هو يقارن في نفس الوقت ما بين الآيات، و لكن أسباب النزول لا تكفي وحدها حتى يعرف المكان الذي نزلت به الآية، أنزلت بمكة ؟ أم نزلت بالمدينة ؟ جواب هذا في ما يلي :

- **معرفة المكي و المدني :**

من فائدة الاطلاع على ما هو مكي من ما هو مدني، هو معرفة أحكام اختلاف الدارين مكة و المدينة، و مراعاة الظروف و المناسبات و أحوال المكلفين بها، و كيف كان حال المهاجرين و ما طبيعة أحكامهم ؟، و كيف كان حال الأنصار و ما طبيعة أحكامهم ؟، و لمعرفة ما يتعلق بهذا دون ذاك لابد من معرفة ما نزل بمكة، و معرفة ما نزل بالمدينة، و يمكن أن نوجز هذه الفوائد العامة في التالي:

1- معرفة الناسخ من المنسوخ، لأن ماهو مدني ناسخ لما هو مكي.

2- معرفة تاريخ التشريع الإسلامي.

3- مخاطبة كل قوم بمقتضى حالهم، بما ينعكس على الدلالة البلاغية فيه.

4- يعين على تفسير كثير من مواضع القرآن التي يقتضي فيها الرجوع إلى مكان نزول الآية .

5- معرفة المكي و المدني من شأنها أن تزيد من موثوقية القرآن .

[386] أبو الفداء إسماعيل بن كثير- تفسير القرآن العظيم ج2، ص: 233 .

غير أن معنى المكي و معنى المدني لهما اعتبارات ثلاثة هي:

أ-باعتبار الزمان: فالقرآن المكي ما نزل قبل الهجرة، و المدني ما نزل بعد الهجرة و يعد هذا القول من أشهر الأقوال .

ب-باعتبار المكان: يكون القرآن الذي نزل بمكة مكيا، و القرآن الذي نزل بالمدينة مدنياً، و ما نزل بالأسفار لا يطلق عليه لا هذا و لا ذاك.

ت-باعتبار المخاطب: يعد المكي مكيا إذا كان الخطاب فيه موجه لأهل مكة، و يعد المدني مدنياً إذا كان الخطاب فيه موجه لأهل المدينة.

حتى تعرف الضوابط التي تحكم الفقه من ملابسات، و الشنقيطي لم يغفل هذا الجانب، و أولاه أهمية خاصة في الشواهد التالية :

-في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**﴾[الإسراء:60] .

يقول الشنقيطي : "بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ؛ أَيْ فَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ يَفْعَلُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ فَيُسَلِّطُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَحْفَظُهُ مِنْهُمْ .
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فَصَّلَتْ بَعْضَ التَّفْصِيلِ فِي هَذِهِ الْإِحَاطَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر:45] ، وَقَوْلُهُ : {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ}الْآيَةَ [آل عمران:12] ، وَقَوْلُهُ : {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:67] ، وَفِي هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ **مَكِّيَّةٌ**، وَبَعْضُ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ **مَدَنِيٌّ** . أَمَّا آيَةُ الْقَمَرِ وَهِيَ قَوْلُهُ : {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر:45]الْآيَةَ فَلَا إِشْكَالَ فِي التَّبْيِينِ بِهَا لِأَنَّهَا **مَكِّيَّةٌ**"[387] .

قد يوجد في السورة الواحدة ما هو مدني و ماهو مكي و الدليل ما أورده الشنقيطي في الآية أعلاه، و في الآية تفسير لمعنى الإحاطة التي هي إحاطة تدل على أنها -بحسب السياق المكي و المدني- إحاطة بالكافرين و السيطرة عليهم و ردهم إلى الإسلام، و هي إحاطة معنوية روحية يحيط بها الرسول المؤمنين الذين يتبعون هديه الرشيد .

---

387 محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 397 .

-و في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 25/24] .

يقول الشنقيطي : " هَذَا هُوَ الْوَصْفُ الثَّانِي، وَيُسَاوِي إِيتَاءَ الزَّكَاةِ ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ الْمَعْلُومَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَفْرُوضِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ . وَلَا يَمْنَعُ أَنَّ السُّورَةَ **مَكِّيَّةٌ** ؛ فَقَدْ يَكُونُ أَصْلُ الْمَشْرُوعِيَّةِ **بِمَكَّةَ** وَيَأْتِي التَّفْصِيلُ **بِالْمَدِينَةِ** ، وَهُوَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَهُنَا إِجْمَالَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .
الْأَوَّلُ : فِي الْأَمْوَالِ .
وَالثَّانِي : فِي الْحَقِّ الْمَعْلُومِ . أَيِ : الْقَدْرِ الْمُخْرَجِ"[388] .

ففرض الزكاة من أساسه كان بمكة من حيث التشريع، و تدرج التشريع في التفصيل فيه بالمدينة، حيث بين النوع المادي للزكاة أولاً و هو الأموال، ثم بين المقدار ثانياً .

هذا التناول للشواهد عرفنا به مقدار القيمة التي هي للمكان، فالمكان (بفعاليته) له دور عظيم في استقامة مقاصد الموقف وفق اعتبارات ما نزل من آيات أولاً ، و في صيرورة المكان مقاسا للأحكام على تناسبها بالمقتضيات ثانياً ، ذلك أن سياقات الموقف ممثلة في معرفة المكي و المدني و أسباب النزول في ارتباطها بعلوم القرآن تؤسس لانبثاق معاني الخطاب القرآني بصورة تقترب من الرؤية الحقيقية للمتصور من المعنى المثالي، و هكذا كان الشنقيطي، يأخذ المعنى من فاعلية سياق أصغر (بنية) ليضعه في فاعلية سياق أكبر (خارج)، فيتمخض إلى المحصول المستنتج ، فماذا عن السياق المذهبي ؟

- **السياق المذهبي :**

يعد السياق المذهبي بالأهمية بمكان باعتباره أحد أهم الموجهات السياقية دلالياً في تفسير القرآن الكريم، و التمذهب في الإسلام ظهر بعد نهاية القرن الرابع الهجري" و الواقع أنه ظهر في هذا الميدان الفقهي ما ظهر في غيره من الميادين، و أهم حدث هو تسرب آراء في التشريع مما كان قبل عهد الإسلام إلى الفقه الإسلامي، كما تسربت بعض النظريات اليونانية و الرومانية القديمة. و كان يمثلها

[388] السابق ج8، ص: 222 و 223 .

الفقهاء، و يخالفهم أصحاب الحديث المتمسكون بالسنة القديمة، و الذين يقيسون الحياة بمقياس نصوص الوحي و السنة النبوية، و لم يشأ هؤلاء المتمسكون بالقديم أن ينزلوا عن مكانهم بسهولة، فقد كانت لهم الغلبة في إقليمين من أقاليم الإسلامية و هما فارس و الشام، و كذلك كانت لأهل الحديث غلبة في السند، كما كانت همذان و أجنادها أصحاب حديث. و كان أهم المذاهب بين أصحاب الحديث: الحنابلة ، و الأوزاعية و الثورية. و لم يكن الحنابلة في ذلك –خلافاً لما صار إليه الحال فيما بعد– يعتبرون من جملة الفقهاء"[389] . و تتضح استعمالات الشنقيطي للسياق المذهبي في المثال التالي:

–و في قوله تعالى :﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[المائدة:6] .

يقول الشنقيطي في سياقها : "أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ؛ وَقَالَ **الشِّيعَةُ وَالْخَوَارِجُ** : لَا يَجُوزُ ، وَحَكَى نَحْوَهُ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دَاوُدَ ، وَالتَّحْقِيقُ عَنْ **مَالِكٍ** ، وَجُلِّ أَصْحَابِهِ ، الْقَوْلُ بِجَوَازِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ الْمَنْعُ مُطْلَقًا ، وَرُوِيَ عَنْهُ جَوَازُهُ فِي السَّفَرِ دُونَ الْحَضَرِ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْكَرَهُ إِلَّا **مَالِكًا** فِي رِوَايَةٍ أَنْكَرَهَا أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ، وَالرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ عَنْهُ مُصَرِّحَةٌ بِإِثْبَاتِهِ، وَمُوَطَّؤُهُ يَشْهَدُ لِلْمَسْحِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَعَلَيْهِ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ، وَجَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ .

وَقَالَ الْبَاجِيُّ : رِوَايَةُ الْإِنْكَارِ فِي «الْعُتْبِيَّةِ» وَظَاهِرُهَا الْمَنْعُ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهَا أَنَّ الْغَسْلَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْحِ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : آخِرُ مَا فَارَقْتُ مَالِكًا عَلَى الْمَسْحِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، فَمَا قَالَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ عَنْ مَالِكٍ مِنْ جَوَازِهِ فِي السَّفَرِ دُونَ الْحَضَرِ غَيْرُ صَحِيحٍ ، لِأَنَّ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفِّ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ الزُّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ «الْمُوَطَّأِ» : وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ رُوَاتَهُ فَجَاوَزُوا الثَّمَانِينَ ، مِنْهُمُ الْعَشَرَةُ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، حَدَّثَنِي سَبْعُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ "[390] .

فهذا المثال يبين مدى تحكم الشنقيطي في قضية تطرقه للسياقات و إجراء المسألة على نحو يتسم بالموضوعية، فهو يحيل بالآراء على منابعها رصين في الحكم على حيثيات القضية إلا بما هو دليل فيها، فمثال المسح على الخفين على بساطته من حيث هو فعل يعد بالغ الأهمية، فالشيعة و الخوارج لا يقرونه و أقرته السنة تسهيلا للمسافر و العجلان و من تشملهم رخصة هذا الحكم .

---

[389] آدم متز–الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1، تر:محمد عبد الهادي أبوريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص:346 و 347 .

[390] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج2، ص: 14 و 15 .

فالسياق المذهبي يحدد المعنى من منطلق الخلاف ما بين المذاهب، فعندما تعقد المقارنة يظهر الفارق الذي يعضد الراجح و يستبعد المرجوح . هذا و يصل بنا البحث إلى إجراء أخير من علوم القرآن، و هو معرفة الإعجاز في القرآن، فبما يحيل عليه من مظاهر تعجيزية في القرآن الكريم بإمكاننا أن نسميه آلية التعجيز .

- **سياق الإعجاز** :

إن قضية الإعجاز القرآني قد استوعبت على فكر الكثيرين في القديم و الحديث، فقد "تضاربت الآراء حول ماهية هذا الإعجاز و مظاهره . و لم تكن القضية –في باديء الرأي– مستقلة بالتأليف، و إنما عولجت مع غيرها من القضايا التي نشط فيها الكلام و تجادلت حولها الفرق، و بخاصة تلك التي تتصل بالنبوة و المعجزة، ثم ما لبثت أن أُفردت بالتأليف و راح العلماء و الدارسون يؤلفون حولها الكتب و الرسائل، كل حسب توجهه و قناعته"[391]، يقول السكاكي: "اعلم أن قارعي باب الاستدلال، بعد الاتفاق على أنه معجز، مختلفون في وجه الإعجاز . فمنهم من يقول: وجه الإعجاز: هو أنه، عز سلطانه، صرف المتحدين لمعارضة القرآن عن الإتيان بمثله بمشيئته... و منهم من يقول: وجه إعجاز القرآن وروده على أسلوب مبتدأ مباين لأساليب كلامهم في خطبهم و أشعارهم... و منهم من يقول وجه إعجاز، سلامته عن التناقض...

ومنهم من يقول: وجه الإعجاز الاشتمال على الغيوب..."[392].

و إعجاز القرآن "مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء به رسول صدق وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، ولكن للازمة، وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها

[391] الباحث– النحو و صلته بالإعجاز القرآني، سليمان بن علي، عدد 01، جامعة الأغواط، 2009 .

[392] أبو يعقوب يوسف السكاكي– مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط 02، بيروت، 1987، ص: 512 .

ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة"[393]، و قد أشار كل من وجهة بحثه إلى إعجاز القرآن، فمثلا الباحث في اللغة و البلاغة يقول بأن الإعجاز في الأسلوب و البيان و هو صحيح، لذلك فقد "أدى البحث البلاغي و اللغوي إلى طرح مسألة إعجاز القرآن و السعي إلى الكشف عن أسراره، و كان السؤال الجوهري: أيكمن إعجاز القرآن في لفظه أم في معناه؟ و كانت الإجابة عن هذا السؤال متعددة و مختلفة، لأن مذاهب القدامى في اللفظ و المعنى متفاوتة تفاوتا كبيرا"[394]، و يمكن أن يحصل إجماع في أن الإعجاز إنما يكون في النظم العجيب للغة القرآن "و قد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم و تفخيم قدره و التنويه بذكره، و إجماعهم أن لا فضل مع عدمه، و لا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، و لو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ..."[395]، و هذا النظم إنما مداره البلاغة التي استقصى الخطابي مناحيها على وجوه القرآن، "و إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، و معنى به قائم، و رباط لهما ناظم، و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، و لا ترىنظماً أحسن تأليفاً و أشد تلاؤماً و تشاكلاً من نظمه. و أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، و الترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها و صفاتها"[396]، و من جهة أخرى فالباحث في الفكر و الفلسفة يقول بأن الإعجاز إنما هو في الأفكار العظيمة التي جاء بها .. وهكذا، و الشنقيطي يلج هذا الباب في الشواهد التالية :

-في سياق قوله تعالى : ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[هود:1].

يقول الشنقيطي في ما ورد من الحروف المقطعة —و قد أوردنا هذا في سياق سابق-: "أَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي يَدُلُّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ عَلَى رُجْحَانِهِ فَهُوَ : أَنَّ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ ذُكِرَتْ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا **بَيَانًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ** ، وَأَنَّ الْخَلْقَ **عَاجِزُونَ** عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ بِهَا ، وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَرِّدِ ، وَجَمْعٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ ، وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ ، وَقُطْرُبٍ ، وَنَصَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ .

393 محمد عبد العظيم الزرقاني– مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، مصر، دتط، ص: 331 .

394 مشري بن خليفة– الشعرية العربية، وزارة الثقافة، درط، الجزائر، 2007، ص: 64 .

395 عبد القاهر الجرجاني– دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، درط، بيروت، 1981، ص: 63 .

396 الخطابي– بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، ط 02، مصر، 1968، ص: 27.

قال ابن كثير: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية.

ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان **إعجازه**، وأنه الحق الذي لا شك فيه "[397] .

إن أول مظهر للإعجاز القرآني هو ذاك الذي يتعلق بالنبي الكريم في أول نزول للوحي "في غار حراء، و قال له: اقرأ ، فقال: ما أنا بقارئ، ثم لم يزل حتى قرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:1-5] . رجع بها و هو يرجف فؤاده، فدخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . وذلك أنه أتاه أمر لا قبل له به، و سمع مقالاً لا عهد له بمثله، و كان رجلاً من العرب، يعرف من كلامها ما تعرف، و ينكر منه ما تنكر، و كان هذا الروع الذي أخذه، بأبي هو و أمي، أول إحساس في تاريخ البشر، بمباينة هذا الذي سمع، للذي كان يسمع من كلام قومه، و للذي كان يعرف من كلام نفسه"[398]، و قد ذكرنا سابقاً بأن الحروف المقطعة من مظاهر الإعجاز القرآني بدليل أنها فاتحة الباب للكثير من التأويلات و لم يعرف معناها القطعي لحد الآن.

-و في قوله تعالى : ﴿**إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**﴾[البروج:13] .

يقول الشنقيطي : "قيل: يبدئ الخلق ثم يعيده، كالزرع والنبات والإنسان بالمولد والموت، ثم بالبعث.

وقيل: يبدأ الكفار بالعذاب ثم يعيده عليهم... ولكن الذي يظهر –والله تعالى أعلم– هو الأول؛ لأنه يكثر في القرآن كقوله تعالى: {إنه يبدأ الخلق ثم يعيده} [يونس:4] . وقوله: {قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون} [يونس:34] .

وجعله آية على قدرته، **ودليلا على عجز** ونقص الشركاء في قوله في أول هذه الآية: {قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده}[يونس:34] ، ورد عليهم بقوله: {قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده}، وقوله: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} [الأنبياء:104]"[399] .

---

[397] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج3، ص: 6 .

[398] مالك بن نبي– الظاهرة القرآنية (نص من تقديم محمود محمد شاكر)، ص: 27 .

[399] محمد الأمين الشنقيطي – أضواء البيان ج9، ص: 68 .

في هذا السياق يورد الشنقيطي دليلاً من القرآن يعجز فيه الله عز و جل سائر البشر بأن يعيدوا الخلق كما قد خلق أول مرة، و هذا أبلغ الإعجاز في مخاطبة الله لعباده و إعجازهم، إن ما تكلم عنه الشنقيطي من نماذج تؤيد الإعجاز، لهي أبلغ في الإشارة إليه، و أوضح في بيان مظاهره، و هذا يدل على أن آلية التعجيز لخاصة بالخطاب القرآني دون سواه، و إنما ما يقع من البشر هو التخييل –بحسب حازم القرطاجني– و الإيهام في خطاباتهم الأدبية، و لقد بين لنا الإعجاز في الشواهد أعلاه أن القرآن معجز بلفظه و معناه في الزمان و المكان، و ليس لأن الله صرف الناس على أن يأتوا بمثله حسب ما يقول به النظام زعيم المعتزلة، و "مما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضلا على غيره في نفسه"[400]، و هكذا يكون الأمر، فالتعجيز هنا كان من الحروف المقطعة ثم أن الله هو الوحيد القادر على الخلق، و مظهر انقلاب سحرة فرعون عليه و إيمانهم بالنبي موسى ، و غيره كثير مما لم يسمح المجال لتناوله .

[400] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي– البرهان في علوم القرآن ج2، ص: 94 .

خاتمـــــــة

هذه حوصلة لما تم التوصل إليه من نتائج، لا ندعي فيها الكمال، و نستحضر في هذا المقام قول الثعالبي حين يقول: لا يكتب أحد كتابا فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة، فكيف في سنين معدودة ؟ و قول العماد الأصبهاني: إني رأيت أنه لا يكتب إنسانكتاباً في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

و لكن مع هذا نعد هذا الذي بين أيدينا بحثاً حاول أن يتقصى الخبر، فإن أصاب فله أجران و إن لم يصب فله أجر واحد، و من خلال ما انطلقنا منه من معطيات و فرضيات في بداية البحث، و من خلال التصور النظري في الباب الأول، و من خلال ما تم تقصيه تطبيقياً في الباب الثاني يمكن أن نحصل على النتائج التالية:

- تناول الشنقيطي بيان معنى الآيات القرآنية، عن طريق استعماله آليات تتعلق بالجانب الصوتي، من مثل : الشدة من عدمها، و دلالة الإبدال، و الحذف و الإثبات لنون الرفع، و الإدغام، فاستعماله لآلية الصوت و آلية الصرف إثبات واضح، في أن تحليل الخطاب لا يستغني في الغالب الأعم عن ما يتصل بالآليات النصية اللغوية، لأنها قد تكون لبنة مهمة في تحديد المعنى الأولي، ثم لبنة للمقاربات الماوراء نصية ثانيا، أي تشكل قاعدة لها تنطلق منها، كما لم يغفل شرح و بيان بعض المداخل، ربطا بما هو موجود في آيات لها نفس السياق، حتى يوضح ما أغفل من صلة اللفظة في سياقها القرآني .

- و قد استعمل ما يتصل بالتركيب من مثل:السياق الصوتي المركب، و السياق النحوي . و من المعروف أن السياق الصوتي المركب أكثر ما يتبدى في البنى الإيقاعية الوزنية و القوافي، الموجودة في الشعر، لاتسام جوانبه بالانتظام و الاطراد، و قد أوغل في إيراد الآليات و المفاهيم النحوية خلال تحليله، و هذا ما أكسب تحليله طابعا بنيويا .

- القضايا البلاغية في تفسير الشنقيطي كثيرة جدا، فقد أورد التشبيه في بعض أنواعه، و أورد الاستعارة، و الكناية، و بعض مناحي الالتفات، لأن هناك قضايا ينظر النحو إليها، بقيمة التقدير النحوي و قانون الرتبة مثل التقديم و التأخير، بينما تنظر البلاغة إليها بنظرة الغرضية، مثل غرض الاهتمام، فكان لزاما على الشنقيطي أن يتناول القضايا البلاغية، و الشنقيطي لا ينفي المجاز كلية، و يسمي المجاز المثبت للحقائق بـ: (الأسلوب من الأساليب العربية) .

- و نلاحظ أن التوجه الأسلوبي في هذا الإطار خدم المعنى كثيرا، ففي تكرار الحروف المقطعة دليل على بيان الإعجاز القرآني، و تكرار التركيب الإضافي و الجملي يهدف إلى التأكيد، و تكرار إيراد المثل لما للمثل من دور في إثبات المعاني في الذهن .

- كذلك نجد أن القراءات القرآنية مهمة جدا في كيفية تحديد المعاني بدقة، لأن القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النّبي صلى الله عليه وسلم بقراءة النص القرآني بها قصدًا للتيسير، والتي جاءت وفقًا للهجة من اللهجات العربية القديمة، و قد استعملها الشنقيطي باعتبارها آليات .

- و عندما نحاول أن نصنف سياقات القول في ماهو دلالي، فإننا نجد كّما كبيرا من هذه السياقات، مندرجة في فحوى تفسير الشنقيطي، و يرجع هذا إلى التوجيهات القرآنية و التي تعرف بمعالمها المعاني و المقاصد، عن طريق إجراء المفسر جملة من المفاهيم، تساعد في استقصاء المنشود من ثنايا الخطاب، من مثل الاشتراك و التضاد و المعرب ، و التقابل الدلالي بمفهوم الموافقة و بمفهوم المخالفة، و التضمن، و الاقتضاء، و الإحالة، و الإجمال، و الترجيح، و تخصيص العموم، و مراعاة التناسب .

- و قد استعمل آليات تتصل بالسياق الخارجي، و هذه الآليات كثيرة كثرة لا تحصى على الصورة المتكاملة، لعلوقها بميادين متفرعة و متشعبة، فقد استعمل الشنقيطي آليات تتصل بالإستراتيجية التداولية، و منها الافتراضات المسبقة، و الأقوال المضمرة، و الأفعال الكلامية، و ما يتصل بالحجاج، و الاستشهاد بغير القرآن فضلا عن مقاربته القرآن بالقرآن، و استعمل ما يقع في دائرة علوم القرآن أو ما يمكن أن نسميه في بعض مناحيه بسياق الموقف، من مثل معرفة أسباب النزول و معرفة المكي و المدني، ثم ما يمكن أن يتوصل من مظاهر الإعجاز، باعتبار التعجيز آلية تختص بالخطاب القرآني دون غيره من الخطابات .

هذا باختصار ما حاول البحث أن يقوله عن طريق المقاربة و التسديد، فإن أصبنا فتوفيق من الله و إن أخطأنا فمن أنفسنا، والله نسأل أن يوفقنا إلى السداد ، ويلهمنا الخير والرشاد .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

الموضوعات **الصفحة**

مقدمة ....أ

مدخل للموضوع : مدونة التفسير و الخطاب النقدي 01

- توطئة 02
- *لماذا التفسير القرآني بالذات ؟*..................................*02*
- *دراسات التفسير* *02*
- *التفسير و مبدأ الانسجام* *03*
- التفسير و الرؤية التداولية *06*
- التفسير ما بين الجمالية و الفهم *07*
- التجربة النصية لآليات التفسير و الشعر *08*
- آلية السياق و فاعليتها على التفسير *10*

الباب الأول (في الدراسات القرآنية و مفاهيم الخطاب و السياق)

الفصل الأول : الدرسات القرآنية ، مقاربة تصنيفية وصفية 14

- توطئة 15
- محاولة لتحديد مفهوم القرآن 15
- التفسير في اللغة و الاصطلاح 22
- الدراسات القرآنية 27
- خطاب التفسير 31
- التأصيل العلمي من خلال القرآن الكريم 36
- دراسات الإعجاز القرآني 37
- الدراسات الفكرية و التأملية 38

–ملاحظات في الدراسات القرآنية 41

الفصل الثاني : مفاهيم الخطاب (الأصول، الحدود، الآليات) 43

- توطئة 44
- مفهوم الخطاب 44
- الخطاب و النص 50
- تعدد الخطابات 56
- العناصر النظرية للخطاب 58
- الخطاب و تحليل الخطاب 62
- بعض آليات تحليل الخطاب 64
- الخطاب و آلية السياق 73

الفصل الثالث : مفاهيم آلية السياق (المكونات و الأنواع و الوظائف) يليه تعريف بالشنقيطي.

- توطئة 78
- *مفهوم السياق* *78*
- *مكونات السياق* *84*
- *السياق و المناسبة* *87*
- *السياق اللغوي و غير اللغوي* *89*
- أنواع السياقات *90*
- دور السياق و وظائفه *94*
- آليات سياق التفسير *97*
- الإمام الشنقيطي، و كتابه أضواء البيان 100

الباب الثاني : الآليات السياقية في أضواء البيان .

(تحديد المفاهيم النظرية)

الفصل الأول : آليات السياق البنيوية و الأسلوبية 108

- توطئة 109
- آليات السياق البنيوية 110

1-السياق الإفرادي 111

- السياق الصوتي المفرد 111
- السياق الصرفي 114
- السياق المعجمي 116

2-السياق التركيبي 119

- السياق الصوتي المركب 120
- السياق النحوي 122

- السياق البلاغي 126
- السياق الأسلوبي 131

- سياق القراءات القرآنية 135

الفصل الثاني : آليات السياق الدلالية 139

- توطئة 140
- آليات السياق الدلالية 140

- سياق الاشتراك 142
- سياق التضاد 145
- سياق المعرب 147
- سياق التقابل الدلالي 148
- سياق التضمن 153

- سياق اللزوم أو الاقتضاء 155
- السياق الإحالي 157
- سياق الإجمال و التفصيل...160
- تخصيص العموم 162
- سياق الترجيح..163
- سياق التناسب 165

الفصل الثالث : آليات السياق التداولية غير اللغوية 168

- توطئة 169
- آليات السياق التداولية غير اللغوية 171
- سياق الافتراض 172
- سياق الإضمار 175
- سياق الفعل الكلامي 176
- سياق الحجاج 180
- سياق الاستشهاد بغير القرآن 183
- معرفة علوم القرآن (سياق الموقف) 187
- أسباب النزول 187
- معرفة المكي و المدني 189
- السياق المذهبي 192
- سياق الإعجاز 193

خاتمة البحث 197

قائمة المصادر و المراجع 200

فهرس الموضوعات 210

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

1- القرآن الكريم .

2- محمد الأمين الشنقيطي– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الحديث، درط، القاهرة، 2006.

المراجع العربية:

1-آدم متز- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر:محمد عبد الهادي أبوريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008 .

2-إبراهيم شعيب – ثنائية النبوة و الملك في قصة سيدنا سليمان، مطبعة بن سالم ، ط1 ، الأغواط، 2009 .

3-أحمد حساني- المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1993.

4- أحمد سلامة أبو الفتوح – عقود المرجان، دار الكيان ، ط 01 ، الرياض ، 2005 .

5- أحمد شامية – في اللغة ، دار البلاغ للنشر و التوزيع ، ط 01 ، الجزائر ، 2002 .

6-أحمد عرابي- أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2010 .

7- أحمد عزوز – أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب،درط ، دمشق، 2002 .

8- أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة، دار الفكر ، ط 02 ، لبنان ، 1998 .

9- أحمد المتوكل – الخطاب و خصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ط01، المغرب، 2010.

10-أحمد مختار عمر- علم الدلالة، عالم الكتب، ط 06، القاهرة، 2006 .

11- أحمد بن محمد بن علي الفيومي– المصباح المنير، تح : يحيى مراد ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، مصر ، 2008 .

12- أحمد مومن – اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 03 ، الجزائر ، 2007 .

13- أحمد الودرني – أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ و المعنى في خطاب التفسير، دار الكتب الوطنية ،ط 1، ليبيا ،2005 .

14-أحمد يوسف- سيميائيات التواصل و فعالية الحوار، مختبر السيميائيات و تحليل الخطاب، ط 01، وهران، 2004 .
15- الأخضر جمعي – قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، موفم، درط، الجزائر، 2002 .
16- إسماعيل بن حماد الجوهري – الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2009 .
17- أمبرتو إيكو– القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط 01، المغرب، 1996.
18-إميل بديع يعقوب- معجم الإعراب و الإملاء، دار اشريفة، ط 02، دمط، دتط .
19- بدر الدين الزركشي– البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط1، سوريا، 1957 .
– البرهان في علوم القرآن، تح:مصطفى عبدالقادر، دار الفكر،درط،بيروت،1988.
20-أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه- الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب،درط، مصر، 1975 .
21- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي– الكليات ، مؤسسة الرسالة، درط ، لبنان ، 1998 .
22- بكاي أخذاري – تحليل الخطاب الشعري ، وزارة الثقافة ، ط 01 ، الجزائر ، 2007 .
23-أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي- السنن الكبرى ج10، دار الفكر، ط 02، بيروت ، 1411هـ .
24- أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي- أصول السرخسي، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 1993.
25- تمام حسان- البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط 02، القاهرة، 2000 .
- اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، درط، المغرب، 2001 .
26- توفيق محمد شاهين – علم اللغة العام ، مكتبة وهبة ، ط 01 ، القاهرة ، 1980 .
27- جاسم محمد عبد العبود – مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، ط 01، لبنان، 2007 .
28- ج.ب براون و ج يول - تحليل الخطاب، تر : محمد لطفي الزليطني و منير التريكي ، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997.
29-جمال الدين ابن هشام الأنصاري- مغني اللبيب، دار الفكر، ط 05، بيروت، 1979 .
30-جون ستروك –البنيوية و ما بعدها، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996 .

31- الجيلالي دلاش – مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر : محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1992 .
32-أبو حامد الغزالي- المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، درط، بيروت، 1996 .
33- حازم القرطاجني- منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، درط ، بيروت، 1986.
34-حبيب مونسي- القراءة و الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط، سوريا، 2000 .
35- حسن عبد الرحمان سلوادي – عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب ، درط ، الجزائر، 1984 .
36-أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري- أسباب نزول الآيات، مؤسسة الحلبي وشركاه، درط،القاهرة، 1968 .
37- حسين خمري – نظرية النص ، منشورات الاختلاف،ط 01، الجزائر ، 2007 .
38-خالد إسماعيل حسان- في المعنى النحوي و المعنى الدلالي، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2009 .
39-الخطابي- بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، ط 02، مصر، 1968 .
40- خلود العموش – الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث ، ط 01 ، الأردن ، 2008 .
41- الخليل بن أحمد الفراهيدي –كتاب العين، مؤسسة دار الهجرة، ط 02، إيران، 1409 هـ .
42- رابح بوحوش – الأسلوبيات و تحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، درط، عنابة، 2006 .
43- ردة الله بن ردة الطلحي- دلالة السياق، جامعة أم القرى ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1423 هـ .
44- روبرت دي بوجراند – النص و الخطاب و الإجراء (مقدمة المترجم : تمام حسان)، عالم الكتب ، ط 02 ، القاهرة ، 2007 .
45-سامي مكي العاني- الإسلام و الشعر، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1996 .
46-ستيفن أولمان- دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب،مصر، 1975 .
47-سعد الدين التفتازاني- مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح للقزويني، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط 01، بيروت، 2003 .
48- سعيد حسن بحيري – علم لغة النص ، مؤسسة المختار ، ط 01 ، القاهرة ، 2004 .
49- سعيد يقطين – تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط 04 ، المغرب ، 2005 .

50-شكري المبخوت- الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، و كلية الآداب منوبة، ط 01، تونس، 2006 .
51- شهاب الدين أحمد الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة محمود توفيق، درط، مصر، 1933 .
52- صابر الحباشة - التداولية و الحجاج، صفحات للدراسات و النشر، ط1، سورية، 2008 .
53- الصاحب بن عباد - المحيط في اللغة ، مطبعة المعارف ، ط01، بغداد ، 1975.
54- صلاح الدين زرال – الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر، 2008 .
55-صلاح الدين الزعبلاوي- مسالك القول في النقد اللغوي، الشركة المتحدة للنشر و التوزيع، ط 01، دمشق، 1984 .
56-صلاح فضل- بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، درط، الكويت، 1992 .
57- طالب سيد هاشم الطبطبائي– نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، درط ، الكويت، 1994 .
58- عادل نويهض – معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2، لبنان ، 1983 .
59- عباس محمود العقاد – التفكير فريضة إسلامية ، مكتبة رحاب ، درط ، الجزائر ، دتط .
60-عبد الجليل مرتاض- في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 02، الجزائر، 2007 .
61-عبد الجليل منقور - النص و التأويل، ديون المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 2010 .
– علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، درط، دمشق، 2001 .
62- عبد الرؤوف المناوي – التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، ط1 ، دمط ، 1990.
63-عبد الرحمن جلال الدين السيوطي- الأشباه و النظائر في النحو، دائرة المعارف العثمانية، ط 02، حيدر آباد، 1360 هـ .
64- عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم، درط، الجزائر، 2007.
65-عبد العزيز عتيق- علم البيان، دار النهضة العربية، درط، بيروت، 1985 .
66- عبد الفتاح محمود المثنى – نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر ، ط 01 ، الأردن ، 2007 .
67- عبد القادر شرشار – تحليل الخطاب الأدبي، منشورات دار الأديب ، درط ، وهران ، 2006 .

68-عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 2003 .
- دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، درط، بيروت، 1981 .
69- عبد الكريم الخطيب– القرآن نظمه و جمعه و ترتيبه، دار الفكر العربي ، درط ، القاهرة، 1972.
70- عبد الله صولة – الحجاج في القرآن ، دار الفارابي ، ط 1 ، لبنان ، 2001 .
71- عبد الله العشي– زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة و النشر، درط، الجزائر،2005 .
72-أبو عبد الله محمد القرطبي- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي،ط 02، بيروت، 1985 .
73- عبد الهادي بن ظافر الشهري– إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 01 ، لبنان ، 2004 .
74-أبو علي الحسن بن رشيق- العمدة في محاسن الشعر، دار الطلائع، ط 01، القاهرة، 2006 .
75-علي بن محمد الآمدي- الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة النور، ط 02، الرياض، 1402 هـ
76-عمر بلخير- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط 01، الجزائر، 2003 .
77-العمري بن رابح بلاعدة القلعي- الألمعية في الدراسات المعجمية، دار الوعي، درط، الجزائر، 2005 .
78-العياشي أدراوي- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، ط 01، الرباط، 2011 .
79-أبو الفداء إسماعيل بن كثير- تفسير القرآن العظيم ج4، دار طيبة، ط 02، الرياض، 1999.
80-فرحات عياش- الاشتقاق و دوره في نمو اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، درط، الجزائر، 1995 .
81- فرحان بدري الحربي– الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 01 ، لبنان ، 200 .
82-أبو الفضل عياض اليحصبي- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، درط، بيروت، 1988 .
83-فلوريان كولماس- اللغة و الاقتصاد، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، درط، الكويت، 2000 .

84-ابن قيم الجوزية- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1968 .
- بدائع الفوائد ، المكتبة العصرية ، ط 01 ، لبنان ، 2008 .
85- ابن اللحام علاء الدين البعلي- القواعد والفوائد الأصولية، المكتبة العصرية، درط، بيروت، 1999 .
86- مالك بن نبي – الظاهرة القرآنية، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، ط9 ، دمشق، 2009 .
87- مبارك حنون– في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010 .
- في السيميائيات العربية ، سليكي إخوان ، ط 01 ، المغرب ، 2001 .
88- متولي الشعراوي – معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 1978.
89- مجد الدين بن محمد الفيروزآبادي– القاموس المحيط، دار الحديث ، درط ، مصر ، 2008 .
90- محمد إبراهيم عبادة– الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، مكتبة الآداب، درط، القاهرة، 2002.
91- محمد إسماعيل إبراهيم – القرآن و إعجازه العلمي ، دار الفكر العربي ، درط ، بيروت، دتط .
92- محمد بازي - التأويلية العربية ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010 .
93-محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 01، بيروت، 2000 .
94-أبو محمد الحسين البغوي- معالم التنزيل، دار طيبة، ط 04، الرياض، 1997 .
95- محمد خطابي – لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 ،المغرب، 2006 .
96- محمد خليفة – النظرية النقدية العربية، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 2005 .
97-محمد رمضان الجربي- ابن قتيبة و مقاييسه البلاغية و الأدبية و النقدية، مكتبة الآداب، ط 01، القاهرة، 2010 .
98-محمد زغلول سلام- تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، درط، مصر، دتر .
99-محمد سعيد إسبر و بلال جنيدي- الشامل في علوم اللغة العربية، دار العودة، درط، بيروت، 2004 .
100- محمد الشاوش – أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، كلية الآداب منوبة ، ط 01 ، تونس، 2001 .
101- محمد الشريف الجرجاني –كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، درط ، لبنان، 1985 .
102محمد طاهر الكردى- تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح، ط 01، جدة، 1946 .

103- محمد عابد الجابري – تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، ط 01 ، بيروت، 1985 .
104- محمد عبد الباسط عيد – النص و الخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب ، ط 1 ، القاهرة ، 2009 .
105- محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، مصر، دتط.
106- محمد عبد المطلب– البلاغة و الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 01، القاهرة، 1994 .
107- محمد علي التهانوي –كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، لبنان ، 1996 .
108- محمد العمري – البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، أفريقيا الشرق، درط، المغرب، 2005 .
109-محمد قلعجي- معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط 02، بيروت، 1988 .
110- محمد مفتاح – دينامية النص (تنظير و إنجاز) ، المركز الثقافي العربي ، ط 03 ، المغرب ، 2006 .
111-محمد بن يوسف الصالحي- سبل الهدى و الرشاد، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1993 .
112- محمود جاب الرب – علم اللغة نشأته و تطوره ، دار المعارف ، ط 01 ، القاهرة ، 1985.
113-محمود طلحة- تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، ط 01، الأردن، 2011 .
114- مسعود صحراوي - التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط 01 ، بيروت ، 2005 .
115-مشري بن خليفة- الشعرية العربية، وزارة الثقافة، درط، الجزائر، 2007 .
116-مصطفى الجوزو- نظريات الشعر عند العرب ج1، دار الطليعة، ط 02، بيروت، 1988 .
117-مصطفى حركات- نظرية الوزن، دار الآفاق، درط، الجزائر، 2005 .
118-مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2004 .
119-مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط 39، بيروت، 2001 .
120- منصور كافي – مناهج المفسرين في العصر الحديث، دار العلوم للنشر ، درط ، الجزائر ، 2006 .

121-ميخائيل باختين- الخطاب الروائي، ت: محمد برادة، دار الفكر للدراسات و النشر، ط 01، القاهرة، 1998 .

122- ابن منظور الإفريقي– لسان العرب ، دار المعارف ، د ر ط ، القاهرة ، 1981 .

123- الميلود عثماني 1– شعرية تودوروف، عيون المقالات ، ط 01 ، الدار البيضاء ، 1990 .

2- الشعرية التوليدية، شركة النشر و التوزيع المدارس، ط 01، المغرب، 2000 .

124-نصر حامد أبو زيد1- الاتجاه العقلي في التفسير، المركز الثقافي العربي، ط 06، المغرب، 2007 .

2- إشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط 08، المغرب، 2008 .

125-نعوم شومسكي- البنى النحوية، تر: يوئيل يوسف عزيز، منشورات عيون، ط 02، المغرب، 1987.

126- نور الدين السد – الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج 1، دار هومه، ط 01، الجزائر، 1997 .

127- أبو هلال العسكري– الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، ط01، إيران، 1412 هـ .

128-وتيكي كميلة- بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة مقاربة تداولية، دار قرطبة، ط 01، الجزائر، 2004.

129- أبو يعرب المرزوقي– النخب العربية و عطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية، الدار المتوسطية للنشر، ط 01 ، تونس ، 2007 .

130-أبو يعقوب يوسف السكاكي- مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط 02، بيروت، 1987 .

131- يوسف نور عوض – علم النص و نظرية الترجمة، دار الثقة للنشر و التوزيع ، ط 01 ، مكة المكرمة ، 1410 هـ

132- يونس علي محمد محمد – مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، دار الكتاب الجديد ، ط 01 ، ليبيا ، 2004 .

المراجع الأجنبية :

1-Catherine Kerbrat Orecchioni- L'implicite, Armand Colin, Paris, 1986.

- Les interactions verbales, T1, Armand Colin, éd 3, Paris, 1990.

2-Dominique Maingueneau- Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990 .

3-Emile Benveniste- Problémes de linguistique 1générale,T1,Edi Gallimard, Paris, 1966 .

4- Ferdinand De saussure – Cours de linguistique generale, ENAG, 3eme edit, alger, 2004 .
5-Georges Elia Sarfati – Précis De Pragmatique, Nathan , 02, France, 2002.
6- Georges Elia SARFATI – élément D'analyse Du Discours, Nathan VUEF, SNE , paris , 2001 .
7-Jacques Moeschler- Argumentation et conversation, Hatier-Grédif, Genève, 1985, P: 53 .
8-J.Austin- Quand dire c'est faire, trad: Gives-Lane, éd du Seuil, Paris, 1970.
9-J.M.Adam- linguistique textuelle des genres de discours aux textes,Nathan, 1éd, Paris,1999 .
10- John r.searle - Les actes de langage, hermann,éd 01, France, 1972.
11-J.Searle- Sens et expression, trad: Joëlle Proust, Minuit, Paris, 1982 .
12-Julia Kristeva- La Révolution du Langage Poétique, Edition du Seuil, 1974 .
– Sémiotiké recherches pour sémanalyse, A.J. Picard, 1981.
-Oswald Ducrot- Dire et ne pas dire, Hermann,éd 01, Paris, 1972 13.
14-P.Charaudeau et d.maingueneau- Dictionnaire d'analyse du discours,Seuil,1 éd,paris,2002.
15- Traverso Véronique – L'analyse Des Conversations , Nathan Sejer, SNE , paris , 2004

البحوث الأكاديمية:

1- أحمد لافي فلاح المطيري- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007 .
2- تهاني بنت سالم بن أحمد- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2007 .
3- خديجة محمد أحمد البناني- الالتفات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1413-1414 هـ .
4- سعد بن مقبل العنزي- دلالة السياق عند الأصوليين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1427-1428 هـ .
5- سليمان بن علي- التفسير النحوي للقرآن الكريم عند الزمخشري، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2007-2008 .

6- مهى محمود إبراهيم العتوم- تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004 .

7-Ahmed Moutaouakil- Réflexions sur la théorie de le signification, Thèse, Faculté des lettres, rabat, 1982 .

المجلات و الدوريات:

1- **الأثر مجلة جامعية محكمة**- نحو مقاربة في وصف دلالة النص، د.لبوخ بوجملين، عدد 08، جامعة ورقلة، 2009 .

2- **الباحث**- النحو و صلته بالإعجاز القرآني، سليمان بن علي، عدد 01، جامعة الأغواط، 2009 .

3- **الخطاب**- التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، حمو الحاج ذهبية، عدد 04، جامعة تيزي وزو، 2009 .

4- **دراسات أدبية**- العدول الصوتي و تناسب آي الذكر الحكيم، عبد الخالق رشيد، عدد 02، الجزائر، 2008 .

5- **اللغة العربية**- النسق القرآني في ضوء نظرية التلقي، فازية تيقرشة، عدد 06، المجلس الأعلى للغة العربية، 2011 .

6- **الممارسات اللغوية**- تحليل الخطاب و التداولية، شنان قويدر، عدد 02، جامعة تيزي وزو، 2011 .

7- **مجلة الآداب و اللغات**- تداولية الخطاب القرآني عند الأصوليين، مسعود صحراوي- عدد07- جامعة الأغواط-2011 .

- الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي- عدد6- جامعة الأغواط-2007 .

8- **مجلة التراث العربي**- عودة إلى موسيقى القرآن، نعيم اليافي، عدد 25 و 26، سوريا، 1986 و 1987 .

9- **مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية**- الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض . هند عكرمة، عدد1،سوريا،2006 .

المواقع الإلكترونية:

1- عبد الرحمان الحاج– القرآن .. من تفسير النص إلى تحليل الخطاب، http://www.islamonline.net/servlet/Satellite

2- عبد الرحمان الحاج– ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وآيديولوجيا الحداثة، http://www.altasamoh.net/Article.asp

3- عبد اللطيف أبو هاشم زكي– قراءة في كتاب العالمية الإسلامية الثانية،
http://pulpit.alwatanvoice.com/content-41208.html

4- مسعود صحراوي– كيف يفهم صاحب العالمية الثانية لغة القرآن،
http://www.almultaka.net/showmaqal

5- ريحانة اليندوزي– صلة أسباب النزول بعناصر السياق ودورها في الفهم والتطبيق، منتدى الإيوان www.iwan7.com

ملخص باللغة الأجنبية:

Abstract :

The mechanisms of discourse analyses in Adhwa'a-albayan exegesis, of Shanqeeti

Determination of theorical notions

What we have here is one of discourse analysis subjects, it doesn't concern the discourse on the whole, but a special type of it, exegesis discourse, given the scientificity that paint its connotative aspect, the fact it is another reading of holy Quran, the multiplicity of readers and considering that its meaning are derived from a linguistic coherent set, which is the Quran, extensive in time and place . Unlike the sayings about the Quran, which are sum, just one of many reading classes . (Ulemas) and theologists (Fouqahaa) are unanimous that this text Quran is fit for every time and every place, it's an endless source of meanings and aims .

Many researchers and Ulimas attempted to translate its meanings but their essays couldn't reach its bottoms, what it holds and hides for those who seek; search and probe; meditation . from this angle, introspective studies were many, trying to get along with rame of it; reading identifying its power; exegeses vulgarizing it to understanding; saying were profuse about it; the most important was the exegesis since it was the effective way seeking one of its endless meaning .

From this standpoint, we dealt with Adhwa'a-albayan exegesis of Shanqeeti by analysis and exploring, looking for (seeking, thereby) the mechanisms used by him to clear the aimed meaning, in order to determine, hereafter the global theorical concepts from this application "corpus" which is the exegesis .

Many reasons motivated us to choose this subject since every (subject) has its root reasons, and if it doesn't stem due to reasons, it is then out of human needs, the ours were among others :

- The explanation discourse is among the subjects that from a fertile corpus lacking research that focuses on its mechanisms and procedures, and works which dealt with this aspect, were in terms of theology and jurisprudence (Fiqh) .

- Linguistic scan alone, as mechanisms became not enough to clear up meanings and aims in the Quranic discourse by the exegesis discourse there is a desperate need to newly (renovated) concepts from contemporary methods and strategies, either occidental; with adaptable input with Islamic Arab patrimony, or original extracted from our own legacy .
- The delimitation of the theorical concepts through exegesis discourse can provide the searcher with special theorical concepts that he may need later in discourse analyzing .
- We also want to uncover scientific traditions of interpretation, because it is a lesson scientifically, through a sample Adhwa'a-albayan exegesis .

The subject issues problematic are an endless sequence of questions, and probably among the most important we can mention the following :

- *" What are the theorical mechanisms Shanqeeti had used in his exegesis Adhwa'a-albayan?"*

To answer this question, we should before answer these questions :

- *"What is a discourse ? Is there one definition of discourse?"*
- *"What is an explanation ? Does it follow discourse in terms of multiplicity ? what is relation between the two?"*
- *"What is the structure of explanation discourse? What is its inner context? Which linguistic process arrangements must be used to analyze it?"*
- *"What are the mechanisms of discourse analysis and what are the external context processes? Where are the coherence and cohesion areas?"*

These are problematic and theorical questions, when answered them in order we got a plan that may be the following :

A- stylistic and structural context mechanisms. We assessed the following details :
- Simplifying context : simple phonetic context – morphological context – lexical context .
- Composing context : composed phonetic context – grammatical context – rhetoric and stylistic context and Quran reciting ways (quiraàt) .

B- Semantic context mechanisms : its includes : a polysemies, the context of the contrast, context of juxtaposition semantic, context of inclusion, referral context, overall in the context of the Quran, the context of the weighting, the allocation Commons in the Quran, the context of proportionality.

C- The mechanisms of pragmatic : We assessed the following details : the presupposing, the implicits, verbal acts, the context of arguments, and there are mechanisms related to Quran sciences like : context of causes of downcoming (revelation), context of Mecca and Medina sourats, and the context of the Quranic miracles, context of out Quran examples, context doctrines .

The research brought us a mean result that consists of remarques we reached without pretending them to be perfect, albeit we consider it as research that sought the best, if it got the target it will be recompensed .

Through the data and the hypotheses which were our standpoint in the beginning of this research, and through the theorical imagination in the first chapter, and through what we analyzed in the second one we had the following results :

- Shanqeeti dealt with Quranic verses meaning by using phonetic mechanisms like : stress, changing omission affirming, liaison by proceeding to this, he made it clear the discourse analysis can never be sought without textual linguistic mechanisms since it is an important piece in determining the first meaning, and then a step to ultra textual approaches. It is a basis.
- He used what is of composing :composed phonetic context, grammatical context, it is known that phonetic context appears clear the most in the rhythmic structures of poetry since its aspects are systematic and sequenced he detailed in presenting the mechanisms and grammatical concepts in his analysis, thing that made it structural.
- Rhetoric issues are profuse. He mentioned comparison with its kinds, metaphor, and some of the rhetorical aspects of (Iltifat), because grammar may assess some issues in terms of grammatical function following the class rule as exchange between sentence units, but unlike that rhetoric deal with it in terms of its aim as importance, there for Shanqeeti ought to deal with this issues. He doesn't deny figuration completely and calls the figuration that affirms variety (real meanings) an Arabic style. It is remarquable that the stylistic orientation served the meaning well. Repetition of articulated letters is a proof of Quran inimitability that of phrasal additive composition aims at confirmation, and that of example citing, since it among the functional procedures to bring meanings closer.

Quran different reciting (quiraàt) are very important in meaning exact delimitation. These are the ways, the messenger of Allah (peace be upon him) approved, intending by this variety in reading, ease and facility. Recitations stem from old Arabic accents and pitches, he used these quiraàt as an approved readings of it .

- When we try to classify speech contexts in what is semantic ,we will find lot of them lying beneath interpretation content. This is due to Quranic orientations which are guiding signs to meaning and aims, through formulating a set of concepts, that may help in reading among the lines of discourse and extracting it. And among lot we cite :antinomy, inflection, semantic chiasmus, inclusion, implication, reference synopsis (synopticity), weighting, specification, congeries.
- He used external context mechanisms, presupposing, dissimulated aims, speech acts, dialectics, out Quran examples, Quran by Quran approaching .

He used, then, in what is known in the circle of Quran studies "situation context" : causes of downcoming (revelation), Mecca and Medina sourats, what way the tenant context being in, and what aims we can reach through Quran inimitability; intrinsic to it, absolutely alone .

This is, in short, what our research aimed at, through approaching and targeting, If we got that aim, it's Allah backed guidance, if we missed it, then it's due to lack in human .